

مَجَلَّةُ الْمُسَدِّقِ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة العاشرة / العدد الثاني والأربعون / لسنة ١٤٤١ هـ



مركز الهدى للدراسات الحوزوية

العراق . النجف الأشرف

مركز الهدى للدراسات

مؤسسة فكرية تنشط في ميدان البحث والمساهمة في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر؛ إيماناً منها بقدرية الإسلام ومدرسة أهل البيت عليه السلام على تقديم البديل الحضاري للإنسان، وتُعنى بالدراسات الفكرية والسياسية والتاريخية لحوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة؛ رغبةً منها في ترسيخ الثوابت، والوقوف بوجه الفكر الدخيل.

مَجَلَّةُ الْمَسَدِيِّ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة العاشرة / العدد الثاني والأربعون / لسنة ١٤٤١ هـ

الهيئة الاستشارية

- ◀ السيد يوسف الحلو
• أستاذ حوزة النجف الأشرف
- ◀ السيد جابر الموسوي
• أستاذ في الحوزة العلمية
- ◀ الشيخ حسين السعدي
• أستاذ في الحوزة العلمية
- ◀ الدكتور أسامة السعدي
• جامعة النهرين
- ◀ الدكتور علي عبد الأمير
• جامعة بغداد
- ◀ الدكتور سميح الأسدي
• جامعة بابل
- ◀ الدكتور علي فياض
• جامعة طهران

الإشراف العام

محمد صادق الهاشمي

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

النسق والمراجعة

محمد حميد الهاشمي

عصام الساعدي

مُعَدُّ التَّرجمة الفارسية

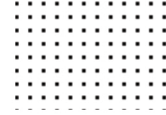
حسن علي مطر

الإخراج الفني

أحمد كاشغري

هيئة التحرير

- ◀ أ. سميح العظواني
- ◀ أ. هادي بدر الكفوي
- ◀ أ. ضياء كاظم الهاشمي
- ◀ أ. عماد الولائي
- ◀ أ. جعفر آل وشاح
- ◀ أ. إبراهيم الأسدي
- ◀ أ. مكي عبد الرحمن



مجلة الهدى

العدد: الأربعون / السنة الثاني والأربعين / ١٤٤١هـ

الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية

المطبعة: الصنوبر

قطع الورق: ٢٣×٢٣ سم

عدد الصفحات: ٢٩٦ صفحة

التصميم والخراج الفني: أحمد الهاشمي

سنة الطبع: ٢٠٢٠ م - ١٤٤١ هـ

❖ البحوث الواردة في مجلة المنهج تعبر عن رأي كاتبها.
❖ ترتيب البحوث خاضع لاعتبارات فنية

هَوِيَّةُ الْمَجَلَّةِ:

مجلة [الهدى] فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية، تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية، تعنى بالفكر الإسلامي المستنير وما يتصل به من المجالات والتخصصات، في الشريعة والتاريخ والقانون والفلسفة وعلم الكلام الجديد والعلوم الإنسانية المختلفة، مضافاً للفكري الحوزوي وتاريخ المرجعية والفكر المقاوم.

شُرُوطُ الْكَتَابَةِ:

١. يتراوح حجمُ البحث بين (١٠ - ٢٥) صفحةً بحجم (A٤).
٢. ينضدُ البحثُ على قرص مدمج (CD)، أما التصحيحُ اللغوي فتتكفل به المجلة.
٣. يجب أن لا تكون البحوث منشورةً سابقاً، في الصحف أو الدوريات أو مواقع الإنترنت على الإطلاق، وأن يتعهد الكاتب بعدم نشره في مكانٍ آخر إلا بعد أخذ الموافقة من المركز.
٤. تخضع البحوث لتسلسلٍ فنيٍّ في النشر، ولا يحقُّ للكتّاب الاعتراضُ على تأخير نشر المادة، لأنه أمرٌ تابعٌ لهيأة التحرير حصراً.
٥. تُقبل البحوث والدراسات المكتوبة بلغةٍ ثقافية مميزة، أما البحوث الضعيفة فتهمل ولا تعادُ إلى أصحابها.
٦. المجلة ليست ملزمةً بإرجاع المواد إلى أصحابها، سواءً نشرت أم لم تنشر.
٧. يرفق الباحث ملخصاً مع البحث لا يزيد على نصف صفحة.
٨. تكون الهوامش متسلسلة في الصفحة نفسها لا في نهاية البحث.

الإمام الحائمي رحمته الله

يَجِبُ عَلَى الْقَوَّاتِ الْأَمْرِيَّةِ مُغَادَرَةُ الْمَنْطِقَةِ لِأَنَّهَا مَصْدَرُ الْفَسَادِ

كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ: الْمُقَاوَمَةُ: بَدَاهَةُ الْمَفْهُومِ الْإِنْسَانِيِّ، وَزَيْفُ الْمَغَالِطَاتِ الْمُصْطَنَعَةِ

محمد صادق الهاشمي

١٣

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمُقَاوَمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

١٩

تَقْرِيرٌ كَامِلٌ بِمُنَاسِبَةِ اسْتِشْهَادِ الْقَائِدِ الْحَاجِّ قَاسِمِ سُلَيْمَانِي وَالْقَائِدِ أَبُو مَهْدِي الْمُهَنْدِسِ

الْمَحُورُ الْأَوَّلُ: الْبَيِّنَاتُ

٢١

١ - الْمَرْجِعِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ

٢ - الدُّوَلُ وَالْمَوْسَّسَاتُ

٣ - الشَّخْصِيَّاتُ الْبَازِمَةُ

الْمَحُورُ الثَّانِي: الشَّكُّ الْعَظِيمُ «وَدَاعُ مِحْجَمِ الشَّهَادَةِ»

٦٥

١ - فِي الْعِرَاقِ:

أ - بَغْدَادُ

ب - كَرْبَلَاءُ الْمُقَدَّسَةِ

ج - النَّجَفُ الْأَشْرَفُ

د - الْبَصْرَةُ

٢ - في الجُمهُورِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِيرَانِيَّةِ:

- أ - الْأَهْوَازِ
- ب - مَشْهُدُ الْمُقَدَّسَةِ
- ج - طَهْرَانُ
- د - كَرْمَانُ

ملفُ العدد: الْحَشْدُ الشَّعْبِيُّ وَالْمَقَاوِمَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ
الشَّرْعِيَّةُ - الضَّرُورَةُ - التَّكْدِيَّاتُ

فَتْوَى الْجَهَادِ الْكِفَائِيِّ وَالذَّوْمِ الْإِسْتِرَاطِيِّ لِلْمَرْجِعِيَّةِ

المفكر المغربي إدريس هاني

دَوْرُ الْمَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَآثَرُهُ عَلَى خَطِّ الْمَقَاوِمَةِ فِي الْعِرَاقِ

أ . زينب عبد الكريم التميمي

الْحَشْدُ الشَّعْبِيُّ الْمُقَدَّسُ - بُكَاتُ الْهَوِيَّةِ وَتَعَدُّ الدَّلَالَةِ -

أ . د عبد الحسين علي مهلهل

الْأُسُسُ الْفِكْرِيَّةُ لِلْحَشْدِ الشَّعْبِيِّ فِرَاءَةً تَحْلِيلِيَّةً

أ . محمد صادق الهاشمي

الْحَشْدُ الشَّعْبِيُّ وَرِهَانَاتُ إِسْقَاطِ الْعِلَاقَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ

د . عدي فالح حسين

٨٣

٨٥

١٠٥

١٢٩

١٣٧

١٦٣

الدراسات الفكرية

١٨١

الدليل الاستقرائي في البحث الكلامي الجديد

١٨٣

د . أسعد بن علي قيدارة

الوعي بالله تعالى من المفهوم الإسلامي إلى المفهوم الغربي

٢٢٣

أ . د محمد عثمان الخشت

في ضفاف أهل البيت

٢٤١

الدروس التربوية من حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

٢٤٣

أ . الشيخ رضوان عباس

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام المقامات والقُدوة

٢٦٩

السيد أحمد العاملي

من أعلام الشيعة

٢٨٧

الحق الجبراني عليه السلام

هيئة التحرير



الإمام الخميني دام ظلته:

**يجب على القوات الأمريكية
مغادرة المنطقة لأنها مصدر الفساد**



وفي كلمة ألقاها أمام حشود من أهالي مدينة قم في حسينية الامام الخميني رحمته الله، توقّف سماحته عند الضربة التي وجهها حرس الثورة الاسلامية فجر اليوم لقاعدة "عين الاسد" الأميركية في محافظة الانبار في العراق بعشرات الصواريخ الباليستية، ووصفها بالـ "الصفعة القوية للأمريكيين"، وقال إن "هذه الضربة وحدها لا تكفي بل لا بدّ أن يتواصل العمل لإخراج القوات الامريكية من المنطقة".

وأكد الإمام الخامنئي أن التدخل الامريكي جلب التوتر وعدم الاستقرار الى المنطقة، مشيرًا الى أن "شعوب وحكومات المنطقة المنتخبة لا تقبل بالوجود الامريكي"، وأضاف "ليس أمام الأعداء سبيل سوى الخضوع أمام الشعب الإيراني.. العدو هو الولايات المتحدة والكيان الصهيوني وأجهزة الاستكبار العالمي"، وأردف "يريدون المفاوضات معنا كمقدمة تمهيدية لبسط نفوذهم لكن خروجهم من المنطقة أمر لا بد منه.. مسؤولية الشعب الإيراني تتمثل في تحديد العدو وأسايبه ومخططاته والتصدي لذلك".

ورأى سماحته أن "الشهيد سليمان كان شجاعًا ومقدامًا ومديرًا ومُدبّرًا وكان دائمًا في الخط الأول يتحدى المخاطر"، لافتًا الى أن "أهمّ من كل ذلك، أن كل اعمال الشهيد سليمان كانت خالصة لوجه الله وكان قائدًا محاربًا ذا خبرة وتجربة، ملتزمًا بالحدود الشرعية حتى في ساحة الحرب، ويتصرف بدقة، كان حريصًا على أرواح رفاقه وجنوده".

وتابع سماحته أن القائد الشهيد الحاج قاسم سليمان كان ثوريًا من الطراز الأول وكانت الروح الثورية هي الخط الأحمر بالنسبة له فثوريتنه لم تتراجع، وتابع "الشهيد سليمان كان يساهم في دعم ومساعدة شعوب المنطقة بوجه المؤامرات التي تحيكها القوات الامريكية. كان الامريكيون يريدون طمس القضية الفلسطينية

ووضعها في خانة النسيان ، فتحرك سليمانى لمساعدة ودعم الشعب الفلسطينى ليصمدوا أمام المخططات الامريكىة والصهيونىة ، وقادة المقاومة الفلسطينىة يقرون بدوره فى دعم المقاومة والوقوف بوجه الغطرسة الصهيونية".

كما تحدث سماحته عن الدور البارز للشهيد سليمانى فى دعم المقاومة فى لبنان ومساندة حزب الله فى الوقوف بوجه الأمريكيين والكيان الصهيونى ، وأكد أن "حزب الله يوماً بعد يوم يصبح أقوى وهو يد لبنان وعينه".

وأشاد سماحته بدور نائب هيئة الحشد الشعبى أبو مهدي المهندس ، وقال إن "وجهه كان يشع بنور الايمان وكان من القادة المقربين للشهيد سليمانى".
وتطرق الإمام الخامنئي الى مسيرات تشييع الشهيد سليمانى فى العراق وايران ، معتبراً أن شهادته بثت روحاً جديدة فى الشعب الايرانى والثورة الاسلامىة.

كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ:

الْمُقَاوَمَةُ:

بَدَاهَةُ الْمَفْهُومِ الْإِنْسَانِيِّ،
وَزَيْفُ الْمَغَالِطَاتِ الْمُصْطَنَعَةِ

❖ محمد صادق الهاشمي (*)

(*) باحث ومؤلف في علم الاجتماع السياسي / ومدير مركز العراق للدراسات.

المفهوم السلبي للمقاومة بأنها جماعات تختص بالدفاع دون غيرها ، ومن هنا يسهل استئصالها من خلال التحرك الداخلي والخارجي وهذا هو المفهوم الخاطئ .

والصحيح أنَّ المقاومة تعني أنَّ الشعب العراقي الذي سلبت أمريكا ارادته وهكذا الغرب ، ومنذ عام ١٩٢١ الى الان يتناوب الغرب على احتلال العراق ونهب خيراته ، وقتل العلماء وتشريد الحوزات واغتيال المراجع وتغييب الهوية وتهميش المكون الشيعي ، وتمكين السلطات العميلة وتمكين حزب البعث على مقدّرات العراق والسعي الان لإعادة انتاج نسخ منه .

هذا الشعب اليوم كله ، وليس مجاميع محدده منه تدافع عن عملياتها السياسية وعن مصالحها وهويتها الإسلامية ، وتدافع عن سيادة العراق ، وكل هذا لا يتم الا بمواجهة المشروع الامريكي البريطاني في العراق ، والذي تغذيه الوهابية والقومية الخليجية .

وبالتالي أمام هذه الحقيقة نجد أنَّ كل الشعب العراقي بمختلف أطيافه هو مقاومة وما التشكيلات الجهادية ، إلا نخب تمثّل إرادة الشعب العراقي في الدفاع عنه وعن أمنه واستقراره ومصالحه .

نعم يجب أن يسود هذا المفهوم الحقيقي لمفهوم المقاومة ، فكل تشكيل هو الشعب العراقي بأسره والحشد الشعبي هو الشعب العراقي كلّهُ ، والدليل أنَّ نعث الشهيد سليمان والشهيد المهندس شيعته وبكنه كل الجماهير والحوزات والمرجعيات ، وهذا دليل راسخ على أنَّ الجهاد خط الأمة الإسلامية وهو فرضها الخامس .

ومن الفهم الخاطئ هو : أنَّ المقاومة مشروع طارئ على حركة التشيع في العراق ، وأنّه ثقافة

مستوردة .

والصحيح : أنَّ تاريخ الشيعة آل البيت في العراق يكشف انهم لا يتخلّون عن مشروع الجهاد عبر التاريخ منذ ثورة العشرين وقبلها وبعدها ، وأنَّ مسيرة الامام محسن الحكيم والصدين والدعاة ، وشهيد المحراب ومسيرة آلاف الشهداء والسجناء يؤكّد أنَّ تاريخ الشيعة هو ذاته تاريخ المقاومة ، فقد قاوموا الاحتلال الاجنبي البريطاني وثورة العشرين تشهد لهم ، وقاوموا التفرقة الطائفية ومواقف الامام كاشف الغطاء والامام محسن الحكيم شاهدة ، وقاوموا الطغيان البعثي الصليبي ودماء الصدر الاول والثاني تؤكّده وصولاً الى مقاومة الشيعة في العراق الاحتلال الامريكي والقاعدة وداعش .

وعليه إنَّ حركة الجهاد والمقاومة راسخة في وجدان وحركة التشيع العراقي ؛ و لأجلها قدموا آلاف الشهداء والضحايا والمعتقلين والسجناء بل هم من ألهموا الاجيال الثورات والتحرر . ومن المفاهيم الخاطئة هو : أنَّ المقاومة مشروع إيراني لرعاية مصالحها وأهدافها ، وليس مشروع عراقي .

والصحيح : أنَّ المقاومة في العراق كانت في حركة التشيع ؛ لمواجهة الاستكبار وذبوله في العراق قبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران منذ الاحتلال العثماني والبريطاني ثم القومي والشيوعي والبعثي . نعم إنَّ الجمهورية ساندت المقاومة وعززت الثورة ودافعت عن الشعب العراقي ومصلحتهم

ووقفت الى جانبه عبر تاريخه وتاريخها ، وليس أدل الموقف الخالد للجمهورية في إسناد فتوى الجهاد الكفائي بتعزيز قدرات المقاومة الشيعية والسنية ضد داعش المشروع الأمريكي الخليجي ، من هنا شيعت المرجعية في النجف الأشرف الشهيدين ، ومن هنا قال المرجع الأعلى السيستاني في رسالته المعنونة الى المرجع الخامنئي في الشهيد سليمان « أنه شهيد لا يمكن أن تنسى جهوده الكبير » .

وقيل : إنَّ المقاومة تعني حمل السلاح فقط .

الصحيح : أنَّ المقاومة تعني السلاح بالعلم والمال والثقافة والاعلام والبناء والتنمية والوعي والسلاح أحد مفردات المقاومة .

ووفق هذا المفهوم إنَّ المرجع والحوزوي والسياسي والمجاهد والفنان والاعلامي والمهندس والخبير ومدير المصنع ورجل الاعمال ، وكل من يحمل هدف تطوير قدرات المسلمين وغيرهم كلهم مقاومة لتطوير

وننهضة المسلمين واثبات وجودهم ودولتهم وصون دمائهم وكرامتهم .
إنّا - شعب - ندافع عن وجودنا ومراجعنا ومقدساتنا وحوزاتنا ومراقدنا وعن عقائدنا وفكرنا وقيمنا
ومصالحنا وهويتنا وخيراتنا كلنا ضدّ المشروع الاستكباري الذي يريد أن يفرض وجوده لنهب خيراتنا فنحن
شعب مقاوم .



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ:

مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

نَقَرُّكُمْ كَامِلٌ بِمُنَاسَبَةِ اسْتِشْهَادِ
الْقَائِدِ الْحَاجِّ قَاسِمِ سُلَيْمَانِي وَالْقَائِدِ أَبُو مَهْدِي الْمُهَنْدِسِ



المَحْوَرُ الْأَوَّلُ:

الْبَيِّنَاتُ

❖ المَرْجِعِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ ❖
❖ الشَّخْصِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ ❖
❖ الدُّوَلُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ ❖

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

السيد علي الخامنئي

نص بيان تعزية الإمام الخامنئي بمناسبة استشهاد اللواء حاج قاسم سليمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشعب الإيراني العزيز

ها قد حلق لواء الإسلام العظيم وشامخ القامة إلى السماوات. لقد عانقت ليلة أمس أرواح الشهداء الطيبة روح قاسم سليمان الطاهرة. إن سنوات من الجهاد الخالص والشجاع في ساحات مقارعة شياطين وأشرار العالم، وأعوام من تمني الشهادة في سبيل الله بلغت أخيراً سليمان العزيز هذه المنزلة الرفيعة إذ سُفكت دماؤه الطاهرة على يد أشقى أفراد البشر على وجه الأرض. إنني أتقدم بأسمى آيات التبريك لصاحب العصر والزمان بقية الله الأعظم (أرواحنا فداء) ولروحه الطاهرة وأعزي الشعب الإيراني، لقد كان نموذجاً بارزاً للناهلين من فيض الإسلام ومدرسة الإمام الخميني، فقد أمضى جُلَّ عمره بالجهاد في سبيل الله. الشهادة كانت جزاء مساعيه الحثيثة طوال كل هذه الأعوام. سوف لن يتوقف عمله ونهجه برحيله بحول وقوة من الله ولن يبلغ طريقاً مسدوداً، لكن الانتقام الشديد سيكون بانتظار المجرمين الذين تلوّثت أيديهم القذرة بدمائه ودماء سائر شهداء حادثة الليلة الماضية. الشهيد سليمان شخصية مقاومة دولية وإن جميع محبيه يطالبون بالتأثر لدمائه. فليعلم جميع الأصدقاء - والأعداء أيضاً - أن نهج الجهاد في المقاومة سيتسمر بدوافع مضاعفة وأن النصر الحاسم سيكون حليف مجاهدي هذا المسار المبارك. فقدان قائدنا المضحّي والعزيز مرير لكن استمرار النضال وتحقيق النصر النهائي سوف يكون أشد مرارة على القتلة والمجرمين.

سوف يُكرم الشعب الإيراني اسم وذكرى الشهيد رفيع الشأن اللواء قاسم سليمان والشهداء الذين كانوا معه خاصة مجاهد الإسلام الكبير السيد أبو مهدي المهندس وإنني أعلن الحداد في البلاد لثلاثة أيام وأتقدم بأسمى آيات التبريك والعزاء لزوجته الكريمة وأبنائه الأعزاء وسائر أقربائه.



المرجعات الدينية



الإمام السيد علي الحسيني السيستاني
نص الخطبة الثانية الواردة من مكتب الإمام السيستاني في النجف الأشرف
التي ألقاها ممثل المرجعية الدينية العليا فضيلة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي
في يوم الجمعة (٧/ جمادى الأولى/ ١٤٤١هـ) الموافق (٢٠٢٠/١/٣)
أيها الأخوة والأخوات
نقرأ عليكم نص ما وردنا من مكتب سماحة السيد (دام ظلّه) في النجف الأشرف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تتسارع الاحداث وتتفاقم الازمات ويمر البلد بأخطر المنعطفات، فمن الاعتداء الآثم الذي تعرضت له مواقع القوات العراقية في مدينة القائم وادى الى استشهاد وجرح العشرات من ابنائنا المقاتلين، الى الحوادث المؤسفة التي شهدتها بغداد خلال الايام الماضية، الى الاعتداء الغاشم بالقرب من مطارها الدولي في الليلة الماضية بما مثله من خرق سافر للسيادة العراقية وانتهاك للمواثيق الدولية، وقد أدى الى استشهاد عدد من ابطال معارك الانتصار على الارهابيين الدواش، ان هذه الوقائع وغيرها تنذر بان البلد مقبل على اوضاع صعبة جداً، وإذ ندعو الاطراف المعنية الى ضبط النفس والتصرف بحكمة نرفع اكفنا بالدعاء الى الله العلي القدير بأن يدفع عن العراق وشعبه شر الاشرار وكيد الفجار. «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتْ الْقُلُوبُ وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَشَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَأُنْضِيتِ الْأَيْدَانُ، اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكُونُ الشَّنَانِ وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تَشَتَّتْ أَهْوَانُنَا، وَكَثُرَتْ عَدُونُنَا وَقَلَّتْ عَدَدُنَا، فَفَرِّجْ عَنَّا يَا رَبِّ بَفَتْحِ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَنَصْرِ مِنْكَ تُعِزُّهُ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ».

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

الإمام السيد علي الحسيني السيستاني
نص تعزية الإمام السيستاني إلى الإمام الخامنئي
بمناسبة استشهاد اللواء حاج قاسم سليمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سماحة المستطاب آية الله السيد علي الخامنئي دامت بركاته
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
لقد آلمنا كثيراً خبر استشهاد اللواء العظيم الحاج قاسم سليمان
رحمة الله عليه.
أن الدور الفريد للمرحوم في سنوات الحرب مع عناصر داعش في
العراق والأنعاب الكثيرة التي تحملها في هذا المجال لا يمكن أن تنسى.
إنني أقدم التعازي بمناسبة فقدان هذا الشهيد العزيز إلى جنابكم
والى أولاده المكرمين وعائلته المحترمين وجميع الشعب الإيراني
الشريف وعلى الخصوص أهالي كرمان الأعزاء وادعوا الله المنان أن
يعلي درجات الفقيد ويمن على ذويه بالصبر الجميل والأجر الجزيل.
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

السيد علي الحسيني السيستاني
٨ جمادي الاول ١٤٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أنا لله وأنا إليه راجعون)

جناب مستطاب آية الله آقا خامنئي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جناب شهيد سردار عظيم آقاى حاج قاسم سليمان رحمة الله عليه
موجب تأسف وتأثر فراوان سدد. نقش كم نظيراً لمرحوم در طي
مساليان بيكار با عناصر داعش در عراق، وزجات فراوانى را كه در
اين راستا محمل شند فراموش ناسدنى است.

انجانب ضايعة فقدان آن شهيد والامقام را به جنابعالى و بزرگوار
مكرم و ديكر بستگان محترمان و به همه ملت شريف ايران به ويژه
به مردم عزيز كرمان تسليت عرض نموده، و از خداوند منان بربا
آن فقيد سعيد علو درجات و بربا بارماندگان صبر جميل و اجر
جزيل مسألت دارم. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

١٤٨ / ٨
١٤٤١ هـ
عبدالله محمد حسينى

المرجعات الدينية

السيد كاظم الحسيني الحائري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠.

يا وليّ الله.. يا مولانا يا حجة الله ﷺ إليك نرفع العزاء، لأنك صاحب المصاب، وإلى نائبك قائد المسيرة الإسلامية وراعي المقاومة سماحة السيّد الخامنئي دام ظلّه باستشهاد القائد الشجاع الحاج قاسم سليمان والمجاهد الحاج أبي مهدي المهندس وثلة من أبناء الحشد المقدّس رضوان الله تعالى عليهم.. وإلى رفاقهم في درب المقاومة والإباء في العالم الإسلاميّ أجمع..

إنّ الشهادة كانت ولا زالت مصدر قوتنا وسرّ بقائنا وسبب وعي وبصيرة أمّتنا، قدّمنا في هذا الطريق أحبّ رموزنا وأطهرهم من أئمة معصومين، وفقهاء مجتهدين، وقادة ميدانيين، ومن عامّة المؤمنين.. فكان القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة، لا نرجو أن يكون العظميان القياديان آخر من سار في هذا الدرب الداميّ، وخاتمة قافلة الشهداء الأبرار، فمتى كان الشيطان الأكبر وحزبه وجنوده تائباً إلى الله، راجعاً عن جرائمه..

ومتى كان الاغتيال والقتل سبباً لانتكاستنا أو تراجعنا.. هل علمتم أيّها الأمريكيان الصهاينة العتاة كم قتل صدام منا ؟ هل علمتم عدد المقابر الجماعية في عراقنا ؟ هل كان في التاريخ أكثر بطشاً من صدام وأبشع ممارسة من البعثيين المجرمين ؟ قتلوا قاداتنا، وسجنوا أبناءنا، وهجّروا عوائلنا، وأرهبوا شعبنا، لكن غدونا أمة أصلب عوداً، وأرقّ جلوداً، وأقوى وقوداً وأبطأ خموداً.. فتهدّد أمّتنا اليوم كيان العدو المستكبر الأمريكيّ والرجعيّ.. فقد خاب المستكبرون والرجعيّون من أصحاب العسكر والمال والنفط في زعمهم أنّهم قادرون على استئصالنا أو إضعافنا.. فإنّ لهم بالماضين لبرة: ﴿وَعَادَا وَتَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ... وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ... فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴿العنكبوت ٢٨ - ٤٠﴾ بل وليس مثل صدام ومعمار القذافي وأضرابهما منكم ببعيد..
يا أبناءنا في المقاومة الإسلامية أجمع.. ويا شبابنا الأبطال في عالمنا الإسلامي.. قد عهدتكم سوح الوغى على مرّ الدهور والأيام بالشجاعة والثبات والمقاومة في لبنان وفلسطين والعراق وسوريا واليمن وغيرها من بلاد الإسلام.. وسطّرتكم المثل الأعلى في تلقين العدو الإسرائيلي، والمحتل الأمريكي، والغازي السعودي درساً بليغاً في التحدي، وسطّرتكم البطولات في ميادين المواجهة ﴿لَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء: ١٠٤. ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النحل: ٢٦.
يا أبناءنا الكرام.. ويا عشائرننا الغيرة في بلاد الرافدين.. قتلها سابقاً وأقولها اليوم بعد أن صار انتهاك الحرمات عياناً والتعدي على المقدّسات بياناً، فلا حرمة عندهم لأرضنا وسمائنا ودماء رجالنا.. أقول: يحرم إبقاء القوّات الأمريكيّة وحلفائها، ولا بدّ من العمل الجادّ لصون أرضنا، وحفظ حرماننا، فلا شرعيّة لهذه القوّات على أراضيها. وعلى المسؤولين تبني إلغاء الوجود الأمريكيّ أو ما يسمّى بقوّات التحالف من أرض وطننا الحبيب. وأدعو الفصائل المجاهدة والغيرة وأبناء عشائرننا الشريفة الذين سطّروا الملاحم المشرّفة في طرد الغزاة الداعشيين، بل العلماء المعظمين في الحوزات العلميّة المباركة أن يكونوا على جاهزية تامّة في مواجهة العدو المحتل ويقفوا صفّاً واحداً مترامساً بعيداً عن كلّ خلاف مضى مساندين لرجال القرار في





الحكومة في تبني مشروع إلغاء الوجود الأمريكي.

واعلموا أنّ ذلك يكتبه لكم التاريخ وتحفظه لكم الأمة بأجيالها القادمة.. يَلِ يُسَجَّلْ لكم في ميزان ولائكم لإسلامكم ونصرة وليكم رُوحِي له الفداء، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿النساء: ٦٩ - ٧٠. واني لأدعو الله لكل هؤلاء أن: كثر عدّتهم، واشدّ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألف جمعهم، ودبر أمرهم، وواتر بين ميرهم، وتوحد بكفاية مؤنهم، واعضدهم بالنصر، وأغنهم بالصبر، والطف لهم في المكر.

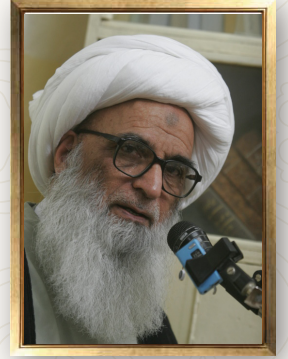
ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

٧ / جمادى الأولى / ١٤٤١ هـ

كاظم الحسيني الحائري

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

الشيخ بشير النجفي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾
صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمُ.

ببالغ الأسف وبقلوب مليئة بالإيمان برضا الله وقضائه نعزي مولانا الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام ببطلين عزيزين دافعا عن المقدسات ونالا شرف الشهادة هما الشهيدان السعيدان الحاج قاسم سليماني والحاج جمال (أبو مهدي المهندس).

ونستنكر أشد الاستنكار الاعتداء على الأراضي العراقية وخرق السيادة وخرق الاتفاقات الدولية، ومن المؤسف أن يصبح العراق ميدان الحرب وتصفية الحسابات. ونعزي العالم الإسلامي والشعبين العراقي والإيراني والقيادات في البلدين وذوي الشهداء بهذا المصاب.

ونسأل الله أن يحشرهما ومن استشهد معهما مع محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) في الفردوس الأعلى، وأن يرزق هذه الأمة المرحومة الصبر والسلوان والتعويض بمثلهما لنصرة الإيمان والبلاد الإسلامية إنه أرحم الراحمين.
﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾...

المرجعات الدينية

الشيخ ناصر مكارم شيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد هزنا جميعاً نبأ استشهاد القائد الإسلامي الكبير والشجاع والفريد في شخصيته الحاج قاسم سلیماني. فقد كان الشهيد هامة كبيرة قلّ نظيرها لما يمتلكه من وعي كبير، ولا شك أن اسمه سيبقى مخلداً في التاريخ الإسلامي والعالمي كقائد ملهم وسيحتذي بطريقه كثيرون. لقد حفر الأمريكان بارتكابهم لهذا العمل الوحشي قبرهم وسينتظروهم جراء تلك الحماقة انتقام شديد.

أنا بدوري أبارك وأعزي جميع أتباع الحق ومجاهدي الإسلام وأحرار العالم ومحبيه في كل مكان بمن فيهم أسرته الشريفة، وأنا على يقين أن محبيه سيكملون مسيرته بقوة وعزيمة مضاعفة.

ناصر مكارم الشيرازي

٣/١/٢٠٢٠



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

الشيخ نوري حسين الهمداني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

تطاول الإستكبار العالمي وأيديه الأثمة والخبیثة مرة أخرى ليرتكب عدوان غاشم وفعلة شنيعة وذلك بإستشهاد أفضل عباد الله الصالحين والمخلصين، إن الجميع يعلم بأن جبهة المقاومة والصمود هي اليوم شوكة في أعين الأعداء وتشكل الأرضية المناسبة لمحو الأستكبار وقطع دابرهم من المنطقة.

ولاشك فإن إستشهاد قادة هذه الجبهة ولاسيما البطل الحاج قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس القيادي في الحشد الشعبي توطأ لمستقبل مشرق وواعد وتمهد بالتأكيد لدحر العدو وسقوطه في الهاوية. وقد كانت هذه الثلة الصالحة تستحق وسام الشهادة ونيل أجر الجهاد في سبيل الله تعالى وكما قال الإمام الخميني (علیه السلام): (الشهادة هي فن وعزيمة رجال الله).

ويجب أن يعلم الأعداء بأن هذا الشعب المليونى يعشق الشهادة ويطلبها وسوف يستمر في خطى هؤلاء الشهداء السعداء ولن يتراجع عن هذا الطريق مهما كلف الأمر.

وبدوري أرفع اسمى آيات التهاني لأرواح هؤلاء الشهداء الأبرار السعداء وخاصة روعي الحاج قاسم سليماني ورفيقه في الدرب الشهيد ابو مهدي المهندس وتعازي الى جميع شعوب العالم الحرة.

حسين النوري الهمداني

المرجعات الدينية

الشيخ لطف الله الصافي كلبيكاني

بسمه تعالى

ببالغ الأسى والاسف الشديد تلقيت خبر استشهاد بطل الاسلام الكبير المجاهد الحاج قاسم
السلیماني.

الشهيد الذي نذر حياته للاسلام وخدمة الناس والدفاع عن القيم الاسلامية، الشهيد السعيد
كان من عشاق أهل البيت عليه السلام والأئمة الطاهرين وخصوصاً سيد الشهداء عليه السلام، كان موالياً ومتبعاً لخط
أهل البيت ومدرستهم في طليعة المجاهدين المرابطين في مقارعة أعداء الاسلام والارهابيين الخونة
المنحرفي الفكر.

﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾

أعزي الأحرار في العالم والشعب الإيراني واسرة الشهيد بشهادة هذا المجاهد الكبير وجمع من
رفاقه خصوصاً الشهيد أبو مهدي المهندس.

وختاماً أسأل الله تعالى العزة والنصرة للاسلام العزيز وللاُمة الرفعة والكرامة في ظل رعاية بقية
الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

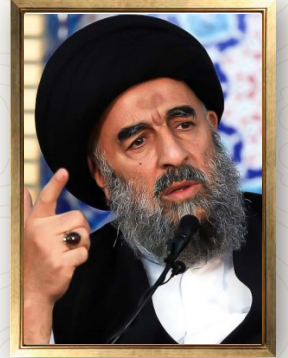
٧ جمادي الأولى ١٤٤١

لطف الله الصافي



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

السيد محمد تقي المدرسي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

لقد حقق شهداء الإسلام الذين قادوا الجهاد ضد الإرهاب، الأخ الحاج ابو مهدي المهندس والأخ الحاج قاسم سليمان ورفاقهم، أمنيتهم وأمنية كل مسلم في تقديم أنفسهم قربانا للدين، لتبقى كلمة الحق هي العليا، وتدحض كلمة الباطل فتكون هي السفلى.

إننا إذ ندين هذا العدوان الغاشم، نقدم العزاء للمؤمنين في العراق وإيران شعباً وقيادةً، نؤكد أنَّ شعوبنا التي تشبعت ببصائر القرآن وتسلمت بثقافة النبي ﷺ، وبمنهج أهل بيته ﷺ في المقاومة والدفاع عن المقدسات، إنَّهم سيزدادون صموداً و شموخاً بمثل هذه المصائب، وإنَّ أعدائهم لن يجنوا منها سوى الخسران؛ فإنَّ "يوم المظلوم على الظالم أشدَّ من يوم الظالم على المظلوم".

ولا جرم أنَّ عراق المقدسات لن يسمح بالعدوان أن يستمر، ولن يستسلم لغطرسة الأعداء وتاريخنا أكبر شاهد على ذلك والله المستعان.

محمد تقي المدرسي

كربلاء المقدسة

٧ جمادى الأولى ١٤٤١

الدُّولُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ

الرئيس السوري بشار الأسد



أرسل الرئيس بشار الأسد برقية تعزية لسماحة آية الله العظمى الإمام علي الخامنئي قائد الثورة الإسلامية الإيرانية حول استشهاد كوكبة من قادة المقاومة وعلى رأسهم اللواء قاسم سليمانني قائد فيلق القدس. وقال الرئيس الأسد فيها «سبقتي ذكر الشهيد سليمانني خالداً في ضمائر الشعب السوري الذي لن ينسى وقوفه إلى جانب الجيش العربي السوري في دفاعه عن سورية ضد الإرهاب وداعميه وبصماته الجليلة في العديد من الانتصارات ضد التنظيمات الإرهابية».

وأضاف الرئيس الأسد «هذا العمل الإجرامي الذي ارتكبته الإدارة الأميركية يؤكد مجدداً نهجها المتواصل في دعم الإرهاب ونشر الفوضى وعدم الاستقرار ونشر شرعية الغاب خدمةً للمشاريع الصهيونية والاستعمار في المنطقة والعالم ككل»، مردفاً «إننا على ثقة بأن هذه الجريمة ستزيد محور المقاومة عزماً على مواصلة الوقوف في وجه السياسة الأميركية التخريبية في المنطقة، وفي وجه كل قوى الظلم والعدوان في العالم».

وتابع الرئيس الأسد «لا شك لدينا أبداً أن نهج الشهيد سليمانني ورفاقه سيزداد رسوخاً في عقول الشباب المقاوم بعد استشهادهم كما سيزداد هذا الشباب تصميماً وعزيمة لمواصلة النهج الذي بدأه الشهيد ورفاقه والبناء عليه لتعزيز قوة ومنعة المقاومة في وجه أعداء منطقتنا وإحقاق الحق وإرساء حكم إرادة الشعوب في العالم برمته».

كما أرسل الرئيس الأسد برقية أخرى للرئيس حسن روحاني جاء فيها «لقد ألمنا وأحزننا نبأ استشهاد كوكبة من قادة المقاومة وفي مقدمتهم اللواء قاسم سليمانني قائد فيلق القدس إثر عدوان أمريكي غادر وجبان»، مضيفاً إن «استشهاد هؤلاء القادة الذين أفنوا حياتهم خدمة لقضية المقاومة والدفاع عن الحق والشرف سيشكل منارة تضئ درب كل من سار معهم في هذا النهج وسيعزز في نفوس الأجيال القادمة من المقاومين الشرفاء أينما وجدوا الإصرار والعزيمة على القيام بكل ما يلزم من أجل وضع حد للسياسات العدوانية التي تنتهك حقوق الشعوب وسيادة الدول والتي دأبت الولايات المتحدة على انتهاجها في منطقتنا».

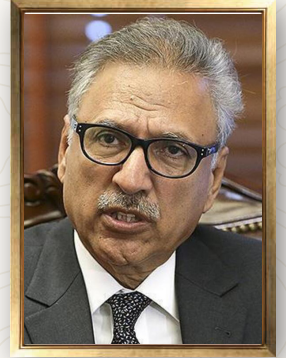
وأضاف الرئيس الأسد «دماء الشهداء ستزيد محور المقاومة قوةً وتعاضداً وإصراراً على تحرير منطقتنا من الاحتلال والاستيطان ومصادرة حقوق الشعوب في أرضهم وثرواتهم».

وختم الرئيس الأسد قائلاً «أعرب باسمي وباسم الشعب العربي السوري عن تضامننا الكامل مع الشعب الإيراني الصديق وعن خالص عزائنا ومواساتنا لأسر الشهداء سائلاً الله عز وجل أن يتغمدهم بواسع رحمته وأن يلهمكم الصبر والسلوان».

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

الرئيس الباكستاني عارف علوي

عزى الرئيس الباكستاني عارف علوي، باستشهاد الفريق قاسم سليمان، وذلك خلال تسلمه أوراق اعتماد السفير الإيراني الجديد في اسلام آباد محمد علي حسيني. وقدم الرئيس الباكستاني تعازيه بمناسبة استشهاد الفريق سليمان وكذلك مقتل ركاب الطائرة المدنية الأوكرانية التي سقطت فجر امس الاربعاء في محيط مطار الامام الخميني (رض) الدولي بطهران. وأشار الرئيس الباكستاني خلال اللقاء الى الاواصر التاريخية والثقافية والدينية والاجتماعية بين البلدين ودورهما الفاعل في المنطقة والعالم الاسلامي وقال ان اسلام آباد وطهران لديهما فرص كبيرة وطاقت هائلة لتعزيز التعاون الثنائي. وأشار علوي الى التطورات الاخيرة في المنطقة وقال ان بلاده مستعدة لتقديم المساعدة من اجل ازالة التوتر لان ديمومة السلام والاستقرار تعد مطلبا لجميع دول المنطقة. ودعا الرئيس الباكستاني السفير الإيراني بان يبلغ تحياته الحارة لنظيره الإيراني حسن روحاني.



الرئيس التنفيذي للحكومة الأفغانية عبد الله العبد الله

عزى الرئيس التنفيذي للحكومة الأفغانية «عبدالله عبد الله»، باستشهاد الفريق «قاسم سليمان» خلال اتصال هاتفي مع نظيره الإيراني. وأفادت وكالة مهر للأنباء أن وزير الخارجية الإيرانية «محمد جواد ظريف» بحث مع الرئيس التنفيذي للحكومة الأفغانية «عبدالله عبد الله» في اتصال هاتفي قضايا التعاون المشترك بين البلدين. وكما عزى عبدالله باستشهاد الفريق «قاسم سليمان» وزير الخارجية الإيراني والحكومة واسرة الشهيد.



الدُّولُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ

رئيس جمهورية لبنان ميشيل عون

قدم الرئيس اللبناني ميشيل عون التعازي للرئيس الإيراني حسن روحاني باستشهاد قائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليمان. وجاء في نص برقية التعزية : «تلقيت بألم نياً اغتيال قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني اللواء قاسم سليمان ومجموعة من المسؤولين والمرافقين، في توقيت بالغ الدقة في منطقة الشرق الأوسط، وبما يمكن أن يرفع حجم التحديات التي تواجهها دول المنطقة، ومنسوب التوتر والتهديدات الأمنية. في هذه المناسبة الأليمة، أتوجه اليكم وإلى الشعب الإيراني الصديق بتعزيتي القلبية، مؤكداً إدانة لبنان للجريمة التي أدت إلى مقتل اللواء سليمان وصحبه، سائلاً الله تعالى أن يتغمّد الفقيد برحمته، ويمنحكم الصحة والحكمة لمواجهة تداعيات هذه الحادثة، وتثبيت الاستقرار والسلام في ربوع بلادكم، وتحقيق الأمن والازدهار لشعبكم».

كما وجّه الرئيس عون برقية مماثلة الى الرئيس العراقي برهم صالح، معزياً ومديناً الجريمة التي أدت إلى اغتيال نائب قائد الحشد الشعبي ابو مهدي المهندس، «والتي أتت فيما تسعون إلى تثبيت الاستقرار في بلادكم، ومواجهة التحديات السياسية والاقتصادية والأمنية».



رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

هو قدر المقاومين... إما النصر أو الشهادة... فمن عظيم النعم التي منّ بها الباري عز وجل على الثورة الإسلامية في إيران وعلى امتنا الإسلامية وعلى المقاومين الأحرار في العالم... اننا في مقام رحيل واحد ممن حازوا الحسنيين النصر والشهادة عنيت به الشهيد الحاج قاسم سليمان... الذي نحسبه شهيداً من شهداء الجنة الميامين.

نسأل الله العليّ القدير ان يسكن الشهيد الراحل الفسيح من جنانه ويلهمنا وإياكم الصبر والسلوان.



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

رئيس البرلمان العراقي محمد الحلبوسي

وقال الحلبوسي في بيان تلقى "النور نيوز" نسخة منه "بعميق الحزن والأسى تلقينا نبأ استشهاد نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي، القائد أبي مهدي المهندس ومساعديه، الذي كان له الدور البارز في معارك تحرير الأراضي العراقية من دنس عصابات داعش الإرهابي، مسطرا بذلك أروع صور الشجاعة".

واضاف ان "ما جرى في محيط مطار بغداد الدولي يوم أمس من استهداف لقائد عسكري ينتمي إلى المؤسسة العسكرية العراقية يعدُّ خرقاً سافراً للسيادة، وانتهاكاً للمواثيق الدولية، في حين أن أي عملية أمنية وعسكرية على الأراضي العراقية يجب أن تحظى بموافقة الحكومة"، داعياً "الحكومة في هذا الظرف الحساس إلى اتخاذ الإجراءات والتدابير السياسية والقانونية والأمنية اللازمة ؛ لإيقاف مثل هذه الاعتداءات".

وادان الحلبوسي "هذا الانتهاك"، محذراً "من تداعياته التي تهدد سلم العراق والمنطقة". وطالب الحلبوسي "الجميع إلى ضبط النفس، وتغليب الحكمة، وتوحيد الصفوف، ومواجهة التحديات، وإبعاد العراق عن أن يكون ساحة اقتتال أو طرفاً في أي صراع إقليمي أو دولي، وتجنبيه أي نزاعات مسلحة، والحفاظ على استقرار البلد وأمنه الذي أنهكته الحروب". وتابع "تعازيننا الحارة والمواساة إلى الشعب العراقي وهيأة الحشد الشعبي، كما نتقدم بالتعزية إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية باستشهاد ضيف العراق الحاج قاسم سلیماني، سائلين الله تعالى أن يرحم الشهداء ويتغمدهم بواسع رحمته ويلهم ذويهم الصبر والسلوان".



الدُّولُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ

وزير الخارجية الباكستاني شاه محمود قريشي

أجرى وزير الخارجية الباكستاني شاه محمود قريشي اتصالاً هاتفياً مع وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف تباحث خلاله حول التطورات الإقليمية والدولية الجارية مقدماً تعازيه باستشهاد الفريق قاسم سليمان.

وتباحث وزيراً خارجية باكستان شاه محمود قريشي مع نظيره الإيراني محمد جواد ظريف الاحد هاتفياً حول أحدث التطورات الإقليمية والدولية عقب اغتيال الشهيد الفريق قاسم سليمان.

وقدم وزير خارجية باكستان تعازيه لإيران حكومة وشعباً باستشهاد الفريق قاسم سليمان.



وزير خارجية لبنان جبران باسيل

اعرب وزير خارجية لبنان «جبران باسيل» في اتصال هاتفي مع نظيره الإيراني «محمد جواد ظريف»، عن مواساته الى ايران حكومة وشعباً بمناسبة استشهاد «الفريق الحاج قاسم سليمان».



وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي

كشفت وسائل إعلام إيرانية أن وزير الخارجية العُماني يوسف بن علوي أجرى اتصالاً هاتفياً مع نظيره الإيراني، محمد جواد ظريف على خلفية اغتيال قائد فيلق القدس في الحرس الثوري قاسم سليمان.

وأفادت وكالة أنباء "ايسنا" المحلية، بأن وزير الخارجية العُماني قدم تعازيه لظريف باستشهاد سليمان خلال الاتصال الهاتفي الذي جرى مساء السبت، فيما تباحث الوزيران التطورات الإقليمية التي تشهدها المنطقة.



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

وزير الخارجية التركي جاوش أغلو

في اتصال هاتفي مع وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، قدم جاووش أوغلو التعازي الى الحكومة والشعب الإيراني باستشهاد الفريق قاسم سليمانى إثر ضربة إرهابية غادرة نفذتها أميركا قرب مطار بغداد.



رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية

هاتف رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية، اليوم الأحد، وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، وعزاه في قائد فيلق القدس بالحرس الثوري قاسم سليمانى. ووفقاً لبيان للحركة، فقد عزى هنية الوزير الإيراني في «استشهاد قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليمانى، وأشاد بدوره في «دعم المقاومة، والوقوف إلى جانب حقوق الشعب الفلسطيني في مختلف المحطات».



المتحدث باسم تجمع المعاداة للصهيونية «ديفيد آشر

وقال المتحدث باسم تجمع المعاداة للصهيونية «ديفيد آشر معزياً المرشد الإيراني علي خامنئي والرئيس حسن روحاني والشعب الإيراني: «نحن ندين هذا الهجوم. نحن مع شعب إيران». ويعد التجمع من مؤيدي مقاطع إسرائيل، وداعمي حقوق الشعب الفلسطيني.



الدُّولُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ

تجمع علماء لبنان

أقام تجمع العلماء المسلمين» في لبنان الاربعاء حفلا تأبينيا للشهيدتين القائدين الفريق قاسم سليمان وأبو مهدي المهندس في مركزه في حارة حريك، وبحضور السفير الإيراني محمد جلال فيروزنيا وممثلين عن الاحزاب اللبنانية والفصائل الفلسطينية وعدد كبير من علماء الدين.

وتحدث بالمناسبة، رئيس المجلس السياسي في حزب الله السيد إبراهيم أمين السيد حيث قال إن ”هذه الشهادة هي دفع ورفع عظيم إلينا جميعا، لنتحمل المسؤولية الكبرى في المعركة الكبرى التي هي معركة مواجهة الأصيل بعد الانتصارات على الوكيل، على الأدوات التي زرعه العدو الأميركي في أكثر من ساحة أو أكثر من جبهة، وها هو الآن يعلن الحرب على نفسه بنفسه من خلال استشهاد الحاج قاسم والحاج أبو مهدي والشهداء الآخرين“.

واكد السيد أمين السيد ”هذا العصر ليس عصر الولايات المتحدة الأميركية، بل عصر نهاية الوجود الأميركي في المنطقة“، وشدد على أن ”كل ما حصل في فلسطين ولبنان وسوريا والعراق واليمن يأتي في سياق هذه المعركة الكبرى، والذين كان لديهم التباسات في الزمان هم وشأنهم“، موضحا ”اننا الآن أمام حقيقة ووضوح كاملين على هذا الصعيد، انه يجب أن نستعد للمعركة، لكن المعركة الآن أسهل بكثير من المعارك التي كنا فيها“.

بدوره، قال رئيس ”الاتحاد العالمي لعلماء المقاومة“ الشيخ ماهر حمود، ”قلنا مرات ومرات، من لم يستطع بعد ٤١ عاما من تجارب الثورة الإيرانية المتراكمة أن يرى فيها الايجابيات التي يستحق أن نحترمها وان نكون معها أو إلى جانبها بالحد الأدنى، من لم يستطع أن يرى ذلك عليه أن يعود إلى الكتاب من جديد ليدرس الإسلام من ألفه وبائه إلى يائه“.

من جهته، أكد القيادي في حركة حماس عبد الهادي ان ”المقاومة في فلسطين استطاعت ولأول مرة في تاريخ الصراع مع هذا العدو رسم معادلات رادعة لهذا الكيان الغاصب“، ولفت الى ”دور الشهيد سليمان في دعم المقاومة في فلسطين المحتلة“.

كما تحدث رئيس المجلس الأماء في التجمع الشيخ احمد الزين حيث قال ”نتنظر القرارات التي ستتخذها قيادة محور المقاومة ونضع أنفسنا بتصرفها ونبدي استعدادنا لبذل كل التضحيات الممكنة لتحقيق هذه القرارات“، وتابع ”نطالب الأمة ومن باب التكليف الشرعي، بالتوقف عن الخلافات الداخلية والدخول في أجواء المعركة صفا واحدا كالبنيان المرصوص“، واضاف ”لا يجب أن يعلو أي صوت على صوت المعركة، لأنها معركة حاسمة والنصر حليفنا بإذن الله وإلى لقاء قريب في رحاب المسجد الأقصى بإذن الله تعالى“.



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

المجمع العالمي للتقريب في العراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

واخيرا ترحل الفارس عن جواده وركب المركب الذي لا بد منه برأس مرفوع وتاريخ مشرف. حيث رحل الى جوار ربهما الكريم المجاهدان الحاج قاسم سليمانى ورفيق دربه الحاج ابو مهدي المهندس مرفوعي الرأس بعد رحلة طويلة قضياها في الجهاد ومواجهة قوى الاستكبار والتجبر في العالم. لقد نال الشهيديان العزیزان ما كان يسعىان اليه على يد شر خلق الله فان الشهادة هي النهاية الطبيعية لمسيرة حافلة بالجهاد والمقاومة وهي وسام شرف يتقلده المتخرجون من مدرسة الامام الحسين عليه السلام. ونحن في الوقت الذي نعيش الحزن والالام لفقد هذين العزیزين على ثقة كاملة بان طريقها ليس فقط سيستمر بل سوف يتقدم ببركة هذه الدماء الطاهرة التي ستمنح المجاهدين زخما كبيرا الى الامام. إن محور المقاومة الذي شيده القائد الشهيد سليمانى بجهده وجهاده وسهر عليه طويلا حتى شيد اركانه وعلا بنيانه سيستمر بشموخه وعنفوانه حتى القضاء على أمريكا وربيبتها اسرائيل وحتى ظهور الامام المهدي عليه السلام.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾

وانا لله وانا اليه راجعون

المجمع العالمي للتقريب في العراق



الدُّولُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ

حركة النجباء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾
أيها القادة الشجعان يا صادقي الوعد والسريرة الحاج قاسم سليمان والحاج ابو مهدي المهندس
لطالما رأيناكم تسعون خلف الشهادة منذ سنين وتتقفون آثارها على السواثر الامامية كلما حمي الوطيس
ولكنها تهرب منكم، وكأنها اليوم اشتاقت للقياكم، فهنيئاً لكم فقد نلتموها وانتم لها راغبون وعن الدنيا
زاهدون، فيا أيها الحاج العزيز على قلوبنا قاسم سليمان، نم قرير العين فسنكون كما كنت تردد في
معاركنا ضد تنظيم داعش في ال وتكريت وسمراء والموصل عندما ينعى الشهداء.

فتقول : يجب أن نبقي ثابتي العزم مصرين على تحقيق الأهداف المقدسة التي لأجلها جمعنا ولا
تنكسر في أحلك الظروف فإننا إن انكسرنا سنخسر المعركة
إخوتك لن ينكسروا ولن يتخاذلوا وسيربحون المعركة وسنبقى على العهد والوعد ليولد في قلب
كل واحد منا سليمان، ودماءكم ستكون ثورة وسيلا يجرف كبرياءهم وغرورهم وأذنانهم، لنحرر عراق
المقدسات وعاصمة دولة العدل الإلهي منهم ونظهره من قذاراتهم.
لتعلم أمريكا الشر أنها ارتكبت حماقة ستندم عليها، فبقدر ما في قلوبنا من ألم وحسرة على فقد
طاهر القلب والسريرة ورفاقه عهدا علينا أن كل ذلك الألم وتلك الحسرة ستتحول إلى حماس وغضب
وثورة نترجمها أرقاما على أرض الواقع وإن غدا لناظره قريب.

الامين العام للمقاومة الإسلامية

حركة النجباء

الشيخ اكرم الكعبي

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

حزب الله الحجاز

بسم الله قاصم الجبارين والمتكبرين

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. الأنفال. ٣٩

إن الأهداف الإلهية أهداف سامية تسعى لتحقيق الكمال والسعادة للبشرية وتحريرها من براثن العبودية لغير الله، وإخراجها من الظلمات إلى النور لتعيش حرة كريمة عزيزة، وهذه الأهداف لا تتحقق إلا بالجهاد والصمود والثبات والإستقامة على طريق الحق، والدفاع عن المظلومين والمستضعفين، وبذل الأرواح الطاهرة والنفوس الأبية.

لقد تلقينا خبر إستشهاد فقيد الأمة الإسلامية الكبير قائد فيلق القدس الأخ المجاهد الفريق الحاج قاسم سليمانى ورفيقه في ساحة الجهاد والمقاومة الأخ المجاهد الحاج أبي مهدي المهندس و ثلة من مرافقيهم المجاهدين الأبطال رضوان الله عليهم، ليلتحقوا بقافلة الشهداء وتعانق أرواحهم الطاهرة عنان السماء ليكونوا مع موعد للقاء الله سبحانه و تعالى.

إننا في حزب الله الحجاز نتقدم بأسمى آيات العزاء لفقدهم والتبريك لفوزهم بالشهادة إلى منقذ البشرية بقية الله في الأرض سيدنا ومولانا الإمام الحجة المهدي أروحا لمقدمه الفداء، وإلى نائبه بالحق قائدنا وولي أمرنا الإمام آية الله السيد علي الخامنئي، ونتقدم بالعزاء والمواساة إلى جميع المقاومين والمجاهدين، والشعوب الحرة والمستضعفة، وخاصة أهالي الشهداء وذويهم ومحبيهم برحيل أعزائهم وانتقالهم إلى دار البقاء.

إن حزب الله الحجاز يستنكر وبشدة هذا العمل الإرهابي الجبان والجريمة النكراء التي أقدم عليها الشيطان الأكبر (النظام الأمريكي) بإستهدافه قائد محور المقاومة الشهيد القائد الحاج قاسم سليمانى ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي العراقي القائد الحاج أبي مهدي المهندس ومرافقيهم، حيث إستباحث بهذه الجريمة وبقصفها منشآت كتائب حزب الله في الحشد الشعبي الأراضي العراقية الأعراف الدولية، وخالفت بذلك الإتفاقات الأمنية المبرمة مع الحكومة العراقية.

لقد ظن النظام الأمريكي وعملاؤه في المنطقة بني سعود أنهم بقتلهم للمجاهدين وقادة المقاومة



الدُّولُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ

سيضعفون من عزيمنتنا، وما علموا أننا لا نرهب الموت، فالموت لنا سعادة وكرامتنا من الله الشهادة، فالأمة التي أنجبت الشهيد الحاج قاسم سليمانى و الشهيد الحاج أبا مهدي المهندس وبقية القادة والشهداء ستزخر بأمثالهم الذين سيواصلون هذه المسيرة الإلهية المقدسة لمواجهة أمريكا (الشیطان الأكبر) حيث لن يقر لنا ولا لإخوتنا في محور المقاومة قرار إلا بالانتقام لدماء الشهداء وإخراج أمريكا من المنطقة وإزالة الكيان الصهيوني من الوجود، وإسقاط عرش بني سعود. إننا ندعو شعبنا و شعوب المنطقة إلى تحمل المسؤولية، والتحلي بالوعي في هذه المرحلة الخطيرة، ومعرفة أن العدو الحقيقي هو أمريكا التي تريد إثارة الفوضى والحروب، وتسعى لإجبار شعبونا للتطبيع مع الكيان الصهيوني المحتل، وهي التي تدعم بني سعود المجرمين الذين يقتلون إشقائنا في اليمن والعراق وسوريا والبحرين، ويقتلون شعبنا في الجزيرة العربية، وتزودهم بالتجهيزات العسكرية والأسلحة الفتاكة.

﴿وَلَا تَهْنُؤْا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ . النساء ١٠٤

حزب الله الحجاز

٩ جمادى الأولى ١٤٤١ هجري

٥ يناير ٢٠٢٠ م



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

رابطة خريجي جامعة المصطفى عليه السلام العالمية في العراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.
صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

ببالغ الحزن والأسى، وبقلوب يعتصرها الألم تلقينا نبأ استشهاد قادة المقاومة الإسلامية الحاج المجاهد قاسم سليمان والحاج أبي مهدي المهندس وثلة من المجاهدين ممن طهروا البلاد والعباد من دنس الإرهاب الداعشي الصهيوني، وذلك بغارة أميركية إرهابية عليهم في أرض المقدسات أرض العراق؛ فالتحقوا بركب شهداء كربلاء. ونحن إذ نعاهدكم بأننا لم ولن نتخلى عن طريق الحق والجهد والمقاومة في سبيل الله، كما ونعزي إمامنا صاحب العصر والزمان عليه السلام، والمرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف)، وقائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنائي (دام ظله الوارف)، والشعبين العراقي والإيراني بهذا المصاب الجلل، و ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
رابطة خريجي جامعة المصطفى عليه السلام العالمية في العراق



الدُّولُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ

السيد عبد الملك الحوثي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى في كتابه المجيد ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

ببالغ الحزن والأسى وبالإعزاز والاحترام لقداسة وكرامة مقام الشهادة، نتقدم بالتعازي والمواساة الى الجمهورية الإسلامية في إيران قيادةً ودولةً وشعباً، وإلى الشعب العراقي المسلم باستشهاد المجاهد الكبير القائد الحاج قاسم سليمان رحمة الله، والحاج المجاهد العزيز أبو مهدي المهندس ورفاقهما المجاهدين رحمة الله عليهم، الذين قضوا نحبتهم إثر الاعتداء الأمريكي الفاشم.

لقد فاز الشهيد الكبير ورفاقه وكرمهم الله بهذه الشهادة ليتوج بها مسيرته في الجهاد والعمل في سبيل الله تعالى، ومثلما كان في ميدان الجهاد والعمل فارساً عظيماً من فرسان الأمة ومن حاملي الراية وقائداً فاتحاً، فقد كانت شهادته خاتمة مشرفةً ولأثقة، وباعتداء مباشر من الشيطان الأكبر المستكبر الأمريكي الذي باشر جريمة عدوانه بمتابعة من مستوياته القيادية العليا.

إن هؤلاء الشهداء الأبرار من الشعبين المسلمين العريزين الإيراني والعراقي هم شهداء الأمة كل الأمة في معركتها للاستقلال ومواجهة الاستكبار والتصدي للعدو الأمريكي والإسرائيلي، ولن تذهب دماؤهم الطاهرة وتضحياتهم في سبيل الله والمستضعفين هدرًا، فكما كان جهادهم وعطاؤهم وصبرهم وعملهم الدؤوب في الليل والنهار يثمر نصراً وعزةً وفتحاً، فكذلك شهادتهم وتضحياتهم ستكون أعظم أثراً وأكبر إنجازاً ونصراً بإذن الله الكبير المتعال.

إننا نؤكد وقوفنا الى جانب أحرار أمتنا في معركة الكرامة والاستقلال والحرية ضد الاستكبار والاجرام الأمريكي والإسرائيلي الذي يحتم على كل المسلمين أن يكونوا صفًا واحداً كالبنيان المرصوص، وأن يدركوا ان العدو يستهدفهم جميعاً دون استثناء، ويسعى للسيطرة عليهم، وإن هذه الجبهة المتقدمة في التصدي للعدو متمثلة بمحور المقاومة وأحرار الأمة هي درع حصين للأمة، وانزعاج العدو الشديد واستهدافه بهذا المستوى إنما لما يمثله هذا المحور من إعاقة وافشال لمؤامراته، وإن العاقبة الحتمية للمتقين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رحم الله الشهيد الكبير الحاج قاسم سليمان رحمة الله والشهيد العزيز الحاج أبو مهدي المهندس ورفاقهما، وأعلى درجاتهم ومقامهم، وبارك الله في المجاهدين الأحرار في الحرس الثوري وقوة القدس و الحشد الشعبي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

نوري المالكي الأمين العام لحزب الدعوة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾
﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله)

قائد الجمهورية الإسلامية في إيران

نعزي سماحتكم وأنفسنا باستشهاد المجاهدين البارين بدينهما والمخلصين لعقيدتهما، والسائرين
على خطى سيد الشهداء عليه السلام القائد الفذ الفريق قاسم سليمان والمجاهد الكبير جمال جعفر (أبو مهدي
المهندس) نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي العراقي، بعملية مستنكرة جبانة قامت بها طائرات أمريكية
استباحة سماء العراق وأرضه بصواريخها الفادرة.
كما نعزي الشعبين الشقيقين الإيراني والعراقي الصابر، والأمة الإسلامية كافة بهذا المصاب
الجلل، و نؤكد استنكارنا الشديد لهذا العمل الفادر الذي استهدف عدداً من رجال الإسلام الأبطال، وندعو
الله تعالى أن يحشرهم مع شهداء بدر والطف.

الدُّولُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ

الحاج هادي العامري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

صدق الله العلي العظيم

ايها الشعب العراقي العزيز.. يا ابطال الحشد الشعبي الغياري.

بمزيد من الحزن والأسى ننعي المجاهد الكبير الحاج ابو مهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي، الذي استشهد مع ثلة من المجاهدين على الأيادي القذرة والغادرة للعدوان الأمريكي الغاشم في مطار بغداد، أثناء استقباله ضيفه القائد الكبير الحاج قاسم سليمان، لتتحقق امنيتهما الكبيرة في الحصول على الشهادة التي سعوا اليها منذ زمن بعيد.

وإذ ندين هذه الاعمال الاجرامية القذرة، نؤكد انها لن تزيدنا الا عزمًا وارادة وتصميما واصراراً على مواصلة طريق الجهاد والتضحية في سبيل المبادئ والقيم الإلهية وبناء العراق العزيز القوي المقتدر وتحقيق السيادة الكاملة.

واليوم نناشد كل القوى الوطنية لتوحيد صفوفها من اجل إخراج القوات الاجنبية التي اصبح وجودها عبثاً على العراق وبقاؤها يعني مزيداً من سفك الدماء العراقية، فقبل يومين تلطخت الايادي الاثمة بدماء ٩٠ شاباً من شبابنا الذين يرابطون في الحدود دفاعاً عن العراق وصونا للعرض وحماية للمقدسات، وأردوهم بين قتيل وجريح، واليوم تلطخت هذه الايادي بدم المجاهد الكبير الحاج ابو مهدي المهندس وضيفه الكريم القائد المجاهد الحاج قاسم سليمان وثلة من الشباب المجاهد.

كما اناشد كل ابنائي واخواني في القوات المسلحة والاجهزة الامنية جيشاً وشرطة ومكافحة الارهاب والحشد الشعبي بأخذ الحيطة والحذر التامين لحماية العراق من شر الاشرار.

وادعو اخواني في البرلمان الحضور واتخاذ قرارهم الجريء بإخراج القوات الاجنبية من العراق لأن وجودها اصبح يهدد العراقيين لا غير.

المجد والخلود لشهدائنا الابطال والصبر والسلوان لعوائلهم ومحبيهم ورفاق دربهم، والخزي والعار لأعداء العراق.

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

نيجيرفان بارزاني

بعث رئيس إقليم كردستان نيجيرفان بارزاني، اليوم الاثنين، رسالة تعزية إلى المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي بمقتل قاسم سليماني، قائد فيلق القدس بالحرس الثوري، بغارة أمريكية. وقال رئيس الإقليم في رسالته: « إِنَّ حادثة فقدان القائد الحاج قاسم سليماني هي محل أسف وقلق بالغين لدى حكومة وشعب إقليم كردستان »، وأضاف « لقد كان المرحوم رفيقا معنا ضد الدكتاتورية وداعما لنا ضد تنظيم داعش الإرهابي، بحيث أن جهوده كانت محل احترام لدى المسؤولين في العراق وإقليم كردستان ».

وتابع بارزاني « باسمي واسم شعب كردستان أقدم التعازي لجنابك ولعائلته الكريمة وأدعو الله أن يدخله فسيح جنانه ».

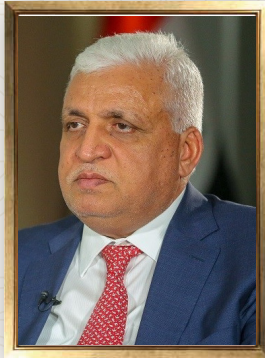


فالح الفياض

وقال الفياض، خلال مشاركته في حفل تأبيني لسليمان في إيران، بحضور القائد الثورة الإسلامية الامام علي الخامنئي، والقائد الجديد لفيلق القدس إسماعيل قاني، إن سليمان قدم الكثير للعراق والعالم الإسلامي والأمة والإنسانية، وأضاف: «ممثلا العراق في هذا التأبين أقدم التعازي لقائد الثورة والشعب الإيراني وعائلة سليمان، وأعتذر لضيقتنا المغدور، الذي غدر بخسة ودناءة، ونالت منه أيادي الشر في أراضي العراق، أراضي الحسين، التي لا طالما دافع عنها وساندها».

وأضاف الفياض: «أنقل تعازي كل العراق والحكومة والشعب الذي عبر عن حبه لهذا المجاهد الشجاع عندما شيعه في بغداد وأكثر من مدينة، وكان القول العراقي الشعبي الذي عبر عن غالبية العراقيين: «مشكور حاج قاسم وما قصرت ويانا»».

وختم الفياض مشيرا إلى أنه «لا بد من ذكر الشهيد أبو مهدي المهندس رفيق درب سليمان، الذي قضى معه على نفس اليد الخسيسة، وقد اختلطت دماؤهما، وهو الذي قدم الكثير للعراق وكان أبرز الأبطال الذين صنعوا النصر إلى جانب سليمان، على الإرهاب وداعش».



الشَّخْصِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ

السيد مقتدى الصدر

قال الصدر في بيان : «أعزي نفسي وأعزي الجمهورية الإسلامية الإيرانية مرجعية وقائدا وشعبا وحكومة باستشهاد المجاهد الحاج قاسم سليمان من معه من المؤمنين»، لافتا الى أنه «من المعلوم أن استهدافه من الاستكبار العالمي هو استهداف للجهاد والمعارضة والروح الثورية الدولية». وأضاف الصدر، «لن ينالوا من عزمننا وجهادنا، وأسأل الله أن يجنب المنطقة من الخطر، ويجنب عراقنا الحبيب المخاطر والبلاد»، متمنا «من الجميع التحلي بالحكمة والحنكة».



الشيخ عيسى احمد قاسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

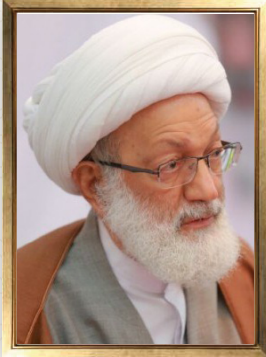
لقد امتدت يد العدوان الأمريكي الآثم بالاغتيال لكوكبة من المجاهدين الأبطال في مقدمتهم * عملاق الجهاد والعمل الدؤوب في سبيل الله الحاج قاسم سليمان والمجاهد الكبير أبو مهدي المهندس فنال فقدهما من قلوب الأمة المؤمنة ما نال وأفجعها، وفي الوقت نفسه أشعرها بالفخر العظيم بهذين الرجلين وأمثالهما ممن باعوا جماجمهم لله، وكل نظرهم رضوانه لا يلوون على شيء من هذه الدنيا، وإنَّ الأمة لتجد في شهدائها العظام من أهل الطريق الطويل في الجهاد والتعلق الصادق بالشهادة مدرسة تلهمها روح التضحية والفداء في سبيل الدين والكرامة وحرية الوطن الإسلامي والذود عن المقدسات والحرمان.

رفع الله درجات شهداء الحق والعدل في الجنة ورزقهم جوار محمد وآله الأطهار وأقر أعينهم بعظيم رضوانه.

التعازي المخلصة والتبريكات الإيمانية لصاحب العصر والزمان أرواحنا له الفداء، وللجمهورية الإسلامية الإيرانية قائدا عظيما وشعبا مخلصا وجميع الفقهاء العظام وللأمة المسلمة وأحرار العالم وعوائل الشهداء الكريمة.

عيسى أحمد قاسم

٠٣ يناير ٢٠٢٠



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

السيد كمال الحيدري

مناسبة استشهاد المجاهد الكبير الحاج قاسم سليمان ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي

الحاج ابو مهدي المهندس اصدر سماحة المرجع السيد كمال الحيدري بياناً كالتالي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

ببالغ الألم وبعظيم الفاجعة ننعى إلى منتظري الإمام الحجة المنتظر صلوات الله عليه وإلى أبطال الجبهات وأبابة الضيم وعشاق الشهادة الشهيد الحاج المجاهد قاسم سليمان وجمع من قادة الحشد الشعبي وفي مقدمتهم الحاج المجاهد جمال محمد جعفر (ابو مهدي المهندس) والذين نالوا الشهادة العظيمة على يد الغدر الأمريكية والصهيونية في مطار بغداد في الساعات الأولى من يوم الجمعة.

وإننا إذ نعزي الإمام المنتظر أرواحنا فداه وقائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي والشعبين الإيراني والعراقي بشهادة هذه الثلة المجاهدة التي راحت ضحية إخلاصها وتقانيها وعشقها الطريق الحرية والكرامة والإباء للشعوب المستضعفة، نؤكد أن هذه الفجيعة لن تفت في عضد المسيرة الجهادية بل ستعمق من إصرار المجاهدين على متابعة الدرب ومواصلة النهج، وهي ليست أول فاجعة نمى بها ونخرج منها أشد عزماً وأقوى شكيمة وأثبت قلباً، فمن يسير في الطريق الذي سار فيه هؤلاء المجاهدين لا يستغرب أبداً أن ينالوا الشهادة.



الشَّخِصِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ

السيد عمار الحكيم رئيس تيار الحكمة

عزى رئيس تيار الحكمة الوطني، السيد عمار الحكيم، باستشهاد ابو مهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي وقائد فيلق القدس في الحرس الثوري الايراني اللواء قاسم سليمانى بغارة امريكية في محيط مطار بغداد الدولي فجر اليوم الجمعة.

وقال السيد عمار الحكيم في بيان لسماحته «ببالغ الحزن والأسى نتقدم للشعبين العراقي والايراني بأحر التعازي باستشهاد القائدين الكبارين الحاج ابو مهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي وقائد فيلق القدس اللواء قاسم سليمانى، فقد افنى الشهيدان جل حياتهما بالجهاد والتضحية وكان لهما دور رائد في مقارعة الارهاب والانتصار على الإرهاب الداعشي».

وأضاف «اننا اذ نستذكر وندين بشدة هذا الاستهداف والانتهاك الصارخ لسيادة العراق فإننا نحذر من تداعيات و تأثيرات وخطورة هذا الاستهداف كونه يضع المنطقة على صفيح ساخن».

ودعا السيد عمار الحكيم «الحكومة العراقية في هذا الظرف الحساس لاتخاذ الإجراءات اللازمة لردع مثل هذه الاعتداءات».

كما دعا «شعبنا العراقي إلى الوحدة و التماسك و رص الصفوف لمواجهة التحديات».



الشيخ خالد الملا

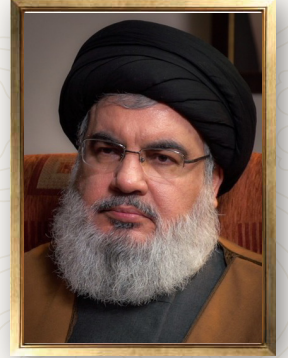
في كل الظروف وأصعبها ينبغي أن لا ننفصل عن الحالة الإنسانية بأنفسنا، أحداث كثيرة مرت على الأنبياء والمرسلين والعظماء لم يسخروا ويشمتوا من قتل خصمهم، أيها الشامتون هل تعلمون أن الذين قتلوا بالأمس كانوا يتمنون الشهادة ؟، هل تعلمون أنكم حينما كنتم تتامون على فراشكم الدافئ كان أبو مهدي المهندس وضيف العراق سليمانى يلتحفان الأرض ويقاقلان عصابات داعش صفا بصف مع قواتنا المسلحة. عصابات داعش الذين لو دخلوا علينا لذبحونا وانتهكوا أعراضنا و دنسوا مقدساتنا، هل قرأتم ما كتب في شهادة وفاة الحاج المهندس، إنه، متطوع في الحشد الشعبي،، يكفيننا هذه الروح المتمرة المفترسة، تباً لمن فقد إنسانيته.

وقلتها من قبل، وأقولها الآن... الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

السيد حسن نصر الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ صدق الله العلي العظيم

أما وقد وصل الأخ الحبيب والقائد العظيم الحاج قاسم سليمانى إلى غاية آماله وتحققت له أغلى أمنياته ونال وسام الشهادة الرفيع ليكون بحق سيد شهداء محور المقاومة، فإنني أتقدم من مولانا وإمامنا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه ومن سماحة الامام القائد آية الله العظمى السيد الخامنئي دام ظله ومن مراجعنا العظام ومن الإخوة الأعزاء مسؤولي الجمهورية الاسلامية في إيران لا سيما قيادة حرس الثورة الاسلامية ومن الشعب الايراني الكبير والمقاوم وبالاخص من عائلة الحاج قاسم الشريفة والمجاهدة فرداً فرداً بأسمى آيات التبريك بالشهادة وأسمى آيات العزاء بفقد هذا القائد الشجاع والمقدام والنموذج والقوة والأب الحنون لكل المقاومين والمجاهدين في منطقتنا.

هنيئاً له الشهادة، أنا أغبطه على هذه الشهادة العظيمة وعلى هذه العاقبة الحسنة في مدرسة الحسين وزينب عليهما السلام.

هكذا نرى المشهد والموقف، أما نحن الذين بقينا بعده، فسنكمل طريقه وسنعمل في الليل والنهار لنحقق أهدافه، وسنحمل رايته في كل الساحات والميادين والجبهات، وستعاضد انتصارات محور المقاومة ببركة دمائه الزكية كما كبرت بحضوره الدائم وجهاده الدؤوب، كما أن القصاص العادل من قتلته المجرمين الذين هم أسوأ أشرار هذا العالم سيكون مسؤولية وأمانة وفعل كل المقاومين والمجاهدين على امتداد العالم.

القتلة الاميركيون لن يستطيعوا إن شاء الله أن يحققوا اياً من أهدافهم بجريمتهم الكبيرة هذه، بل ستتحقق كل أهداف الحاج قاسم بفعل عظمة روحه ودمه وعلى أيدي اخوانه وأبنائه وتلامذته المقاومين والمجاهدين من كل شعوب أمتنا التي ترفض الذل والخضوع للمستكبرين والمستبدين.

المجد والعزة والرفعة وعلو الدرجات للقائد العظيم الشهيد الحاج قاسم سليمانى رضوان الله تعالى عليه ولجميع المجاهدين الأعزاء الذين استشهدوا معه لا سيما الأخ القائد الكبير الشهيد أبو مهدي المهندس رضوان الله عليهم جميعاً.

الشَّخْصِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ

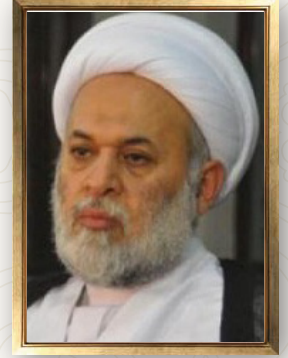
الشيخ جلال الدين الصغير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ببالغ الألم وبعظيم الفاجعة أنعى إلى منتظري الإمام المهدي المنتظر صلوات الله عليه وإلى أبطال الجبهات ورفاق الخنادق وأبابة الضيم وعشاق الشهادة الشهيد العظيم وصفوة الجهاد وعاشق الشهادة الفدائي المضحى من أجل المظلومين الحاج المجاهد قاسم سليمانى ورفيقه في الجهاد شيخ المجاهدين الحاج جمال محمد جعفر (ابو مهدي المهندس) والذين نالوا الشهادة العظيمة على يد برابرة الأمريكان والصهاينة في مطار بغداد في الساعات الأولى من يوم الجمعة ٢٠٢٠ / ١ / ٣.

وإني إذ أعزي الإمام المنتظر ارواحنا فداء والمراجع العظام لا سيما آية الله العظمى السيد الخامنئي قائد الثورة الإسلامية والشعوب المستضعفة بشهادة هذين المجاهدين الكبارين الذين راحا ضحية اخلاصهما وتفانيهما وعشقهما لطريق الحرية والكرامة والاباء للشعوب المقهورة، فإني أؤكد ما تؤكد سنن التاريخ ان شهادتهما لن تفت في عضد المسيرة الجهادية بل ستعظم من اصرار المجاهدين على متابعة الدرب ومواصلة النهج، وهي ليست اول فاجعة منى بها ونخرج منها اشد عزمًا واغوى شكيمة واثبت قلباً، فمن يسير في الطريق الذي سار فيه الحاج قاسم سليمانى لا يستغرب أبداً أن ينال الشهادة، فهذا الرجل العجيب في إخلاصه وتفانيه كان يمشي وسط الموت هيباً من أجل نهوضه بالتكليف الشرعي لا يبالى بالموت وقع عليه ام وقع هو على الموت، بل والله كان يبحث عن الشهادة بحثه عن الماء العذب ويطلبها طلبه للسعادة، ولطالما رأيته وهو يبكي في الدعاء طلباً للشهادة، فلا يحسب من قتله أنه أصاب الأمة بمقتل، فهذه أمة الحسين × تفنت في كيفية تحويل الألم الى أمل والفاجعة الى نصر والمظلومية الى حرية، وإن تكليفنا اليوم في مقاومة الاستكبار أوضح، فكما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ * إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ * وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ * وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

اللهم وان عظم المصاب وجل الخطب في زمن غيبة ولينا وتظاهر الزمان علينا وشدة الفتن بنا، ولكن لك الحمد يا الهي على عظيم البلاء وبك وبوليک المنتظر روجي فداء عظيم الرجاء، ولئن فجعنا



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

بمثل الحاج قاسم سليمانى فى هذا الزمن الحساس فأنت العليم الحكيم بمصالح عبادك ولك فيهم أمر أنت بالغه، وفي الطاغين والظالمين مكر انت مدركه، فأبدلنا عما أصابنا بتعجيل فرج وليك الاعظم صلواتك عليه وعلى ابائه، ووفقنا لمواصلة الدرب وشحذ الهمة ومضاء العزم وقوة البصيرة من أجل تحقيق أهداف دينك وشرعة نبيك ومنهج وليك.

هنيئاً لك يا حبيب الروح وصفي القلب ورفيق الدرب يا حاج قاسم بلوغك محل المقربين وادراكك رفقة الشهداء والصالحين، وها هي أمنيته التي كنت تبكي من أجل نوالها وقد حظيت بها في ارض المقدسات على يد أخس الخلق وأشهرهم، تغمذك الله برحمته الواسعة وتوفى روحك الطاهرة بما يتوفى الصالحين من عبادته والمخلصين من خلقه وحشره مع الطاهرين المطهرين من اوليائه، ولا حرماناً من الفوز بما فزت فاني لشهادتك من الغابطين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانا لله وانا اليه راجعون



الشيخ أحمد بدر الدين حسون

عزى مفتي سوريا الشيخ أحمد بدر الدين حسون باسم بلاده "العالم الإنساني لا الإسلامي" بالشهيد الفريق قاسم سليمانى، مشيراً إلى أن الهم الوحيد لسليمانى كان نصرة المستضعفين وتحرير الأقصى.

وأكد حسون، اليوم الأحد من السفارة الإيرانية في دمشق، أن "رجل الأمة" قاسم سليمانى دخل إلى سوريا لكي "لا يتركها للإرهاب الذي غذته إسرائيل"، مشدداً على أن الأميركيين والصهاينة "يخافون" من سليمانى.

وفي الحديث عن علاقة سليمانى بسوريا، شدد حسون أن بلاده "لن تنسى أبداً كل الدماء التي اختلطت بالدماء السورية"، مشيراً إلى أن "الإيرانيين لم يريدوا شيئاً من سوريا غير بقاء الطريق إلى القدس سالكة".

في السياق نفسه، انتقد حسون السياسة الأميركية التي عابت مجيء الإيرانيين إلى سوريا لنصرتها، رغم استقطابها مقاتلين من مختلف دول العالم لمواجهة بلاده.

على الصعيد الشخصي، لفت حسون إلى تواضع سليمانى وأخلاقه، مستشهداً بالرسالة التي تركها لصاحب بيت استخدمه في منطقة البوكمال السورية والتي اعتذر فيها من استخدام المنزل دون إذنه.

واختتم مفتي سوريا كلمته بالإشارة إلى أن محور المقاومة لن يهدأ حتى تتحرر فلسطين.

الشَّخِصِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ

لياقت بلوش

قال "لياقت بلوش رئيس الجمعية الإسلامية الباكستانية خلال لقائه مع سماحة آية الله مكارم الشيرازي في مدرسة الإمام السجاد عليه السلام العلمية في قم المقدسة : يطيب لي أن أعرب عن بالغ امتناني وتقديري على ما لاقيته والوفد المرافق من حسن الاستقبال، وأرى أنه لا بد من الأخذ بالتفسير الذي كتبتموه.

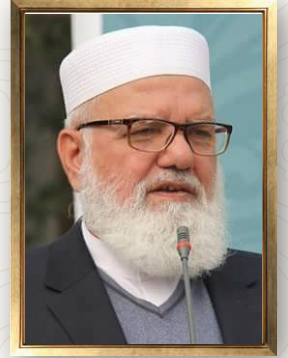
وأكد : أن شهادة المجاهد الكبير الفريق الحاج قاسم سليمان قد أحزنت جميع المسلمين، إلا أن دماء هذا الشهيد البطل المباركة أصبحت سبباً لوحدة المسلمين وتأزهرهم، ورست صفوف محور المقاومة في مواجهة الأعداء.

ولفت بلوش إلى أن : أمريكا لا زالت ترتكب الكثير من الجرائم ضد المسلمين، والطامة الكبرى التي تعاني منها بعض الدول الإسلامية، هي أن بعض حكامها يتسابقون ويدفعون لنيل الرضا الأمريكي، بينما تجلت مواقف الشعب الإيراني الصامدة والمناهضة لجهة الإستعمار والإستكبار العالمي في دعم كل ما فيه خير ومصلة الإسلام والمسلمين.

وأضاف رئيس الجمعية الإسلامية الباكستانية : لا شك أن تحالف المسلمين هذا وتكاتفهم يمكن أن يكون سداً منيعاً وقوياً أمام الأعداء، وعلينا أن لا نألو جهداً في سبيل تطويره وتمكينه.

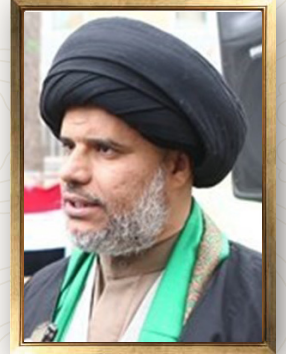
وتابع : أعود لأتقدم بوافر الشكر والامتنان لكل من قائد الأمة الإسلامية سماحة السيد الإمام الخامنئي والعلماء والمراجع الدينية والمسؤولين والشعب الإيراني الذين احتضنوا قضايا المسلمين وضحو من أجلها.

وأعرب رئيس الجمعية الإسلامية الباكستانية عن تقديره لدعم علماء ومراجع التقليد مثل آية الله مكارم الشيرازي للشعب الفلسطيني، قائلاً : تواجه الجمهورية الإسلامية الإيرانية من خلال تعزيز علاقاتها الودية في المنطقة، النفوذ الأمريكي، لكننا في المقابل نرى أن جبهة الاستكبار لا تريد التراجع عن مصالحها في المنطقة قيد أنملة، وأعتقد أن السبيل الوحيد للمضي قدماً في مواجهة ذلك هو وحدة المسلمين جميعاً.



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

السيد محمد الطباطبائي



قال نائب الأمين العام لعصائب أهل الحق السيد محمد طباطبائي في حديث إن «الأميركيين كانوا يتصورون أنهم بقتلهم القائد قاسم سليمانى سوف ينسى الشعبان العراقي والايрани ذكره، لكن على العكس، هم أخطأوا تماماً، لقد أحيوه بهذا القتل، فتكاتف الشعب العراقي مع الشعب الايراني. لقد شاركت في تشييع القائدين ابتداءً من الامامين الكاظمين عليهما السلام في بغداد ثم في كربلاء المقدسة ثم في النجف الأشرف، الحشود التي كانت موجودة مهولة، وفي ايران أكثر، هذه الحشود التي خرجت في أهواز أو مشهد أو طهران واليوم في كرمان شاه لم نر مثلها في أي مناسبة من المناسبات»، مؤكداً أن «الحاج قاسم بهذا الاستشهاد وُحّد الشعبين العراقي والايрани».

يضيف السيد محمد طباطبائي إن «الثمرة الأخرى لهذا الاستشهاد هو تصويت البرلمان العراقي على اخراج جميع القوات الأميركية العسكرية من العراق، ومنتظر مواقف أخرى من البرلمان العراقي لأن الحاج قاسم سليمانى كان ضيفاً على العراق ونحن لا نكتفي باخراج القوات الأميركية بل ندعو الى مقاطعة كل البضائع التي تأتي من أميركا واغلاق السفارة الأميركية في العراق».

وختم نائب الأمين العام لعصائب أهل الحق مشدداً على أن «الرد سيكون حاسماً كما قال آية الله السيد القائد علي الخامنئي حفظه الله، وسيتحقق هذا الرد من الجمهورية الاسلامية ومن فصائل المقاومة والحشد الشعبي في العراق».

الشَّخِصِيَّاتُ الدِّيْنِيَّةُ

رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان عبد الأمير قبلان

عزى رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى سماحة آية الله الإمام الشيخ عبد الأمير قبلان صاحب السماحة المرجعين الكبيرين السيد علي الخامنئي والسيد علي السيستاني والشعبين العراقي والإيراني وكل الشعوب الإسلامية باستشهاد قائد فيلق القدس اللواء قاسم سليمانى ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبي مهدي المهندس ورفاقهما في عملية ارهابية.

وقال : ”ندين الاعتداء ونستكره بشدة ونحمل الإدارة الأميركية مسؤولية تداعياتها الخطيرة إذ نعتبرها بمثابة إعلان حرب يريد بها الرئيس ترامب للهروب من فضائحه وأزماته“.

وأكد سماحته أنّ الاحتلال الأميركي لدولة العراق الشقيق محكوم بالاندحار، لاسيما أنّ المقامات الدينية الشامخة التي تسمو بأرض الرافدين تأبى الظلم والطغيان وتنبذ الاحتلال ودماء الشهداء وسواعد المقاومين ستدحر المحتل.



الشيخ نمر أبو عون العمري

عزى أبو عون كل من الشعب الفلسطيني والإيراني والعراقي والامة العربية والاسلامية باغتيال الجنرال سليمانى.

وقال إن «الشهيد سليمانى قائد اممي ويعمل على مستوى العالم ضد امريكا، كما عمل منذ ٢٠ عاما على بناء محور المقاومة بشتى التنظيمات على مستوى العالم العربي وليس في غزة فقط».

وتابع : «اننا نقف مع الجمهورية الاسلامية ونؤكد ان المقاومة متجذرة وأن زرع الشهيد قاسم سليمانى واخوانه قد اثمر وسنرى ذلك عما قريب».

وشدد أن عملية اغتيال القائد سليمانى ستزيد محور المقاومة عنفا وصلابة.

ووجه رسالة لقتلة القائد سليمانى قائلا : « انه لا يمثل شخصا بل يمثل مبادئ.. هذه مبادئ الامام الخميني رحمه الله عندما كان ينادي بوحدة المعركة ومن بعده الامام الخامنئي.. فجاء الجنرال سليمانى ليطبق ذلك على الارض.. وجاء كي يبني محور المقاومة على مستوى الوطن العربي خاصة حتى يقفوا ضد امريكا وفي سبيل تحرير بيت المقدس».



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ

السيد ياسين الموسوي

صرح آية الله السيد ياسين الموسوي انا اذا سكنتنا عن الامريكان الاوغاد ولم نرد على تلك الجريمة الامريكية الفاشمة، لا يعاملونا بعد ذلك الا عبيدا، مبينا ان امرىكا قد نقضت السيادة العراقية بشكل فاضح.

وتابع خطيب جمعة بغداد : ان اللواء قاسم سليمانى موظف ومستشار رسمي في الحكومة العراقية شأنه شأن باقى المستشارين و ان ابومهدي المهندس من اكبر قادة العراق اضافة الى ان التخلص داعش من العراق وتحريره كان على ايدي حاج قاسم وبمشاركة ابومهدي المهندس وابنائنا الابطال. و اضاف سماحته ان اغتيال هؤلاء الشهداء كان في الحقيقة يراد منه اذلال العراق و استعباد العراقيين، مبينا الى ان القوات الامريكية انتشرت منذ الخمسينات في العراق الى ان احتلت البلاد رسميا في السبعينات حتى يومنا هذا فلا نعيش احرارا في بلدنا الا من دون تخلصه من الاحتلال الامريكي. وطالب خطيب جمعة بغداد، آية الله السيد ياسين الموسوي الحكومة العراقية والبرلمان العراقي بالتصويت على اخراج القوات الامريكية فورا فمن لا يصوت على اخراجها فهو عميل فسوف يلغنه العراق والعراقيون الى يوم الدين

ونوه سماحته الى ان الاتفاق الامني الموقع عليه بين امريكا و العراق، لم يجلب لنا سوي الخزي والعار والذل والامريكان هم الذين جاءوا لنا بداعش الى العراق. علما ان وزارة الدفاع الأميركية، اعلنت عقب استشهاد الفريق قاسم سليمانى جراء الهجمات الأميركية بالقرب من مطار بغداد الدولي، ان اغتيال الفريق قاسم سليمانى تم بأمر مباشر من الرئيس الأميركي دونالد ترامب مما يعد مصداقا بارزا للارهاب الحكومي.



الشَّخِصِيَّاتُ الدِّيْنِيَّة

مكتب الشيخ ابراهيم زكزاكي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللجنة الدائمة علي اعدائهم اجمعين.

انا لله وانا اليه راجعون

لقد ارتكب مستكبرو دول العالم جريمة نكراء باستهدافهم المجاهدين العزیزین الحاج قاسم سلیماني و ابو مهدي المهندس. لقد عمل هذان الشهيدان العظيمان لسنوات طويلة من اجل تطهير العراق وسورية من وجود الارهابيين.

لا يمكن لأمریکا ان تتخيل للحظة ان شهادة هذين المجاهدين يمكن ان تخلق خللا ولو للحظة في روح المقاومة لدى المجاهدين او يوقفوا خدماتهم الجليلة للاسلام ؛ بل إن هذا العمل لن يؤدي سوى إلى تعزيز روح المقاومة والدوافع لديهم.

اتقدم بأحر التعازي القلبية من حضرة بقية الله والقائد الامام السيد علي الخامنئي والمراجع العظام، والمسلمين في كافة أنحاء العالم وخاصة الأسر الشهداء وذويهم، كما نهنتهم على نيل مقام الشهادة والذي زاد من رفعة هذا المقام وسموه.

وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون.

مكتب الشيخ ابراهيم زكزاكي (حفظه الله)



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

الشيخ ناصر عباس جعفري

أمين عام حزب مجلس وحدة المسلمين باكستان في بيان له :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

تسليماً بقضاء الله المحتوم وبيالغ الحزن والاسى تلقينا خبر استشهاد قائد فيلق القدس الحاج قاسم سليمانى ونائب رئيس الحشد الشعبى، أبو مهدي المهندس، اللذين اغتيلوا بضربات أمريكية في بغداد.

بهذا المصاب الجلل نعزي الامام صاحب العصر عليه السلام وولي أمر المسلمين آية الله السيد علي الخامنئي ونعزي الشعب الايراني والشعب العراقي وجميع محبي القائد الفقيد الذي سيترك انتقاله للقاء ربه فراغاً كبيراً لا يسده إلا من هم أهل لتحمل المسؤوليات الكبرى وأصحاب العلم والعطاء والجهاد.

إن استشهاد القائد سليمانى وعدد من القادة الآخرين لاسيما المجاهد الكبير أبو مهدي المهندس على يد الولايات المتحدة الأمريكية المجرمة بعث الحزن والاسى في قلوب جميع أبناء الشعب الباكستاني وشعوب المنطقة وسيزيد من عزيمة الشعوب المتحررة في الصمود ومجابهة الاطماع الاميركية والدفاع عن المبادئ الاسلامية.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تتحمل المسؤولية عن الدماء التي تسيل في المنطقة العربية والاسلامية، خاصة أنها بسلوكها العدواني تؤجج الصراعات دون أي اعتبار لمصالح الشعوب وحريتها واستقرارها.

فالقائد سليمانى أحد أبرز القادة العسكريين الإيرانيين، والذي كان له دور بارز في دعم المقاومة اللبنانية والفلسطينية وكل الشعوب المستضعقة، وكان له دورا بارزا في القضاء على

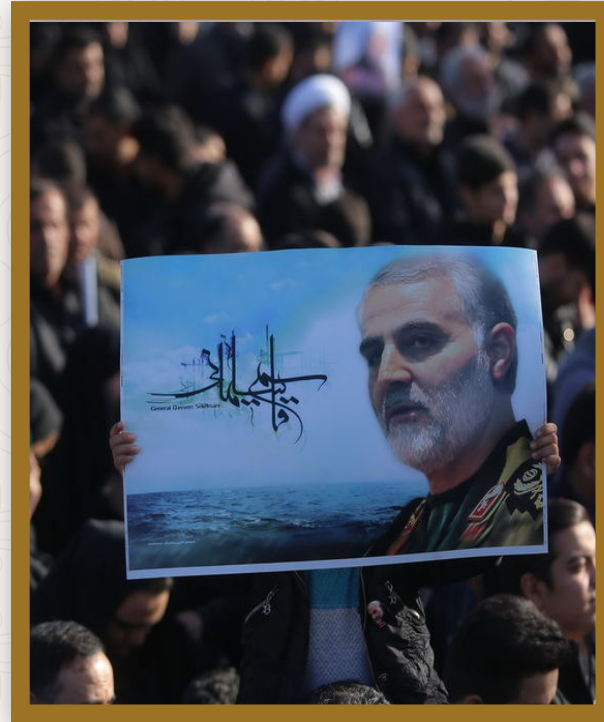


الشخصيات الدينية

الارهاب الداعشي والارهاب الصهيوني الاميركي.

ان شهادة القادة لن تزيد محور المقاومة الا صمودا وقوة بوجه الغطرسة والاستكبار الاميركي، فاغتيال القائد سليمانى تجاوز كل الخطوط الحمراء، ومن نفذ عملية الاغتيال يجب أن يعلم أن الرد سيكون عنيفا وكبيراً. ان الشهيد سليمانى رجل كان يتوق إلى الشهادة لكنه كان يتصرف بعقلانية لقيادة المقاومة، وهذه اللحظة ليست لحظة حزن فقط إنما مرحلة صمود أيضاً.

تغمد الله الشهداء القادة وجميع المجاهدين بواسع رحمته واسكنهم فسيح جناته والهم ذويهم ومحبيهم الصبر والسلوان انه سميع مجيب.



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ

الشيخ عفيف النابلسي

توجه الشيخ عفيف النابلسي ببيان تعزية بقاسم سليمان وأبو مهدي المهندس ورفاقهما الشهداء، وقال: «يا أبناء أمتنا المقاومة ويا شعوب العالم الحرة، ويا شعب إيران العزيز، لقد اختار الله كوكبة من الشهداء الأبرار على رأسهم الثائر الكبير على المستعمرين والغزاة قاسم سليمان، واللواء الأشتر أبو مهدي المهندس، وآخرين من بواصل الحشد الشعبي المبارك لتلتحق بمن سبقهم من الشهداء على طريق الإسلام والخير والإنسانية».



اضاف: «لقد كان هؤلاء يطلبون الشهادة ونالوها بوسام جهادي يستحقونه وعمل بطولي شامخ حقق عزة وكرامة وسيادة وأمنا لكثير من بلداننا التي تعيش قساوة إجرام المحتلين وإرهابهم». وتقدم «بأسمى آيات التبريك إلى قائد الثورة الإسلامية الإيرانية الإمام السيد علي الخامنئي وإلى الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله وإلى الشعب الإيراني والعراقي والفلسطيني واليميني والسوري على وجه الخصوص».

واكد «ان الشهيد قاسم سليمان رمز من رموز تاريخنا في هذا العصر. كان شاهدا على إنجازات لا مثيل لها في مواجهة الصهاينة والاميركيين أخبث وأشر المجموعات البشرية على وجه الأرض. لقد استطاع مقارعتهم وإنزال الهزائم بهم. والآن فإن كل الأحرار ينتظرون الرد الآتي. ينتظرون أن تلتهب الأرض، تحت أقدام الغزاة خصوصا في العراق، فهذا البلد يجب أن لا يبقى فيه اميركي محتل، بإرادة المجاهدين من أبناء هذا البلد الغيور، وما النصر إلا من عند الله العزيز الجبار».

الشَّخِصِيَّاتُ الدِّيْنِيَّةُ

علي رضا أعرافي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾

نرفع آيات التعازي إلى محضر صاحب العصر والزمان أرواحنا فداء، سماحة السيد القائد الإمام الخامنئي دام ظله، مراجع التقليد دامت بركاتهم في النجف الأشرف وقم المقدسة والشعبين الإيراني والعراقي وكافة شعوب محور المقاومة والعالم الإسلامي وجميع أحرار العالم بمناسبة إستشهاد اللواء الحاج قاسم سليمانى والحاج أبومهدي المهندس وجمع من قيادات الحشد الشعبي. إمتزاج هذه الدماء الطاهرة أثبت مرة أخرى أن مصير شعوبنا في المنطقة لاسيما الشعبين الإيراني والعراقي واحد وهي مستعدة لتقديم دماء أغلى قياداتها من أجل حريتها. هذه الجريمة الأمريكية الإرهابية الجبائبة أثبتت مرة أخرى أن العدو سوف لن يتوانى عن إرتكاب أي جريمة من أجل الحيلولة دون إستقلال وحرية وسعادة شعوب المنطقة. لاريب أن إستشهاد هؤلاء القادة العظماء هو بادرة النصر للإسلام والهزيمة والخزي والعار للأعداء في المنطقة.

إن الحاج قاسم سليمانى كان من جنود الإسلام والثورة الإسلامية والشعب الإيراني ومحور المقاومة ووقف مدافعا عن شعوب محور المقاومة لاسيما الشعبين الإيراني والعراقي وفي النهاية فاز فوزا عظيما بنيل الشهادة وعلى العدو أن يعلم أن إستشهاد قيادات مثل الحاج قاسم سليمانى والحاج أبومهدي المهندس سوف يؤدي إلى تعزيز نهجهم بالعزة والفخر. تتقدم الحوزات العلمية بالعزاء وتؤكد على إستمرار منهجهم حتى دحر الباطل وإحقاق الحق وهي على ثقة تامة أن جنود الإسلام سوف يقومون برد قاس ضد غدر الأعداء.

علي رضا أعرافي

٧ جمادى الاولى ١٤٤١



المحور الثاني:

النَّشِيعُ الْعَظِيمُ

«وَدَاعُ بِحَجْمِ الشَّهَادَةِ»

١- في العراق:

أ- بغداد

ب- كربلاء المقدسة

ج- النجف الأشرف

د- البصرة

٢- في الجمهورية الإسلامية الإيرانية:

أ- الأهواز

ب- مشهد المقدسة

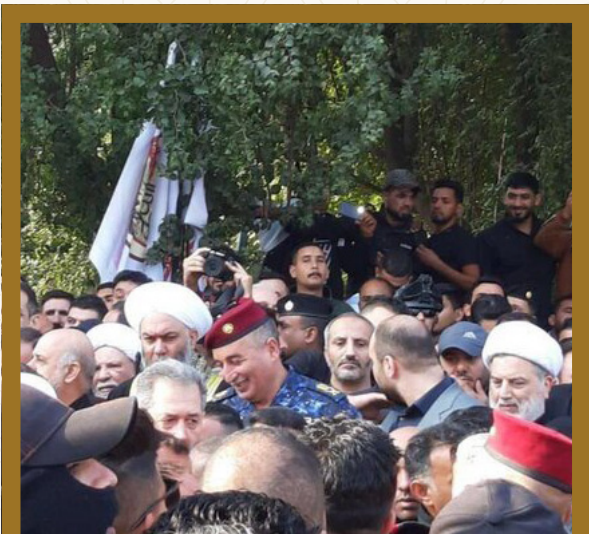
ج- طهران

د- كرمان

تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ



في العراق: بغداد



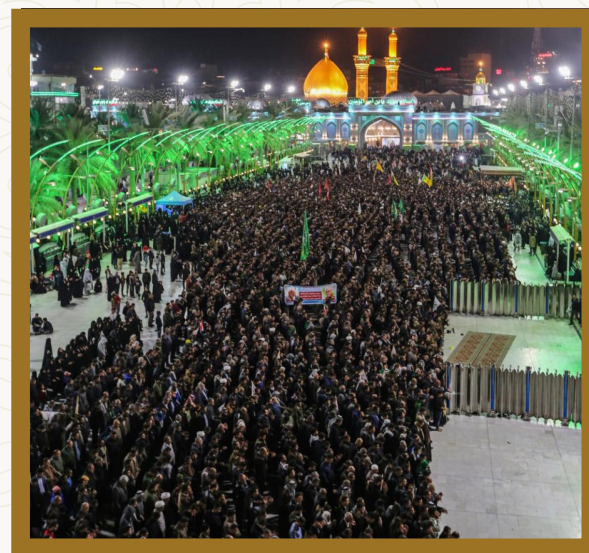
تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ



في العراق: كربلاء المقدسة



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ



في العراق: النجف الأشرف



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ



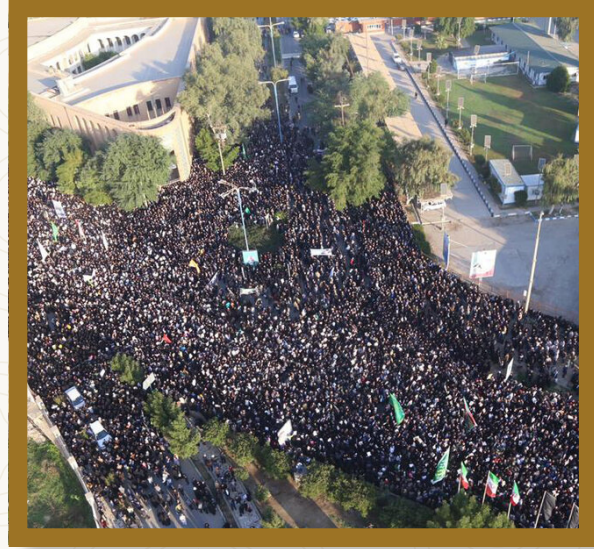
فِي الْعِرَاقِ: الْبَصْرَةُ



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ



في الجمهورية الإسلامية الإيرانية: الأهواز



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمِ إِلَى الشَّهَادَةِ



في الجمهورية الإسلامية الإيرانية: مشهد المقدسة



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ



فِي الْجُمْهُورِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِيرَانِيَّةِ: طَهْرَانُ



تَعْطِيَةٌ خَاصَّةٌ: مِنَ الْمَقَاوِمَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ



فِي الْجُمْهُورِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِيرَانِيَّةِ: كَرْمَانُ



ملف العدد:

الحشد الشعبي والمقاومة الإسلامية الشرعية - الضرورة - التحديات

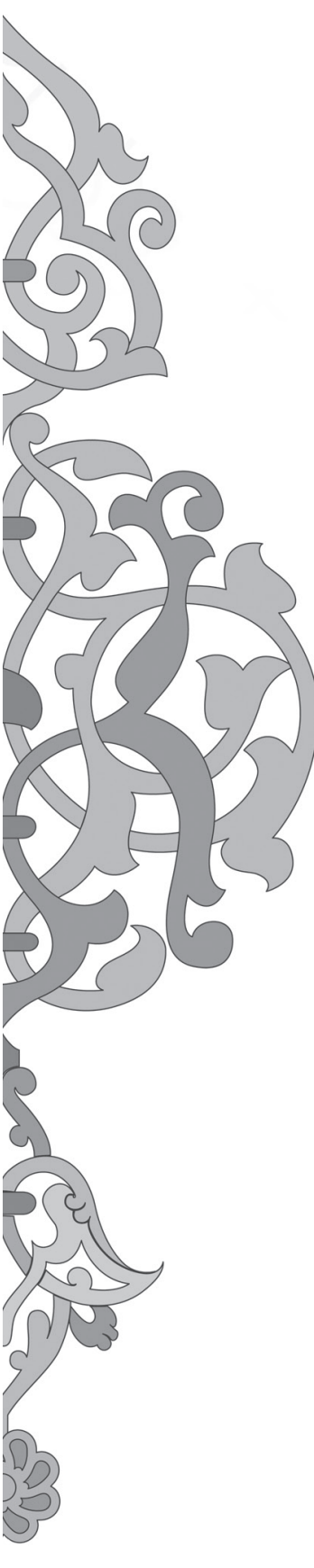
❖ فتوى الجهاد الكفائي والدور الاستراتيجي للمرجعية

❖ دور المرجعية الدينية وأثره على خط المقاومة في العراق

❖ الحشد الشعبي المقدس - ثبات الهوية وتعدد الدلالة -

❖ الأسس الفكرية للحشد الشعبي فراءة تحليلية

❖ الحشد الشعبي ورهانات إسقاط العلبة السياسية في العراق



فَتَوَى الْجَهَادَ الْكِفَائِيُّ وَالدَّورُ الْإِسْتِرَاطِيُّ لِلْمَرْجِعِيَّةِ

❖ المفكر المغربي إدريس هاني (*)

(*) باحث وكاتب.

في كل منعطف يمرّ منه العراق تكون المرجعية في محكّ التحدي . فقد كان رصيد هذه الأخيرة في مقارعة ثالوث الديكتاتورية والاستعمار والإرهاب كبيرا إلى حدّ كانت هي أوّل ما يتم استدماجه ضمن خطط وسيناريوهات الاستعمار والاستبداد والإرهاب . في البدء حاولت الديكتاتورية عبر مسلسل من التدابير العنيفة أن تقصي الحوزة العلمية والمرجعية من أي تدخل في المجال الاجتماعي فضلا عن قضايا الشأن العام . وكان لإخراس المرجعية واستبعادها أثر على المشهد العراقي الذي دخل إلى متاهة التناقض والمفارقة . فإخراس المرجعية كان معناه في العراق إيقاف الزمان العراقي نفسه . غير أنّ المرجعية ناهضت الديكتاتورية بأشكال مختلفة . وكانت القطيعة أسلوبا فرضته المرجعية كان له كبير الأثر على إحكام الطوق على الديكتاتورية التي كانت تبحث عن الشرعية من

المرجعية عبثا . وكما كافحت المرجعية السياسة الديكتاتورية التي فاقت كلّ أشكال التعسف والإرهاب ، كافحت أيضا وعبر طرق مختلفة لتصمد أمام إعصار الاستعمار والإرهاب . وهو ما أكسبها شعبية قصوى . أدركت المرجعية أنّ الاحتلال لم يكن طارئا في العراق بل ثمة عوامل ساعدت على دخوله إلى العراق ، وفي مقدّمة ذلك الديكتاتورية التي أخضعت بلدا بكامله لمغامرات شخصية محكومة بالتوّحّش والتّفرد والاستهتار بالشعب ورموزه . كما أدركت أنّ الإرهاب هو نفسه لم يأت من فراغ بل هو وليد للاحتلال والديكتاتورية معا . فلقد كان الإرهاب على صلة بالقوى التي ساهمت باحتلال العراق كما كان له صلة برموز النظام السابق . كانت المرجعية على طول الخطّ سنداً للشعب كما كان الشعب سنداً لها . وقد تراكمت التجارب لديها إلى حدّ بتنا أمام مدرسة مختلفة تماما .

بات الصمت فيها رصيда إضافيا يضاف على كل فتوى، حيث لم تعد الفتوى هاهنا تمر مرور الكرام ضمن فوضى الفتاوى الدينية التي اكتظ بها مشهد العالم الإسلامي، بل باتت حدثا دوليا جادا. استطاعت المرجعية في العراق أن تعيد الاعتبار إلى قيمة الفتوى وتأثيرها. وكانت الفتوى في حد ذاتها تخضع لسياسة رؤيوية خاصة أعادت لها أهميتها في الزمان والمكان. وسنصبح أمام شكل من الفتوى يمكن اعتبارها نمطا من الإفتاء الاستراتيجي المدروس والمؤثر والذي يتماهى مع الحدث الدولي. نأت المرجعية عن التدخل في تفاصيل المشهد السياسي تعزيزا للديمقراطية وتكريسا للدستورية وتحقيقا للمساواة في الحظوظ السياسية. ولكنها كانت تتدخل فيما من شأنه إقامة دولة الحق والقانون ووحدة العراق. كان الصمت شكلا من أشكال المناورة الممكنة. فالمرجعية تتحدث بالمنطوق والمفهوم. فحينما رفضت البث في أمور كثيرة بعد رفضها للاحتلال، فإنها كانت تدبر رؤيتها بفقه العناوين الثانوية التي تستحضر الحد الممكن من مصالح المجتمع العراقي درءا لمخاطر كثيرة. لم تدرس بعض مواقف المرجعية من الأحداث العراقية

منذ العهد الديكتاتوري مروراً بالاحتلال وانتهاء بمواجهة الإرهاب. فمع أن الديكتاتورية سعت لإخراص المرجعية فإنها سعت فيما بعد لتجعل منها شاهد زور عبثا. لقد ساهمت المرجعية في التسريع بالإطاحة بالديكتاتورية بعد أن أفرغت هذه الأخيرة من محتواها، ولم تجد لها مصدرا للشرعية لا من الشعب ولا من المرجعية ولا حتى من حلفائها الذين قرروا التخلص منها. كان دور المرجعية صعبا ضمن سياق حافل بالتدخل ولعبة الأمم. وكانت إدارتها لهذا التحدي أمرا بالغ الخطورة.

المرجعية ووحدة العراق

المحور الأساسي لتدخل المرجعية في الشأن العام كان ولا زال يتعلّق بوحدة العراق واستقراره والسلم المجتمعي. وفي هذا الإطار كانت المرجعية تحضر عند الضرورة بوسائلها القوية والتي زادها قوة جديتها وحكمتها على امتداد الحركة التفاوضية التي سبقت كتابة الدستور العراقي وإنشاء مجلس الحكم الانتقالي. لقد بقيت المرجعية في العراق لم تبحر قط. بل اضطرت أن تتوقف عن متابعة العلاج ببريطانيا للعودة إلى النجف الأشرف حيث كان لها

الدور الحاسم في حل أزمة النجف . لم يكن في وارد المرجعية أن تبحث لها عن مكان آمن خارج العراق ، وهو أمر كان يروق للاحتلال نفسه ، لكنها أبت إلا أن تبقى بين الناس في حارة شعبية تتقاسمهم أحزان العراق وتدبر شؤون المجتمع العراقي العميق وتتدخل عند الاقتضاء في القضايا التي ترتبط بحفظ النظام العام . تشتغل المرجعية في صمت وبعيدا عن الأضواء . وكثيرا ما يجهل الرأي العام العالمي بأن المرجعية حتى في اللحظات التي لا يظهر لها صوت في تفاصيل العملية السياسية هي تقوم بأعمال استراتيجية يومية لملا فراغ الدولة ومؤسساتها في يتعلّق بخدمة المجتمع وتقديم المعونات والمساعدات للمتضررين . مما يعني أن المرجعية مساهم رئيسي في استمرار الدولة نفسها وعدم إفلاسها الكامل . فالفاعل الاجتماعي الأول في المجتمع هو المرجعية ، وهي بذلك تؤدّي دورا كبيرا في المساهمة في التنمية الضرورية للاستقرار . وحينما سألت وكالة رويترز يومئذ إذا ما كان يرغب في طلب توفير الأمن له ولعائلته ، ردّ مكتب السيد السيستاني بالقول : "سماعته يريد الأمن لكل النجف بل لكل العراق ولا يريده لنفسه وعائلته ، وقد جاءت عشرات الوفود

العشائرية لحمايته فشكرهم وأمرهم بالرجوع إلى أماكنهم"^(١) .

شملت سياسة المرجعية لتثبيت الأمن في العراق وتعزيز وحدته وإحراج (وإخراج) الاحتلال تدابير كثيرة بعضها يتعلق بمجلس الحكم والعملية السياسية وكتابة الدستور والأخرى ما يتعلق بسلوك المجتمع والمجموعات الشعبية فيما يتعلق بالفتنة والصراع الطائفي . المقصد الثابت والأساسي في كل هذه السياسة المرجعية هو وحدة واستقرار وأمن العراق . نستطيع الوقوف على عيّنات من المواقف المرجعية بخصوص كلّ هذه القضايا . واعتقد أننا نستطيع الوقوف على نصوص تؤكّد على الدور المرجعي الحيوي في سائر هذه الموضوعات . في الكتاب التوثيقي الذي أخرجه الصديق الأستاذ حامد الخفّاف نقف على شواهد حيّة واكبت دور المرجعية في كل محطات العراق . وفيه نقف مثلا على دور المرجعية في ثلاث قضايا أساسية :

- نبذ الفتنة الطائفية

- تحميل الاحتلال مسؤولية كل ما قد يحدث

بالعراق

- تعزيز الدولة العراقية

وطبيعي أن هذا الثلاثي هو مصدر كل المخاطر المحدقة بالعراق . وسوف يتأكد أن فتوى السيد السيستاني بخصوص الحشد الشعبي هي في الحقيقة ونظرا لترباط الإرهاب بشروطه المحلية والإقليمية والدولية وصلته بلعبة الاحتلال وكذا ببقايا العهد الديكتاتوري ، كانت فتوى أو لنقل بياننا ثوريا ضد السياسات الاستعمارية وبقايا الديكتاتورية وضد الرجعية التي تمكن للإرهاب قبل أن تكون بياننا ضد فلول التكفيريين .

في نبذ الطائفية

عملت المرجعية وسعها لنبد الطائفية كما سعت لتعزيز الروابط الاجتماعية بين مختلف العراقيين . وفي موضوع العلاقة بين السنة والشيعة كان للمرجعية دورا كبيرا . فلقد احتضنت دائما السنة وأدخلتهم في برنامج المساعدات التي تبذلها للمجتمع . وقد برهنت المرجعية على موقفها هذا منذ بدأ الأزمة . ففي الاستفتاء الذي يتعلق بمساجد السنة في المناطق التي يتواجد فيها الشيعة ، حيث سأل سائل حول اقتحام البعض لبعض المساجد وطرد أئمة الجماعة منها ، فكان جواب المرجعية حريفا : "

هذا العمل مرفوض تماما ولا بد من رفع التجاوز وتوفير الحماية لإمام الجماعة وإعادته إلى جامعته معززا مكرما^(٢) .

وتعتبر المرجعية أن الفتنة في العراق لا يمكنها أن تحدث لولا تدخل الأيادي الأجنبية . فالعراق عاش على سبيل السلم الأهلي وبعيدا عن النعرات الطائفية عبر قرون حصل تداخل بين السنة والشيعة حتى أنك تجد العائلة الواحدة فيها سنة وشيعة . ومن هنا كان جواب المرجعية على هذا التخوف من الفتنة الطائفية في العراق بالقول : " لا مخاوف من هذا القبيل إذا لم تتدخل أطراف أجنبية في شؤون العراق " . لقد كانت المرجعية تؤكد مرارا وعبر أجوبة الاستفتاءات أو الرد على رسائل المنظمات الدولية على أن هناك شعب عراقي موحد لا تميز بين طوائفه . مراهنه على يقظة الشعب العراقي وفهمه لطبيعة المؤامرة . وفي كل رد من الردود على بعض العمليات العدوانية التي استهدفت المدنيين الشيعة كان يخاطبهم كعراقيين ويعتبر مأساتهم هي مأساة لكل العراقيين . وفي سؤال موجه للمرجعية من قبل المجلة فور سايت اليابانية ، حول وجود صراع بين السنة والشيعة في العراق ودور

الزعامات الدينية في ذلك ، كان جواب المرجعية : " لا يوجد صراع بين الشيعة والسنة في العراق ، بل هناك أزمة سياسية ، ومن الفرقاء من يمارس العنف الطائفي للحصول على مكاسب سياسية" .

في المعركة ضد خطط الاحتلال

وفي مواجهة خطط الاحتلال يكفي أن للمرجعية الدور الأكبر في حماية العملية السياسية من الضياع . فلقد أصرت المرجعية على أن يكون الشعب هو من يكتب الدستور وليس الاحتلال . وتجب المرجعية على سؤال حول ما إذا كان أبناء الطائفة الشيعية موحدون في العراق ، أجابت المرجعية : " العراقيون بجميع طوائفهم ومذاهبهم من الشيعة وغيرهم موحدون في المطالبة باحترام إرادتهم في تقرير مصيرهم ورفض أن يخطط الأجنبي لمستقبلهم السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي" . لقد اعتبرت المرجعية وجود قوات التحالف بالعراق باعتبارها قوات احتلال . وهو في جواباته للسائل عن موقفه منها يقول كذلك ، هي قوة احتلال كما أقر بذلك مجلس الأمن . بل تسأل رادا على من سأل عن قول بريمر بأن الاحتلال

سيستمر الى قيام حكومة عراقية : " كيف يمكن أن نؤيد بقاء قوات الاحتلال في العراق" . وقالت المرجعية أيضا : " لا مبرر لتواجدهم من الأساس وإذا كانت هناك حاجة إلى قوات أجنبية لحفظ الأمن والاستقرار في العراق في المرحلة الانتقالية فلتكن تحت إشراف الأمم المتحدة" . لقد رفضت المرجعية استقبال أي مسؤول من مسؤولي الاحتلال . وكان ذلك علامة فارقة على أن المرجعية كانت ضد الاحتلال ومتبرمة منه ولم تسمح له باقتناص الشرعية من المرجعية . وباعت كل محاولات بريمر لتحقيق هذا الأمر بالفشل . وجاء في جواب المرجعية على سؤال : هل لكم اتصال بقيادة قوات التحالف في العراق ، بقوله : (كلاً) . هنا كلاً تشديد مغلظ على النفي . وفي جواب آخر له عن رأيه في الاحتلال الأمريكي ، قال : " نشعر بقلق شديد تجاه أهدافهم ونرى ضرورة أن يفسحوا المجال للعراقيين بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم من دون تدخل أجنبي" . بل وفي سؤال عن شرعية تشكيل مجلس لكتابة الدستور العراقي من قبل سلطة الاحتلال أجابت المرجعية : " إن تلك السلطات لا تتمتع بأية صلاحية في تعيين أعضاء مجلس كتابة الدستور (...)

فالمشروع المذكور غير مقبول من أساسه".

في التمكين للدولة العراقية

ركزت المرجعية على أن يكون الشعب هو من يقرر مصيره ويكتب دستوره ويمارس كامل السيادة على بلده. ومن هنا كان يعتبر أن الاحتلال لا شرعية له، ليس فقط على مستوى عدم تمكنه للشعب العراقي من ممارسة حقوقه وسيادته على وطنه بل إن الإطاحة بالديكتاتورية نفسها لم يكن من الضروري أن يتحقق بالاحتلال. وفي هذا الصدد تقول المرجعية: "لم يكن المنشود تغيير النظام الاستبدادي عن طريق الغزو والاحتلال بما استتبع ذلك من مأس كثيرة، ومنها انهيار مقومات الدولة العراقية وانعدام الأمن والاستقرار وتفاقم الجرائم وتلف الكثير من الممتلكات العامة حرقا ونهباً وتدميراً وغير ذلك"^(٣).

فالاحتلال خرب الدولة وزاد من تخريبها الفساد الذي أنتج ثورة أزرتها المرجعية وأمضت على مطالبها وطالبت الدولة بمحاسبة المفسدين فوراً في بيان اعتبر فيه عدم محاسبتهم قد يؤدي إلى تقسيم العراق. لقد شكلت المرجعية ضمير الدولة العراقية

المنشودة. وهي تعمل أكثر من أي جهة أخرى على حماية العملية السياسية من الانزلاق. وكما في موقفها من الاحتلال ومن تفاصيل العملية السياسية ومن الإرهاب وحتى في توجيهاتها للحشد الشعبي ظلت المرجعية تذكر بأهمية الدولة العراقية وتعزيز مؤسساتها.

لم تقف المرجعية قط ضد العملية السياسية الطريق الممكن لقيام الدولة. غير أن هذه العملية شابتها ملامبات كثيرة انتهت إلى تعقيد العملية وهو ما انعكس في شكل هشاشة المؤسسات. من الطبيعي بروز حالات فساد عارمة داخل مؤسسات دولة ناشئة يصعب فيه الحسم في محاربة الفساد من دون قوة وتمكين. تدخلت المرجعية حينما استنفذت المحاولات كل أغراضها ولم يعد بالإمكان لأي جهة التدخل بعد ذلك. هنا حينما تصل المبادرات إلى الباب المسدود تتدخل المرجعية لتلهم حركة احتجاجية شعبية ضد الفساد ثم تطالب بذات المطالب الشعبية ألا وهي الإسراع في حل هذا الملف معللة إياه تعليلاً استراتيجياً باعتبار أن المضي في إهمال ملف الفساد سينتهي حتماً إلى تقسيم العراق.

في مغزى الثالث المدنس

هو ثالث لأنه لا تنفك أضلاعه عن بعضها .
فليس الاستبداد مفصولا عن الاستعمار ولا الإرهاب
مفصول عنهما معا . هناك تكامل وتوزيع أدوار مما
يجعل التصدي لأحدهما هو في الآن معا تصدي
لكل أضلاع الثالث .

علاقة الاحتلال بالديكتاتورية

فأما علاقة الاحتلال بالديكتاتورية فقد ظلت
قائمة منذ بات الثمن الذي دفعته الديكتاتورية
للاستعمار هو انخراطها الوظيفي في حروب سهلت
تحقيق الغايات البعيدة للاستعمار . فعند الوقوف على
تفاصيل لعبة الأمم التي كانت الديكتاتورية فيها
محورا أساسيا جلب الخراب على كامل المنطقة
وليس فقط على العراق ، ندرك أنّ الاتصال
والانفصال بين الاحتلال والديكتاتورية كانت له أبعاد
جيوسياسية . فإذا أردنا إحراز الدقة قلنا بأنّ
الديكتاتورية في العراق ظلت حليفة للقوى
الاستعمارية ولكنها لم تتناقض معها إلا في طور
الاحتلال . أي أنّ الاحتلال كان مؤشرا على نهاية
مرحلة اقتضى تسريح وظيفي لنوع من الديكتاتورية

وإقحامها في لعبة المغامرة لإكمال تمزيق المنطقة .
فضلت الديكتاتورية أن تحرق الياس والأخضر
لستمر في وظيفتها كمحور للإمبريالية ، على الأقل
اتضح ذلك في اتخاذ قرار فردي بالحرب على إيران
دامت ثماني سنوات أهلك الحث والنسل وأضرّت
بلدين بينهما جوار حتمي وعلاقات تاريخية وثقافية
لقرون وستستمر ، مروراً بتخريب العمل الفلسطيني
حيث احتضن القوى التخريبية وعلى رأسها أبو نضال
المسؤول عن أشهر الاغتيالات في حق رموز النضال
الفلسطيني ، وانتهاء بغزو الكويت بقرار فردي أدى
إلى تخريب ما تبقى من مكتسبات عربية . كل ما
قامت به الديكتاتورية على المستوى المحلي أو
الإقليمي كان في صالح تعزيز المخطط
الجيوسراتيجي الأمريكي . وكانت هذه الأدوار
السياسية والعسكرية للديكتاتورية هي السبب الكافي
لجلب الاحتلال للعراق في غياب أي صوت عراقي
آخر . لقد أحرست الديكتاتورية العراق بكل مكّوناته ،
فكانت هي الناطق الوحيد والأوحد باسم العراق .

العلاقة بين الديكتاتورية والإرهاب

وكما كان ذلك هو شكل العلاقة بين

الديكتاتورية والاحتلال فإنّ ثمة علاقة بين الديكتاتورية والإرهاب ما فتئت تتشكل وتتطور إلى أن جعلتنا أمام حالة من أسوأ أشكال الإرهاب الذي فتك بالعراق . إنّ دراسة تطور الإرهاب التكفيري في العراق توقفنا على علاقات متينة بين شكل من العلاقة بين الديكتاتورية والإرهاب في الأسلوب وفي التفكير . ورث التكفيريون في العراق كلّ الإرث الإجرامي والدموي للديكتاتورية ، وهم يطبقون أسلوبها حرفياً . ولو اطلعنا على طرق الديكتاتورية في إبادة معارضين والتنكيل بهم في الطرقات والساحات أمام الناس لزرع الرعب في نفوس المواطنين لوجدنا أنّها هي ذاتها أساليب داعش اليوم . ثمة ثلاث محطّات تعرّز رأينا في العلاقة العضوية بين الديكتاتورية والإرهاب :

الأولى تتعلّق بعلاقة الديكتاتورية بالقاعدة عموماً أي بآبن لادن

الثانية تتعلّق بعلاقة الديكتاتورية بالقاعدة في بلاد الرافدين أي بالزرقاوي

الثالثة تتعلّق بعلاقة الديكتاتورية بداعش أي بآبي بكر البغدادي

بالنسبة إلى بن لادن فإنّ الديكتاتورية انفتحت

عليه منذ بدأ الحديث جدّياً عن غزو العراق . رفضت الديكتاتورية نصيحة المعارضة العراقية ونصيحة الكثير من العرب ولكنها استمرت في تعزيز تمكينها من خلال الاعتماد على الجماعات الإرهابية مثل منظمة خلق الإيرانية التي تمّ توجيهها من قبل الديكتاتورية لقمع الانتفاضات الشعبية بالعراق ، وكذلك إدخال القاعدة إلى العراق وتمكينها في المجتمع العراقي . لقد كانت الديكتاتورية هي أوّل من أدخل القاعدة والتكفيريين إلى العراق . كان أسامة بن لادن مقيماً بالسودان وكان يتحرج من لقاء عناصر من الاستخبارات العراقية . هذه الأخيرة بدأت تهتم بالمعارضة السعودية وسعت من خلال علاقاتها بالخرطوم على إقناع بن لادن بالتواصل . تؤكّد بعض الوثائق التي صدرت عن وزارة الخارجية العراقية سنة ١٩٩٤ بأن اتصالات حصلت عناصر استخبارية عراقية تقيم في لندن بالخرطوم مما أسفر عن الرسالة التي ابتهتها الشخص السوداني للجهات العراقية المعنية يؤكد بأن بن لادن أصبح جاهزاً للقاء بعد أن كان حذراً . وبما أن الديكتاتورية كانت تتابع كل هذه اللقاءات فقد أصدرت أوامر بتخصيص برنامج لهم من خلال الإذاعة الموجهة . كما تطرقت الوثيقة نفسها

بنصح المخابرات العراقية أنثذ لابن لادن بأن يغادر السودان . وبالفعل حصل أن غادر هذا الأخير السودان سنة ١٩٩٦ باتجاه أفغانستان حيث أدار أهم عملياته . واستمرت هذه العلاقة إلى وصولنا لمرحلة الزرقاوي الذي تم علاجه داخل العراق وتمكينه من صناعة خلايا إرهابية تحت أنظار الديكتاتورية التي لم يكن يغيب عنها شيء في العراق . وظلّ هناك يقاتل الشيعة وينقذ مخطط الديكتاتورية الانتقامي ، حتى أن أبو زوجته التي تزوجها من الأنبار هي من كان وراء تفجير نفسه بسيارة في النجف حيث استهدف الزعيم العراقي السيد محمد باقر الحكيم . وتستمر هذه العلاقة إلى مرحلة أبي بكر البغدادي الذي تعاون مع ضباط قدامى من المقرين من الديكتاتورية ، حيث ساهموا في إعادة تشكيل منظّمته القتالية وتعزيزها بثقافة قتالية متوحّشة ترجمت في كتابهم المرجعي في فن القتل ألا وهو : إدارة التوحش^(٤) .

علاقة الارهاب بالامبريالية

أما علاقة الإرهاب بالامبريالية والاحتلال فهو يتّضح من خلال جملة من المؤشّرات . إنّ المهيم على القرار الدولي ومؤسساته ومحاكمه

الدولية ذات الاختصاص في تجريم الإرهاب هو نفسه المهيم على لعبة الأمم التي يعتبر الإرهاب شكلا من أشكالها . الإرهاب يتحرك كلعبة على رقعة الشطرنج يمهّد الطريق للاحتلال ويفتح المجال لتناقضات وحروب أهلية تمكينا للتدخل . يقوم الإرهاب بعمليات شكلية هنا وهنا ضد الإمبريالية كلّما أصبح التدخل واردا لتمكينه ومنحه شرعية ظاهرة . إنّ عملية تشكيل هذه المجاميع من الإرهابيين وتحركهم عبر العالم تحت أنظار وعيون الإمبريالية تأكيد على أننا أمام لعبة إرهاب أممية تتوزّع على مناطق التوتر وتسهّل المهام على الإمبريالية لتدريب مشاريعها وتوطيد أركانها في المنطقة . نستطيع التأكيد على ذلك ببيانات دقيقة تثبت أنّ المناطق التي يظهر فيها الإرهاب بشكل غامض وملتبس هي نفسها المناطق التي تشهد تدخّلا دوليا . إنّ الدعم الذي تقدمه الإمبريالية للإرهاب يتجلّى في توفير الغطاء القانوني الذي يجعل الإرهاب قضية تحسم فيها السياسات وليس القانون الدولي . أي الإرهاب هو ما تعتبره واشنطن إرهابا وليس كما هو في التعريف الأساسي للإرهاب باعتباره ترويعا للمدنيين للوصول إلى أهداف سياسية .

ومع ذلك نجد تشويشا في النصوص المعرّفة للإرهاب بحيث اشغلت الماكنة الإمبريالية على تمييع التعريفات ليصعب تحقق المبراد القانوني من التعريف والسماح بلعبة التأويل . هكذا أمكن الحديث عن أزيد من مائة تعريف للإرهاب تكاد تجعل كل الدول إرهابية وكلها غير إرهابية بحسب التأويل الذي جعل عملية التجريم القانوني شبه مستحيلة . ويمكننا القول أنه حتى الآن يقوم التجريم على أسباب وأهداف سياسية محض .

وفضلا عن الغطاء القانوني هناك الدعم اللوجستي للإرهاب بالمال والسلاح والتدريب من قبل الإمبريالية وحلفائها الإقليميين . فلم يعد اليوم خافيا أن هناك دعم مادي لداعش يتدفق من الحدود التي تعتبر حليفة للإمبريالية . بالرجوع إلى خفايا لعبة الأمم يتبين أن هؤلاء التكفيريين نمووا وتربوا في أحضان الإمبريالية الغربية التي أشرفت وصهرت على تكوينهم في معسكراتها داخل بيئات توتر كثيرة . فهي عارفة برموزهم وأهدافهم وتصوراتهم وممسكة بزمام أمزجتهم وقادرة بالتالي على توجيهها والهيمنة على أذهانهم . كل صناع وممثلي لعبة الأمم ظلوا على تواصل مباشر أو غير

مباشر مع رموز الإرهاب التكفيري . لقد حضر أبو بكر البغدادي كما تعكس ذلك صورته الشائعة على الشبكة العنكبوتية جلسات أشرف عليها عراب الحروب الإمبريالية في المنطقة : جان ماكين . كما سهّلت الإمبريالية ومن خلال عملائها المحليين والإقليميين غزوة داعش للموصل وتزويد داعش بالسلاح من خلال الطائرات وتبرير ذلك على أنه خطأ نابع من عدم التمييز . ويتجلى ذلك في عدم جدية الحرب على داعش من قبل قوات التحالف ، وعدم تمكين الجيش الوطني العراقي من السلاح الضروري لمواجهة المجموعات الإرهابية التكفيرية . كان لا بد من تعزيز دور داعش لا سيما في مواجهة الصّحات التي شكلت حرجا للاحتلال حين استطاعت أن تقضي على التشكيلات التكفيرية . لقد كان ذلك في صالح الاحتلال الذي جعل المعركة قائمة بين التكفيريين وأهل السنة في العراق منذ البداية . إذا كانت كلنتون قد أكدت على أن داعش هي صناعة أمريكية ، كان لا بد من الإشارة إلى أن عملية صناعة الجماعات الوظيفية ليست أمرا مباشرا وتبسيطيا . إنها منتهى اللعبة بقواعد وأصول علمية تتعلق بعملية التحكم بالمزاج وتسخير كل أساليب

الحرب الناعمة لتفجير الأوضاع في المنطقة . ولقد شرحنا قدر الوسع تلك العلاقة وآلياتها في مناسبات أخرى بما لا يتسع المقام له ^(٥) .

المرجعية في مواجهة الإرهاب

تستند المرجعية في مواجهة الإرهاب بتعقداته وأبعاده المتصلة بالديكتاتورية والاحتلال والرجعية على ثلاث مقومات هي التي سبق وعملت المرجعية على تعزيزها . فالمرجعية في العراق لا تستند إلى الجانب الديني فحسب بل تعززه بشرعية الشعب الذي كان دائما يطالب وينتظر أدوارا من المرجعية تبين ذلك من خلال تفاعله الفريد مع نداء المرجعية بخصوص تأسيس الحشد الشعبي للدفاع عن المجتمع والدولة العراقية ، كما يستند إلى الدستورية التي يعتبرها مرجعية قيام العملية السياسية ، وبالتالي شرعية الدولة والمؤسسات كما تستند المرجعية على الشرعية الدولية من حيث القانون الدولي الذي يجرم الإرهاب بالجملة .

فتوى التحرير

تكتسي فتوى السيد السيستاني التي بموجبها تحركت الحشود باتجاه الجبهات للدفاع عن العراق ومواجهة الإرهاب ، طابع لاهوت التحرير . وبها

ارتقت الفتوى المرجعية إلى الشمولية واتخاذ القرارات الصعبة حينما يصبح العراق عاريا أمام كبرى التحديات التي يصعب بعدها السكوت . تتجنب المرجعية التزاحم مع مبادرات كثيرة نظرا لاختيارها عدم التدخل في الشأن العام طالما الماكنة الدستورية تشغل وفق وسائلها الديمقراطية الطبيعية . ومن هنا رفضت المرجعية مرارا التدخل في تفاصيل الانتخابات أو ترجيح مرشح مقابل آخر في نوع من تعزيز التنافسية الديمقراطية واعتماد البرامج وإرادة الشعب وليس الاستغلال الديني في العملية السياسية . شكّلت فتوى المرجعية ضربة قاسمة ومحبطة للمشروع الأمريكي والصهيوني والرجعي الذي سعى مرارا لفرض واقع تقسيم العراق والزج به في حرب أهلية . المكون العراقي بأطيافه جميعا يأخذ بفتوى المرجعية في العراق مأخذ الجد ، ويعتبرها عنوانا لحراك وطني وليس طائفي . فلقد تبين أنّ المرجعية منذ غزو العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية حتى اليوم لم تقف موقفا طائفيا بل ساهمت بكل قوتها في إخماد نار الفتنة بالفتوى والتوجيه والتحريض على عدم ردود الفعل مما كان له أثر كبير على وحدة النسيج الاجتماعي العراقي .

اشتغلت فتوى المرجعية على وحدة العراق والسلم المجتمعي والاستقرار وإصلاح العملية السياسية وإقرار دستور عراقي يعزز السيادة . ففي العام الماضي ، فوجئ العراق بهجمة غير طبيعية من تنظيم داعش المدجج بأسلحة ثقيلة وعشرات الآلاف من الإرهابيين للموصل ، حيث احتلوا المنطقة واستباحوا المدينة وقتلوا آلاف من المتدربين الأمنيين رميا بالرصاص ونكلوا بالساكنة وهيمنوا على المحلات ثم سرعان ما أعلنوا قيام دولة الخلافة من الموصل بقيادة المدعو أبي بكر البغدادي . لقد كانت نكبة تذكر بغزو المغول لبغداد . وهنا بدأ تهديد سائر مناطق العراق من قبل تنظيم الدولة مما جعل العراق في وضعية حرجة . يبقى الأمر الأخطر هنا أنّ هذه العملية غير الطبيعية كشفت عن جملة من الهشاشات التي تتعلق بالإدارة السياسية والعسكرية التي اتضح أنّها مخترقة من قبل عملاء سهّلوا الطريق لتنفيذ هذه المؤامرة . لم يكن بالإمكان إنقاذ العراق في مثل هذا الوضع عن طريق البوليميك السياسي . فالوضع لم يعد يسمح بالمطالبة . كان العراق قاب قوسين أو أدنى من الضياع . استعملت القوى الخارجية بما فيها أطراف إقليمية الجماعات

الدينية الوظيفية عنصرا لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الدولية والإقليمية في العراق . كان لا بدّ أن يتدخل الدين في مواجهة التأويل الفاسد لدين الإرهابيين ، وكان السياق الموضوعي يفرض على المرجعية أن تتدخل لإتقاذ العراق . ففي التقدير الواقعي لمجريات الأمور ، كان العراق تحت هجمة تنظيم الدولة أشرس حتى من تحدي الاحتلال . فالاحتلال جاء ضمن سياق ملتبس وتوسّل أكثر من ذريعة قانونية ثم لم يعد بإمكانه البقاء ما دام أنّه لا توجد له شرعية في البقاء . غير أن غزوة داعش لا تعتبر بأي قيمة قانونية ولا عرف دولي أو حتى ديني أو أخلاقي معلنة قيام الخلافة وأحققتها بحكم العراق وأنّ شرعيتها تستلهمها من تأويلها الخاص للدين . اعتمدت داعش مفهوم إدارة التوحّش الذي أصبح عنوانا لعقيدتها الحربية ، فكان لا بدّ من إعلان الدفاع المقدّس . وبما أنّ من ثوابت المرجعية الحفاظ على الدولة في كل الظروف ، لم تكتفي بمجرد إطلاق فتوى وتجييش الشعب في هذه المهمّة الوطنية الكبرى ، بل وضعت للحشد محددات وشروط وضوابط لكي يكون كل جهد وطني يصبّ في مصلحة العراق كدولة ومؤسسات ، فجعلت

الإشراف بيد الدولة والجيش مما أدى إلى انضباط المقاومة الوطنية وتكاملها مع مشروع بناء الدولة العراقية وتقوية الجيش الوطني .

من إدارة التوحش إلى إدارة الرحمة قراءة في توجيهات المرجعية للحشد الشعبي

إنَّ قراءة في محتوى الفتوى والتوجيهات التي عرضتها المرجعية ودعت فيها إلى تشكيل الحشد الشعبي للدفاع عن العراق يوقفنا على جملة من القضايا تؤكّد على أنَّها فتوى ذات طابع مسؤول يقوم على بعد المجتمع لا بعد الجماعة . بعد الوطنية لا بعد الطائفية . أي أنَّها فتوى تعزّز الحس الوطني خارج الهويات الطائفية القاتلة . بالوقوف عند الأفكار التوجيهية والتعليلية لفتوى تشكيل الحشد الشعبي التي قرأت يوم الجمعة من قبل ممثل المرجعية السيد أحمد الصافي نجد أنَّها فتوى موجهة للعراقيين من دون تصنيف طائفي باعتبار أنَّ الموضوع يتعلق بالعراق برمته . أما من الناحية الأخرى فهي ليست دعوة لتأسيس ميليشيات بل دعوة لانخراط الشعب في مؤسسات الشرطة والجيش للدفاع عن العراق بطريقة شرعية بعيدا عن الشطط والفوضى . وهذا

الأمر يقتضي حضورا ميدانيا للمسؤولين في معسكرات استقبال وتدريب هذه الحشود والاطلاع على احتياجاتهم وتأهيلهم .

ومما يؤكّد على أنَّ فتوى المرجعية اندمجت مع التيار العام للممانعة في المنطقة هو أنَّها وفي ذيل الحديث عن محنة العراق تحت وطأة تنظيم داعش أعلنت عن تضامنها مع ما يتعرّض له الشعب الفلسطيني حيث تزامن ذلك مع أحداث غزّة التي واجهت اعتداء بالطيران الإسرائيلي والقصف الوحشي للمدنيين . يؤكّد على ذلك في خطبة الجمعة التي ألقاها لممثل المرجعية الشيخ مهدي الكربلائي حيث تؤكّد المرجعية بالقول : " يواجه الشعب الفلسطيني في غزّة عدوانا إسرائيليا متواصلا منذ عدة أيام ، إننا في الوقت الذي نؤكد فيه إدانتنا للعدوان وتضامننا مع إخوتنا وأخواتنا في فلسطين المحتلة ندعو بدورها المجتمع الدولي إلى وضع حد للإعتداءات الاسرائيلية والوقوف إلى جانب الفلسطينيين في محنتهم "

رافق الفتوى توجيهات مرجعية ركزت على مسألة الضوابط وأخلاقيات المقاومة الوطنية في شبه برنامج يؤطر نشاط الحشد ويربطه بقضية سيادة

العراق ممثلا في دولته ومؤسساته وجيشه .

أعادت المرجعية التأكيد على نبذ التصنيف والتوجه نحو كل العراقيين بغض النظر عن تنوعهم وانتمائهم ، مذكّرة بالكلمة الشهيرة للمرجعية منذ الاحتلال حين قال : "لا تقولوا إخواننا السنة بل قولوا أنفسنا" ، معتبرا أنّ خطاب المرجعية في تشكيل الحشد الشعبي تعني جميع العراقيين بلا استثناء . كما أكدت المرجعية على أن الدعوة إلى تشكيل الحشد هو في إطار التطوع في سلك العمل الأمني والعسكري الرسمي للدولة العراقية . فحصر السلاح بيد الحكومة دعوة مرجعية تعزز الأمن والاستقرار . وقد اعتبرت المرجعية أن الدعوة للنفيير ليس بغرض تأسيس الميليشيات . ودعت المرجعية إلى تنظيم عملية التطوع بإشراف الجيش العراقي والقوات الأمنية العراقية وفي إطار القانون ونبذ المظاهر المسلحة الخارجة عن القانون . وقد أصدر مكتب المرجعية بيانا أو توجيهها للمجاهدين من الحشد الشعبي يؤكد على وطنية المواجهة وأخلاقياتها ونبذ كل ما له صلة بالإرهاب . لقد كانت هذه التوجيهات الصادرة تعريزا لمفهوم مختلف للجهاد الذي أفسده الإرهاب التكفيري وعزز فساده ذاك الدوائر التي

يهمها تكريس عملية الإساءة والإسلاموفوبيا . يمكن اعتبار توجيهات المرجعية للمجاهدين في الحشد الشعبي وثيقة تمحو الصورة النمطية عن الجهاد الذي حوّلتها الجماعات التكفيرية إلى إرهاب . إنها وثيقة في الوقت نفسه تعيد تصحيح مفهوم الجهاد الذي يكتسي هنا طابعا تحريريا للأقليات المحاصرة من قبل الإرهابيين والدفاع عن وحدة الوطن وتعزيز السلم الأهلي .

ثمة عبارات دقيقة في هذه الوثيقة يتعين الوقوف عليها وتبسيط الضوء على بعض المفاهيم المستعملة . تتحدث الوثيقة عن أنّ الجهاد وكما أنّ الله ندب إليه وجعله دعامة من دعائم الدين وفضل المجاهدين عن القاعدين فأیضا وضع حدودا وأدابا له . نفهم من هذه العبارة أنّ ثمة حدودا شرعية لا تخوّل المجاهد أن يستبيح كل شيء خارج الحدود . إنّ ثمة فرق كبير بين الجهاد وفق حدود معينة والجهاد بلا حدود . فهذا الأخير كما حصل بالفعل تحوّل إلى ضرب من الشطط باسم الجهاد الذي أهلك الحرث والنسل . ويكفي دليلا على ذلك أنّ هذا النفيير هو في ظاهره على الأقل معركة بين نموذجين : جهاد يقوم على الحدود ويستند إلى

شرعية الإسلام ومقاصده العادلة وبين جهاد منحول لا يقوم على ضوابط أو حدود ويستند إلى المرجعية الوهابية ومقاصدها لتخريب سمعة الإسلام وبنيه . والحدود التي تناولتها الوثيقة ربطتها بالآداب ، أي أخلاقيات الجهاد . وقد يتساءل الكثيرون كيف يمكننا الحديث عن أخلاقيات حرب بينما الحرب هي في الأصل فعل لا أخلاقي ؟ والحقيقة هذا صحيح إذا تحدثنا عن مقاصد وعلل الحروب التي تفسر شرعيتها وبالتالي أخلاقها . نستطيع هنا القول أن شرعية الحرب تعززها مقاصدها ، كما أن أخلاقيات الحرب لها صلة أولاً بشرعية الحرب وأسلوبها . فلا أخلاق في حرب غير مشروعة ، لكن حينما تكون مشروعة فتصبح أخلاقياتها تتعلق بمدى التزام الحدود والضوابط ومدى حضور الإحسان في معمعة الحرب . فالحرب التي تستهدف تحرير الإنسان والأوطان والدفاع عن الحرمات هي لا شك حروب شرعية وأخلاقية في المبدأ . وبما أن الحروب المشروعة تتناهبها الكثير من الخرقات والمخالفات يصبح الحديث عن آدابها أمراً وارداً . غير أن الوثيقة ارتقت أبعد من ذلك حينما بينت مدركات هذه الحدود والآداب . فقد يبدو أن هذه الآداب مجعولة جعلاً

شرعياً لكن الوثيقة أكدت على أن هذه الآداب هي عقلانية كونية ترتبط بالوجدان ومبادئ الإنسان ، وهذا يفهم من خلال عبارة الوثيقة نفسها حين تقول " فإنه عز اسمه جعل له (أي الجهاد) حدوداً وآداباً أوجبها الحكمة واقتضتها الفطرة " . فاجعل هنا في العبارة ليس حقيقياً بل تعبيراً عن الإرشاد وما كان أمضاه الشارع من عرف عقلائى ووجدان فطري لما كان في حكم الحسن وما كان في حكم المستقب . وهذا إنما يعطي للعملية الجهادية في الإسلام بعدها الإنساني والكوني . وتؤكد الوثيقة على أن هذه الحدود والآداب وجب تفقُّهها ومراعاتها . ونفهم أيضاً من هذه العبارة أن المجاهد ملزم بالتفقه في أحكام الجهاد وحدوده وآدابه وبالتالي مراعاتها حيث بقدر هذه المراعاة يحصل الأجر ومن دونها يحبط من أجر المجاهد . وهذا يؤكد على أن المجاهد حتى مع فرض الجهاد الشرعي قد يقوم بأعمال غير شرعية لا يشفع له فيها كونها حرباً شرعية . فالعبارة بطريقة أو بأخرى تفكك بين شرعية الجهاد وشرعية سلوك المجاهد .

وتؤكد الوثيقة على أن هذه الآداب العامة تتعلق حتى بغير المسلمين ، فالجهاد لا يجعلك

تستبيح حقوق الذين تقتاتلهم حتى من غير ملئتك . وتذكر المرجعية الحشد الشعبي بحديث نبوي يقول فيه النبي ﷺ : " لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا صيبا ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليه " . وهذا يؤكد على أن الأسلوب الذي يجب أن تقوم عليه جهادية الحشد الشعبي لا تلتقي في النمط مع جهادية التكفيريين الغلاة الذين يستبيحون كل شيء سواء ما كان منه مسلما أو لم يكن .

وتؤكد الوثيقة على أن المرجعية أشارت إلى وجوب مراعاة هذه الآداب حتى مع البغاة والمحاربين من المسلمين ، وذلك تمسكا بنهج علي مع منائيه في الحرب . وهنا نقف على بعد ديني وأخلاقي فريد حيث أن وثيقة المرجعية المتعلقة بالتوجيهات الشرعية والأخلاقية للجهاد ضد داعش تعتبر داعش جماعة باغية ومحاربة ولم تتحدث عن كفار . إن المفارقة هنا تبدو واضحة . فداعش تكفر كل من ليس معها وهي بالتأكيد تعتبر المرجعية على رأس قائمة الكفر ، بينما المرجعية تتحدث عن بغاة ومحاربين من المسلمين يجب مواجعتهم لإنقاذ المسلمين من سطوتهم ولكن في الوقت نفسه وجب

مراعاة آداب الجهاد معهم .

في المبدأ الرابع من توجيهات المرجعية حسب الوثيقة المذكورة هناك تشديد على قتل النفوس بغير حق . بل توجه المرجعية إلى الاحتياط الشديد في هذا الأمر ولو أدى الأمر إلى حالة يراد بها المكيدة فالأولى التحذير بالقول أو إطلاق الرصاص بعيدا حيث لا يصاب الهدف من باب الاحتياط على النفوس البريئة . ومن قول المرجعية : " الله الله في النفوس " قولها أيضا : " الله الله في حرمت عامة الناس ممن لا يقاتلوكم " . لا سيما الشيخ والأطفال والنساء حتى لو كانوا ممن يقاتلوكم . تؤكد المرجعية على أن هذه المعركة هي ضد قوم أشبه ما يكونون بالخوارج الذين وقعوا في نوع من فساد التأويل . ومن هنا تحدث توجيهات المرجعية للحشد الشعبي بالعبارة السابقة نفسها : " الله الله في اتهام الناس في دينهم " . واعتبر أنه ليس كل ضلالة في الدين هي مخرجة من الإسلام ، بل إن قتل بعض المسلمين للإفساد أو قصاصا لا يخرجهم من الإسلام . والأمر نفسه بالنسبة لغير المسلمين ، فلقد شددت توجيهات المرجعية على عدم استباحة حرمت من كان في رعاية المسلمين بل يعتبر ذلك من الغدر الذي هو

أقبح الأشياء في عرف الفطرة ودين الله .

إن توجيهات المرجعية للحشد الشعبي ليست توجيهات دينية وأخلاقية فحسب بل هي توجيهات تعزز الفارق بين نمطين من الفهم الديني كما تعزز البعد الأخلاقي والحضاري للجهاد الوطني الذي به يقوم العمران ويتماسك به النسيج الاجتماعي ويعزز العملية السياسية .

لقد كانت فتوى المرجعية بإعلان النفير العام المنقذ للعراق من انهيار كان حتميا في ظل هشاشة المؤسسات والاختراقات التي طالت أهم مرافق الدولة وكذا البيئة الإقليمية والدولية التي سهّلت للمؤامرة ضدّ العراق أن تبلغ منتهاها . بعد أن تحقق

الهوامش :

[١] النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ، ص ١٠ ، إعداد حامد الحفاف ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، ٢٠٠٧ ، بيروت .

[٢] النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية /، ص ١١ .

[٣] م ، ن ، ص ١٨٠

حلم داعش بالظفر بمكان لها في العراق لإعلان دولتها وتهديد العراق بالتقسيم كان لا بدّ أن تبادر المرجعية لتقول كلمتها وتترجمها على الأرض حيث تفاعل الشعب العراقي بكل أطيافه مع هذه الدعوة التي أثمرت على الأرض دحرا لداعش وإحباطا للمؤامرة مما كان له ارتدادات ووقفة جدية لتصحيح العملية السياسية التي كان لها دور في إيجاد فراغ تسللت من خلاله داعش إلى العراق . بفتوى النفير العام وإنشاء الحشد الشعبي تظهر الصورة الحقيقية للمرجعية التي ارتقت إلى ضمير العراق في السلم والحرب .

[٤] انظر مزيدا من التفصيل كتاب : الحرب العالمية الثالثة ، د . ياسر عبد الحسين ، ط ١ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ٢٠١٥ ، بيروت .

[٥] انظر مثلا تقديم الكاتب لكتاب : الحرب العالمية الثانية ، ط ١ ، للباحث د . ياسر عبد الحسين ، ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ٢٠١٥ .

دَوْرُ الْمَرْجِعِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ وَأَثَرُهُ عَلَى خَطِّ الْمَقَاوِمَةِ فِي الْعِرَاقِ

❖ أ. زينب عبد الكريم التميمي (*)

(*) باحثة في الشأن السياسي العراقي.

في ٩ حزيران ٢٠١٤م اجتاحت عصابات داعش الارهابية مدينة الموصل ، وسيطرت عليها وفي ايام معدودة تمكنت هذه العصابات المتوحشة من تهجير وقتل الالاف من ابناء الاقليات الدينية الايزيدية والمسيحية والتوجه نحو مدن صلاح الدين وكركوك وديالى . ازاء هذا الموقف المتفجر صدرت فتوى من المرجع الاعلى في النجف الاشرف على لسان الشيخ عبد المهدي الكربلائي في ١٣ حزيران ٢٠١٤م في خطبة يوم الجمعة بضرورة الجهاد الكفائي لمن يستطيع حمل السلاح ومقاتلة تلك العصابات للحفاظ على وحدة الدين والوطن ، وبعد تاريخ صدور هذه الفتوى تدفق الاف من العراقيين للتطوع في القوات المسلحة تلبية لنداء المرجعية ،

فهذه الفتوى على حد قول رئيس الوزراء حيدر العبادي انقذت العراق من مخطط اسود واوقفت تنظيم داعش الى المنطقة . فما السر وراء هذه الاستجابة الكبيرة من حيث العدد والسريعة من حيث الزمن ؟ وكيف لكلمات رجل واحد ان تحرك الاف من المدنيين نحو حمل السلاح وطلب الشهادة ومواجهة عدو شرس ؟ من هنا جاء هذا البحث لدراسة طبيعة العلاقة بين المرجعية واتباعها واهمية المرجع في حياتهم . حيث تفترض هذه الدراسة بأن للمرجعية الدينية دور كبير في الحياة السياسية تمثلت في الاستجابة الكبيرة لفتوى الجهاد الكفائي .

المحور الاول

الاطار التاريخي لدور المرجعية في العراق

الاربعة السفارة والنيابة عن الامام المهدي بالغيبة الصغرى ، وكانت مدتها ٦٩ سنة . وبعد الغيبة الكبرى للامام المهدي فإن مراجع التقليد هم الوكلاء الذين اختارهم الامام ليكونوا صلة الوصل بينه وبين الطائفة الشيعية ، حيث حدد الامام المهدي في حديث له شروط المرجع الديني " من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لامر مولاه ، فعلى العوام ان يقلدوه " .^(١)

فمنذ وفاة الامام علي عليه السلام المفجعة اصبح جنوب العراق مركز ثورة دائمة ومسرحاً لحوادث الاضطهاد المتكررة في كلا العهدين الاموي والعباسي ، كذلك اصبحت هذه المنطقة محجاً لجميع الحجاج الشيعة الذين يؤمنون بالمزارات

يعتقد الشيعة الامامية الاثنى عشرية بأن رجوع الشيعة في احكام دينهم وامور حياتهم العامة لابد ان يكون للنبي صلى الله عليه وآله ومن بعده للامام المعصوم المعين من قبل النبي صلى الله عليه وآله وهم الاثمة الاثنى عشر ابتداءً من الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام وانتهاءً بالامام المهدي . وهو ما يطلق عليه بعصر الظهور . وبعد غيبة الامام المهدي (حسب اعتقاد الشيعة الاثنى عشرية) فإن اتصال الشيعة بالامام كان عبر وكلائه او سفرائه الاربعة وهم : عثمان بن سعيد العمري ، محمد بن عثمان بن سعيد العمري ، ابو القاسم الحسين بن روح النوبختي و ابو الحسن علي بن محمد السمري الذي توفي سنة (٥٣٢٩ هـ) وسميت هذه الفترة الزمنية التي تولى فيها السفراء

المقدسة حيث دُفن فيها عدد من الائمة ، ومنذ غيبة الامام المهدي اصبحت الشيعة في العراق جماعة ثورية ترفض الاعتراف بأي سلطة قائمة غير انه لم تكن لديهم سياسة واضحة المعالم ، اذ ان الامام الغائب لم يكن ليظهر الا عند قيام الساعة .^(٢)

لم يظهر فقهاء الامامة في هذه الفترة اي اهتمام يذكر بمسألة السلطة ، وبدت وكأن هذه المسألة لا تهمهم من قريب او بعيد ، بسبب تسيد نظرية الانتظار هذه النظرية التي جعلت من مسألة إقامة الدولة الدينية الى حين ظهور الامام المهدي ، وبالنتيجة فإن كل دولة تقوم في هذه الفترة هي دولة غير شرعية بحسب اعتقادهم .^(٣)

مع ذلك فإن دور المرجعية الدينية تجاوز مرحلة الافتاء واستنباط الاحكام الشرعية الى ما يقرر مصيرهم الامة السياسي ، فمنذ ان احتلت القوات البريطانية ميناء البصرة تناست الشيعة آنذاك ما لقيته من ظلم وجور على يد الاتراك ، واصدر المجتهد الاكبر فتوى بضرورة مساندة الاتراك ومعاودة السلطة العثمانية ، حتى اعلن الجهاد .^(٤)

على الرغم من ان الحملة التي قادتها بريطانيا آنذاك تستهدف في شعارها انقاذ الطبقات الرثة والمظلومة على يد الدولة (الطائفية) العثمانية ، لكن حرص المرجعية على كيان الاسلام في العراق ، وعلى حرمة الاراضي

الاسلامية افتوا بحمل السلاح والوقوف الى جانب الدولة العثمانية .^(٥)

اما في مرحلة تأسيس حكومة العراق الاولى عام ١٩٢١ كانت تركز التحركات السياسية على تحقيق الاستقلال السياسي ، لان بريطانيا في عام ١٩٢٢ حاولت عقد معاهدة مع الحكومة العراقية تتضمن الانتداب اولاً ، ثم يأتي اثر ذلك المجلس السياسي لاحقاً ليصادق عليها ، وبنود هذه المعاهدة معدة سابقاً وهي تتضمن ١٥ مادة تجعل هذه المواد من المندوب السامي البريطاني الحاكم الفعلي للعراق ، لذا عارض علماء الشيعة هذه المعاهدة بقوة من خلال اجتماع عقده في مسجد الهندي وأجمعوا على ارسال مذكرة الى رئيس الوزراء وبمواصلة مقاومة ورفض الاتفاقية ، والمجلس التأسيسي ، ونتيجة لذلك قررت الحكومة العراقية برئاسة عبد المحسن السعدون نفي المراجع من النجف الى ايران .^(٦)

حيث زعم السعدون ان هؤلاء المجتهدين عجم وبالتالي غرباء عن العراق وليس لهم الحق بالتدخل في سياسة البلد ، اما اذا ارادوا العمل في السياسة فالواجب يقضي عليهم ان يتجنسوا بالجنسية العراقية والا فإن الحكومة يجوز لها ان تبعدهم عن البلاد .^(٧)

اما في مرحلة ثورة العشرين كانت جهود الشيعة -

شعباً ومراجع - بارزة في مقاومة الاحتلال البريطاني إذ تقول المس بيل السكرتيرة الشرقية لديوان المعتمد السامي البريطاني في العراق: " . . اما انا شخصياً فأفرح ان ارى هؤلاء الشيعة الاغراب يقعون في مأزق حرج ، فإنهم من اصعب الناس مراساً وعناداً في البلاد".^(٨)

والواقع ان المنتمين الى الطائفة السنية كانوا يمثلون الغالبية في مجلس الدولة ، وكانوا المهيمين على مقدراته ، ولم يكن للشيعة سوى ممثلين عن بغداد والبصرة والموصل وكركوك ، اما النجف وكربلاء والكاظمين وسامراء المدن الاربع المقدسة عندهم ، فلم تكن ممثلة في المجلس .^(٩)

وما ان تم اعتقال الشيخ شعلان ابو الجون حتى صدرت الاوامر من النجف الاشرف بقيام الثورة واعلانها ضد الانكليز ، فقامت القبائل بمهاجمة مكاتب الحكومة بناءً على الاوامر التي صدرت من النجف ، وكانت مطبعة كربلاء تعمل ليلاً نهاراً على طبع المنشورات لتوزع على الاهالي .^(١٠)

لقد تمكنت ثورة العشرين من اسقاط المخططات البريطانية وتمكنت من تيسير الاستقلال للشعب العراقي وتأسيس دولة لهم فساهمت بذلك هذه الثورة بقيادة المراجع في احداث تغيير جذري في السياسة البريطانية في

العراق وتأسيس الدولة العراقية ، ورغم تزعمهم لحركة الاستقلال لم يطرح فقهاء الشيعة اثناء ثورة العشرين اي مشروع طائفي للحكم في العراق ، بل حرصوا في خطاباتهم على وحدة العراق وعلى الأخوة التي تربط بين ابناء الشعب من الطوائف والقوميات وطرحوا اقامة حكم دستوري يقوده ملك عربي مسلم .^(١١)

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ توترت العلاقة بين المرجعية والسلطة على اثر صدور قانون الاحوال الشخصية والذي جاء في بعض فقراته مخالفاً للتشريع الاسلامي ، ووصل التوتر في العلاقة حد القطيعة لان هذا القانون ساوى في حصص الارث بين المرأة والرجل خلافاً لنص قرآني صريح " للذكر مثل حظ الانثيين " . فضلاً عن منعه الزواج بأكثر من واحدة الا باذن القاضي ، وقد رفض عبد الكريم قاسم تعديل الفقرات المثيرة للجدل في هذا القانون ، بل انه دافع كثيراً عنه في خطبه التي كان يلقيها بمناسبات عدة .^(١٢)

وهنا بالامكان استحضار فتوى الامام الحكيم بشأن الشيوعية بوصفها كفراً والحاداً ، وعدم تكفيره الشيوعيين ، لقد كفر الامام الشيوعية ، لانها فلسفة عقدية قائمة على انكار وجود الله تعالى وتأطير الاشواق الانسانية بقوالب المادية الديالكتيكية ، وهو ما يتنافى واشواق

الانسان التي تتجاوز المادة عميقاً في التجليات الروحية وفاعلية العقل.^(١٣)

ولم تكن علاقة السلطة في عهد عبد السلام عارف افضل حالاً منها في فترة عبد الكريم قاسم ، فقد كان السيد عبد المحسن الحكيم معارضاً لنظام عبد السلام عارف منذ الايام الاولى لتوليته الحكم ، ففي فترة الانقلاب شهد الشارع العراقي سيول من الدماء والانتهاكات لحرمة الشعب العراقي على يد قوات الحرس القومي وقد حاول عبد السلام عارف ان يزور السيد الحكيم ، ولكن المرجع الاعلى كان يرفض ذلك ويشترط ان يلغي عبد السلام عارف قانون الاحوال الشخصية و القوانين الاشتراكية اولاً ، ثم يوافق على الزيارة.^(١٤)

بعد وفاة المرجع عبد المحسن الحكيم عام ١٩٧٠م اتسمت سياسة المرجع السيد ابو القاسم الخوئي من النظام البعثي بالمهادنة ، وكانت هذه السياسة تأتي بشمارها في خدمة الحركة الاسلامية اذ استغل موقفه هذا بالقيام بالعديد من الوساطات التي خدمت الحركة الاسلامية.^(١٥)

في اواخر الثمانينات كانت الاوضاع على وشك الانهيار وكانت هذه الانهيارات في جانب منها تستهدف بنية المرجعية الدينية ومكانتها وحضورها العاطفي

والوجداني والفكري و السياسي ، كان الامام الخوئي منفتحاً على المسألة العراقية ، مدركاً ان لعبة السلطة تستهدف احداث الاختراق الكبير في البيئة بعد ان نجح النظام آنذاك في تكييل العراقيين بقيود الخوف والقمع ومصادرة الحريات والحروب المجنونة وعسكرة المجتمع ، ولم يكن الامام الخوئي يمتلك الكثير من الوراق بسبب الحظر والقيود والمصادرة بإستثناء ورقة النجف والحوزة ومكانة المرجعية في النفوس ، في تلك الفترة عمل الامام الخوئي على حماية الحوزة العلمية ومدارس العلم ومكانة المرجعية في المجتمع ، و نأى بعيداً عن كافة الممارسات السياسية.^(١٦)

لقد حاولت السلطة البعثية استغلال موقف الخوئي بالمهادنة واستثماره لصالحها ، لذلك حاولت ان تضغط عليه للحصول على تأييد منه على كل ما تقوم به من اعمال ، ففي اثناء الحرب العراقية - الايرانية ، قاوم السيد الخوئي ضغوط النظام الهائلة خلال سنوات الحرب الثمانية والتي كانت ترمي الى دفع السيد الخوئي نحو اصدار فتوى ضد ايران بإعتباره المرجع الاعلى للشيعية في العالم ، ولأن فتواه ستؤثر على الداخل الايراني ، وموقف الحكومة الايرانية ، الا انه رفض تلك المحاولات مما دفع بنظام صدام الى الانتقام منه والتضييق عليه.^(١٧)

وعقب غزو الكويت وقيام الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م بتخطيط من الحركة الاسلامية كان للسيد الخوئي دور متميز فيها ، فعلى اثر هذه الانتفاضة انتشرت حالة من الفوضى بسبب عدم قدرة الثوار السيطرة عليها بسبب اتساع حجمها ، فاندفع بعض ضعاف النفوس الى الشارع وبدأوا يدمرون ويحرقون وينهبون كل ما يقع امامهم ، بسبب الانهيار الذي تعرض النظام عقب القصف المكثف عليه من قبل جيوش الحلفاء . نتج عن هذه الحالة الفوضوية الاف من جثث القتلى المرمية في الشوارع والاف اخرى مكدسة في المستشفيات التي اصبحت غير قادرة هي الاخرى على القيام بواجباتها ، وأزاء هذه الاوضاع المأساوية كان الحل هو البحث عن قيادة من الداخل تحضى باحترام الناس ، فتوجهت جميع الانظار نحو المرجعية العليا لمعرفة التكليف الشرعي ، الامر الذي استدعى من المرجعية العليا التدخل وتولي قيادة الانتفاضة ، فجاء البيان الاول للمرجعية يحث الناس على التمسك بالاسلام ومبادئه ، وتحول بيت السيد الخوئي الى مركز رئيس للقيادة وتنظيم الامور من خلال تشكيل لجان قيادية وعسكرية ومدنية ودينية ، لكن بعودة قوات الحرس الجمهوري من الكويت الى العراق وتطبيقاً لاتفاقية خيمة صفوان ، تمكن صدام حسين من اعادة تنظيم هذه القوات

والقضاء على الانتفاضة من خلال عمليات القمع والارهاب والابادة الجماعية التي لم يسلم منها الاطفال والنساء ، وشمل الدمار حتى مراقد الائمة التي اخترقها قذائف الجيش ، وسط صمت عربي وغربي غريب ، وفور سيطرة الجيش على مدينة النجف قامت بإقتحام منزل السيد الخوئي واعتقلته هو ونجله السيد محمد تقى ، فيما قامت بقتل الكثير من ايناءه واقاربه والمقربين منه ، ثم اطلقت سراحه بعد ذلك هو وابنه وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منزلة في الكوفة حيث توفي في شهر آب من عام ١٩٩٢م لتنتهي بذلك مرحلة مهمة من مراحل المرجعية الدينية .^(١٨)

بعد وفاة السيد الخوئي تنافس على المرجعية شخصين هما السيد علي الحسيني السيستاني ومحمد محمد صادق الصدر الذي بدأت مرجعيته بالتنامي الى ان اصبحت مساوية لمرجعية السيد السيستاني من حيث حجم المقلدين ، لقد كان تعامل السيد محمد الصدر مع السلطة في سياق إشكالية التعامل معها فقهياً عبر التاريخ الشيعي دون ان تسجل خروجاً على هذا التاريخ الا بالشكل الايجابي ، فالصدر الثاني تعامل معها دون ان يعطيها المشروعية ، كما ان هذه العلاقة لم تكن علاقة

تعاون وانما علاقة تعامل مشروط ، فقد كان يدرك ان المرجع في العراق لابد ان يحدد علاقته بالسلطة اما بالمعارضة او بالحياد ، فكانت المعارضة المعلنة تعني الموت السريع في ظروف العراق الارهابية ، اما المهادنة بنظره فهي موقف ضعيف لا ينسجم معه دور المرجع ، ومن هنا فإن الصدر الثاني اختط له طريقاً ومنهجاً في التعامل مع السلطة خاصاً به يقوم على الحياد اولاً مع التأكيد على انه يجب ان يكون هذا الحياد ايجابياً ليس سلبياً ، اي انه لا يجب ان يكون حياد العزلة والانكفاء ، بل ان يجعل منه الستار الذي يغطي تحركه الجماهيري^(١٩).

لقد استطاع السيد محمد محمد صادق الصدر اقامة صلاة الجمعة التي كانت مغيبة واعاد من خلالها الفكر الاسلامي الحركي الثائر ، لاسيما خطبه التي كانت لا تخلو من مفردات واعلانات ثورية كاعلانه عن تشكيل محاكم شرعية ودعا الناس الى مراجعتها بدلاً من اللجوء الى المحاكم والمؤسسات

القضائية والحكومية ، وقد استطاع استقطاب الشارع العراقي المسلم المحمل بالغضب تجاه السلطة الجائرة ، ولما رفض الصدر مطالب السلطة بالدعاء الى لصدام في الصلاة ، حيث ان السيد الصدر ووكلائه رفضوا طلب السلطة هذا طلبت السلطة من السيد الصدر ايقاف صلاة الجمعة ، ولما رفض ذلك فرضت الاقامة الجبرية عليه وقام بإختراقها فكان رد الفعل من السلطة هذه المرة حاسماً وسريعاً بتدبير إغتياله هو ونجليه في شباط من عام ١٩٩٩ م.^(٢٠)

وبمتابعة ادوار ابرز المرجعيات الدينية منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة ، مروراً بمرجعية الامام عبد المحسن الحكيم والسيد محمد محمد صادق الصدر والامام الخوئي يتضح عظم الدور الذي نجحت المرجعية الدينية في ممارسته واهمية هذا الدور في التأثير على ابناء المذهب الشيعي الذين لطالما التفوا حول مرجعيتهم .

المحور الثاني

دور السيد السيستاني في الحياة السياسية

اعقاب القضاء على الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م مع مجموعة من رجال الدين كالشهيد الشيخ مرتضى البرجرودي والشهيد الميرزا علي الغروي ، حيث تعرضوا للضرب والاستتجواب القاسي في فندق السلام وفي معسكر الرزاوة ومعتقل الرضوانية .^(٢٢)

ثم قام النظام بعد ذلك باغلاق جامع الخضراء ومنعه من الصلاة فيه ، وقد تعرض السيد السيستاني الى محاولات عديدة لإغتياله منها المحاولة في ١١/٢٢/١٩٩٦م ، كما اطلقوا النار في بيته على حشد من الاتباع والزوار فهتكوا حرمة البيت وجرحوا العلماء والمؤمنين وعند اغتيال المرجع محمد الصدر عام ١٩٩٩م فرضت الاقامة الجبرية على المرجع السيستاني في بيته ، فبقي حبيس داره

كان نظام صدام يسعى بكل وسيلة للقضاء على الحوزة العلمية في النجف الاشرف منذ السنين الاولى من تسلمه السلطة ، حيث قام بعمليات تسفير واسعة للعلماء والفضلاء وسائر الطلاب الاجانب ولاقى السيد السيستاني عناءاً بالغاً جراء ذلك ، وكاد ان يُسفر عدة مرات ، وتم تسفير مجاميع من تلامذته وطلاب مجلس درسه في فترات متقاربة ، وخلال الحرب العراقية - الايرانية اصر السيد السيستاني على البقاء في النجف الاشرف وواصل التدريس في حوزته العلمية المقدسة ايماناً منه بضرورة استمرار المسار الحوزوي المستقل عن الحكومات تغادياً للسلبات التي تنجم من تغيير هذا المسار .^(٢١)

كما تعرض السيد السيستاني للاعتقال في

حتى سقوط النظام في ٩ نيسان ٢٠٠٣م، ونتيجة لهذه السياسة التي مارسها النظام ضد مرجعية السيستاني أصبح من المستحيل ان يصدر عنها اي فتوى او بيان ذو طابع سياسي الا اذا كان لا يمس بالنظام البعثي.^(٢٣)

كان العديد من السياسيين والمراقبين يتوقعون للمرجعية الدينية في النجف الاشرف دوراً اكبر في الاحداث السياسية في العراق، حيث يرى هؤلاء ان المانع الحقيقي من تحرك المرجعية السياسي في حقبة البعث هو القسوة والبطش التي تميز بها هذا النظام، لهذا السبب توقع البعض ان يكون للمرجعية دور حقيقي بعد سقوط النظام، وان دور المرجعية سيكون حاسماً في رسم المشهد السياسي، لكن بمرور الزمن تبين للجميع ان المانع من عدم تدخل المرجعية بالشؤون السياسية ليس مانعاً اميناً بقدر ما هو مانع فقهي كلامي، لان المرجعية وفق متبنياتها الفقهية والكلامية لا تتدخل بالسياسة بالنحو التفصيلي، بل لها رؤيتها في الحدود التي تتدخل بها، على الرغم من ان السيد السيستاني يؤمن بولاية الفقهية بشكل واسع بمعنى انه يرى في العمل السياسي جزء من القضايا الدينية،

لكنه يرى ان لأعمال ولاية الفقيه شروطاً منها ان يكون للفقيه مقبولة لدى عامة الناس، وبما ان العراق فيه مجموعة مكونات متقاربة من حيث الكم فلا يتم التعامل بها.^(٢٤)

فالسيد السيستاني لا يعتقد ان تدخل المرجعية الشيعية في السياسة يجب ان يكون مباشر، بحيث تتسلم المرجعية الدور السياسي لادارة الدولة، لكنه يعتقد ان المرجعية مهتمة بشكل مباشر في ان لا يكون الدستور العراقي مناقضاً للمبادئ الاسلامية عامة.^(٢٥)

ومع رفض الامام السيستاني الدخول في التفاصيل في السياسة وتوجيه جهده الى القضايا الدينية، الا انه ظل حاضراً حيال كل ما يمس العراق وشعبه ومشروعه السياسي القائم على اساس الدولة العادلة، لذا ما ان سقط النظام، حتى وجد السيد السيستاني نفسه امام مهام كثيرة تتطلب جهده وحضوره، كالموقف من الاحتلال، وموقع الدين بالنسبة للدولة والمسائل المتعلقة بالديمقراطية والتعددية والفتنة الطائفية اضافة الى تلك المسائل المتعلقة بالعلاقة مع الحوار العربي والاسلامي وشكل العراق الجديد.^(٢٦)

بالنتيجة يعتبر السيد السيستاني من المعتدلين ضمن مراجع الشيعة الكبار سواء في العراق او ايران ، كما يعتبر من الواقعيين الذين يكيفون المواقف الدينية مع الوقائع السياسية على الارض ، فرفض التعامل مع قوات الاحتلال ورفض لقاء الحاكم المدني بول بريمر رغم الحاحه وتوسيط عدد كبير من السياسيين العراقيين ، منهم مسعود برزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني ، وفي نفس الوقت لم يدع الى مقاومة الاحتلال بالعنف ، وانما اكتفى بموقف سياسي لا يضعف العملية السياسية التي جرت في العراق بتشكيل مجلس الحكم في (١٣ تموز ٢٠٠٣) ولكي يتناغم مع الشعار الامريكي في العراق لاقامة الديمقراطية ، دعى السيد السيستاني الى انتخابات عامة ، كما دعى الى دور اكبر للأمم المتحدة في العملية السياسية في العراق ، واستطاع ان يثبت قوة هذا المطلب بانزال اتباعه الى الشارع في تظاهرات سلمية حاشدة ، وايصال رسالة الى الامريكيين بنفوذه في الشارع العراقي .^(٢٧)

اما بريمر في كتابه (عام قضيته في العراق) فيعكس مرارته من مواقف السيد السيستاني ويعتبرها

موجهة لإفشاله شخصياً ولإفشال سياسة الولايات المتحدة عموماً في العراق ، وتجاه الرئيس بوش ووزيره كوندليزا رايس ، حيث يقول : " اننا مختلفون مع السيستاني وها هو يرفض فكرة الهيئة غير المنتخبة التي تتسلم السيادة ، وهذا مطلب جديد متفجر " .^(٢٨)

لقد ادرك الامام السيستاني ان افضل الحلول لواقع العراق بعد انهيار نظامه السياسي هو التوجه نحو الدولة المدنية لا الدولة الدينية وعندما سُئل عن رأيه في إقامة دولة دينية اسلامية في العراق على غرار الدولة الاسلامية في ايران والقائمة على اساس نظام ولاية الفقيه اجاب : " أما تشكيل حكومة دينية على اساس فكرة ولاية الفقيه المطلقة فليس وارداً لكن يُفترض بالحكم الجديد ان يحترم الدين الاسلامي الذي هو دين اغلبية الشعب العراقي ولا يقر ما يخالف تعاليم الاسلام " .^(٢٩)

ورغم ان السيد السيستاني لم يبد رأياً مباشراً بمجلس الحكم الانتقالي ، الا ان موقفه منه يظهر من خلال موقفه من الوظائف التي يفترض ان يليها هذا المجلس ، وأبرزها قضية كتابة الدستور ، في ضرورة ان يعتمد في كتابة الدستور القادم على آلية

الانتخابات دون تعيين ، وانه لا شرعية لاي دستور يكتب بأيدي اشخاص معينين سواء من قبل سلطة الاحتلال او اعضاء ما يسمى بمجلس الحكم او غيرهم ، فهو يرى ان هذا المجلس هو هيئة لتسيير الامور اليومية الخاصة بالناس والامن والخدمات والاستقرار والتحضير للانتخابات ليس الا .^(٣٠)

وعندما رفض بريمر واطراف عراقية اخرى اجراء الانتخابات ولاسباب مختلفة طالب السيستاني ان يكون للامم المتحدة الكلمة الاخيرة في مسألة امكانية اجراء انتخابات من عدمها ، فقد حاول السيستاني التعامل مع الامم المتحدة باعتبارها الشرعية الدولية بديلاً عن ممثلي الاحتلال ، فوافق على قرارها بأن ظروف العراق لا تشجع على الانتخابات في هذا الوقت .^(٣١)

لقد رفض السيد السيستاني التفاوض مع اي رمز من رموز الاحتلال في العراق رغم اصرارهم المستمر للقائه والتحدث اليه^(٣٢) ، كما حرص على عدم استقبال اي شخصية ايرانية رسمية على الرغم من المحاولات المتكررة من تلك الشخصيات للقائه ، وهي بمنزلة رسالة لصانع القرار السياسي الايراني بأن الطبيعة الاجتماعية والفكرية لكل من الدولتين

مختلفة عن الاخرى^(٣٣) .

ومن اهم المسائل التي حضيت باهتمام السيد السيستاني هي كتابة الدستور الدائم للعراق بعد عام ٢٠٠٣م ، اذ ان من المعروف ان العراق لم يشهد دستوراً دائماً الا في فترة العهد الملكي ، اما في العهد الجمهوري فالدساتير العراقية جميعها كانت مؤقتة ، لذلك طالب السيد السيستاني بحكومة تمثيلية خاضعة للمساءلة تحفظ الهوية الاسلامية لغالبية الشعب العراقي ، وتراعي حقوق ابناء الاقليات والمكونات الاخرى ، ومبنية على اساس التعددية وتحقيق العدالة والمساواة والرفاهية لآبناء هذا البلد بدون تمييز^(٣٤) .

لقد مارس السيد السيستاني تأثيراً بارزاً في إعطاء الدستور الهوامش السياسية والفقهية التي يستحقها دستور يفترض ان يشكل دولة القانون والمؤسسات ، ومن ابرز هذه الهوامش رفضه لفكرة إدارة الدولة عبر أكثرية عددية ، مشيراً في هذا الوقت الى ان الدولة العراقية القادمة هي دولة تحتكم للخبرة وطبقة مخلصه من رجال السياسة والدستور والقانون^(٣٥) .

لقد استمرت مرجعية السيد السيستاني في

توجيه العملية السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣ م، كما سجل حضوراً في جميع المجالات الأخرى فقد واكبت المرجعية الأحداث التي شهدتها الساحة العراقية وتمثل الدور المحوري لها عندما شهد العراق تفجير مرقد الإمامين العسكريين بسامراء، وما تبعه من أعمال عنف إذ حذر المرجع السيستاني عبر بياناته جميع أبناء العراق باختلاف طوائفهم وأديانهم من خطر الفتنة ودعت إلى التكاتف ونبذ العنف والطائفية وضبط النفس، كما وصف المكون السني بانهم انفسنا^(٣٦).

لقد اشرفت المرجعية على بناء العملية السياسية في مراحلها الأولى وأمر بتشكيل تحالف شيعي يدخل الانتخابات ويكون النواة لبناء الدولة العراقية في مراحلها اللاحقة، كما توسعت المرجعية وخطبت المكونات والأقليات العربية والإسلامية والدولية ووجهت العديد من البيانات للقوى والدول المحتلة للعراق^(٣٧). لكن المرجعية أغلقت أبوابها بوجه المسؤولين منذ عام ٢٠١٠ م، ومع تصاعد

الانتقاد الشعبي لاداء الحكومة، لاسيما في مجالي الارهاب والفساد، دعا ممثل المرجعية اعضاء الحكومة العراقية الى الخروج من مقراتهم والتواصل مع العراقيين للاطلاع على معاناتهم، لانهم يعيشون ظروفًا قاسية^(٣٨).

من ذلك يمكن القول ان للمرجعية تأريخياً دوراً محورياً في الحياة السياسية والحياة العامة عبر مراحل مختلفة من تطور تاريخ العراق الحديث، ينطلق هذا الدور المحوري من الأهمية التي تلعبها المرجعية في الحياة اليومية لشعبة العراق والذي انعكس بالتالي على الحياة السياسية، هذا الدور البارز الذي مارسته المرجعية على فترات تاريخية ممتدة هيأ الفرصة لها لان تلعب دوراً محورياً في العراق بعد ٢٠٠٣ نتيجة حالة اللااستقرار والفراغ الذي نتج عن سقوط النظام السابق، كما ان طبيعة المرحلة التاريخية في اعقاب نيسان ٢٠٠٣ م، فرضت على المرجعية هذا الدور والذي تم تأديته بحكمة ووعي وحياد.

المحور الثالث

فتوى الجهاد الكفائي للسيد السيستاني وتأسيس الحشد الشعبي

الكفائي في ٢٠١٤/٦/١٣م تحولاً استراتيجياً في الحرب على عصابات تنظيم داعش الارهابي بعدما تمكنت هذه العصابات من احتلال الموصل واندفع باتجاه صلاح الدين والانبار وديالى وكركوك ، فصدر عن الامام السيستاني بيان اشار فيه الى الاوضاع الامنية الخطيرة التي تشهدها مدينة الموصل على يد عصابات داعش الارهابية^(٤١) . فكانت هناك استجابة عالية من ابناء الشيعة في العراق لتلبية نداء وفتوى المرجعية لدرجة ان المؤسسات العسكرية لم تستوعب عدد المتطوعين ، ولا شك بأن موقف المرجعية وفتوى الجهاد والتطوع والاستجابة الكبيرة قد اوقف انهيار الدولة وسقوطها بيد الارهابيين القادمين بأموال ودعم وخطط اجنبية^(٤٢) .

الجهاد في الاصل هو الداء الى الدين الحق ، فلا يقتصر على استخدام القوة والقتال سبيلاً الى هذا الداء ، اما استخدام القوة في الداء الى الدين فالقصد منه الدفاع عن الدعوة وتأمين استمرارها في اطار الحكمة والموعظة الحسنة ، الذي هو السبيل للتصديق بها واليقين بمقولاتها ، وقد يكون من الدفاع المبادرة لاجهاض محاولات الخصوم الذين يهمون بالانقضاء على اهل دعوة الاسلام^(٣٩) .

ويستند الجهاد الى آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِشْ الْمَصِيرُ﴾^(٤٠) .

مثلت فتوى السيد السيستاني في الجهاد

وبناءً على هذه الفتوى وتلبية لها دعت الحكومة العراقية برئاسة رئيس الوزراء نوري المالكي الى تشكيل جيش رديف من ابناء الشعب العراقي لمساندة القوات المسلحة ثم وضعت هذه الدعوة في اطار رسمي عبر تأسيس " مديرية الحشد الشعبي " لتطويع القادرين على حمل السلاح من جميع المحافظات العراقية ، وتم بعد ذلك تشكيل لجان الحشد الشعبي في بغداد ومحيطها ، وفي مدن وسط العراق وجنوبه . وقامت تلك اللجان بتسليم السلاح لعدد كبير منهم ودعت الآخرين لحمل اسلحتهم الشخصية بسبب كثرة اعداد المتطوعين^(٤٣) .

تكون الحشد الشعبي من تشكيلات كانت موجودة على الساحة العراقية مثل سرايا عاشوراء ، سرايا انصار العقيدة ، منظمة بدر ، عصائب اهل الحق ، سرايا السلام ، حركة حزب الله ، اضافة الى ابناء العشائر من سنة العراق من محافظات صلاح الدين ونيوى والانبار وكذلك الكرد الفيليين^(٤٤) . ورغم وجود التشكيلات الشيعية المسلحة في المشهد العراقي الا ان فتوى السيد السيستاني اعطت الشرعية لهذه التشكيلات بعد ان كانت موجودة ولكنها تعاني ازمة الشرعية والغطاء القانوني

على الارض ، فالعديد من هذه التشكيلات والتي تعتبر النواة الاساسية لتكوين خط المقاومة في العراق ، كانت موجودة قبل صدور الفتوى ، كما كان للجمهورية الاسلامية في ايران الدور الاساس في تكوينها وتدريبها وتنظيمها وتقويمها مثل مؤسسة بدر التي تأسست عام ١٩٨١م وكتائب حزب الله في العراق التي تأسست عام ٢٠٠٥م بعد دخول الاحتلال الامريكي الى العراق ، وعصائب اهل الحق تأسست عام ٢٠٠٤م وجماعة الخرساني تأسست عام ٢٠٠٩م وحركة الجهاد والبناء تأسست عام ١٩٩٠م وكانت تتكون من حركتين هما حزب الله وحركة سيد الشهداء ثم اندمجت الحركتين عام ٢٠١٠م وحملت اسم حركة الجهاد والبناء ، وآخرين لكن جميع هذه الحركات لم تحظى بالشرعية من النجف ولم تتحمل مسؤولية الدفاع عن الدولة والعملية السياسية والامن الوطني ومواجهة الارهاب الا بعد صدور فتوى الجهاد الكفائي فتحوّلت بهذه الفتوى الى جزء من مؤسسات الدولة الامنية ، كما يلاحظ ان بعض هذه التشكيلات كان يمارس دوراً سياسياً فقط مثل منظمة بدر بعد ان القى السلاح عام ٢٠٠٤م وصار جزءاً من العملية السياسية ،

وكذلك الجهاد والبناء ، والقسم الآخر من هذه التشكيلات من كان جزء من عملية مقاومة المحتل الأمريكي كالكتائب والعصائب ، لكن بدأت ظروف الهجمة الارهابية وفتوى الجهاد توحدهم في عمل واحد وهدف واحد تحت سقف الدولة والمرجعية في آن معاً^(٤٥).

لقد استطاع الحشد الشعبي من استعادة الكثير من المناطق التي وقعت تحت سيطرة عصابات داعش الارهابية وساهم في تغير المخططات التي كانت الجماعات الارهابية تحاول تحقيقها ، حيث كان لفصائل الحشد الشعبي دور في تغيير موازين القوى لصالح قواتنا العسكرية والامنية ، لقد بدأ المجتمع العراقي ينظر الى الحشد الشعبي باعتباره المنقذ التاريخي من احتمالات سقوط الدولة^(٤٦).

وقد نجح السيد السيستاني باعتباره مؤسس الحشد الشعبي عن طريق فتواه بإصدار توجيهات دينية تنظم علاقة وتعامل الحشد مع اهالي المناطق المحررة من عصابات داعش الارهابية في العراق وتتضمن التوجيهات حث منتسبي الحشد الشعبي على التعامل بالاخلاق الاسلامية وعدم التعرض

للناس او اهالي المنتمين لعصابات هذا التنظيم في المناطق المحررة ، بأي اذى او اضطهاد وعدم ايداء الكبار بالسن والاطفال والنساء وعدم قطع اي شجرة الا ان يضطروا الى قطعها وكذلك معاملة غير المسلمين معاملة حسنة وعدم المساس بهم^(٤٧). فمن توجيهاته للمقاتلين في هذا المجال : " الله الله في النفوس ، فلا تعرضوا للنفوس البريئة ، وقد قال امير المؤمنين عليه السلام لمالك ، « اياك والدماء وسفكها بغير حلها » . فإن وجدتم حالة مشتبهة تخشون فيها المكيدة بكم ، فقدموا التحذير بالقول او بالرمي الذي لا يصيب الهدف او لا يؤدي الى الهلاك ، معذرة الى ربكم واحتياطاً على النفوس البريئة " . وحذر السيد السيستاني ابناء الحشد من تكفير المسلمين مهما كان انتمائهم فيقول : " الله الله في تكفير المسلمين ، فإن من شهد الشهادتين فهو مسلم يعصم دمه وماله ، قال عز من قائل : « ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً » وكان امير المؤمنين عليه السلام يقول عمن قاتله من البغاة « هم اخواننا بغوا علينا » . كما شدد الامام على الحرمان بقوله : " الله الله في الحرمان كلها فياكنم والتعرض لها او انتهاك شيء منها بلسان او يد ، واحذروا اخذ

امريء بذنب غيره ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ولا تأخذوا بالظنة وشبهوه على انفسكم بالحزم ، فإن الحزم احتياط المرء في امره ، والظنة اعتداء على الغير بغير حجة ، ولا يحملنكم بغض من تكرهونه على تجاوز حرمانه كما قال الله سبحانه وتعالى ، « ولا يجرمكم شأن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى » ^(٤٨) .

هذا ويلاحظ ان فتوى الجهاد الكفائي التي صدرت عن المرجعية العليا في النجف لم تكن موجهة الى الشيعة فقط او الى فئة مقلدي المرجع صاحب الفتوى (الامام السيستاني) والذين يتطلب منهم تنفيذ الفتوى والالتزام بها حرفياً بحسب العرف الفقهي الفتوائي المتوارث لمراجع التقليد ، بل هي موجهة الى جميع العراقيين ممن يقدر منهم على حمل السلاح للدفاع عن العراق ومقدساته دون تمييز او استثناء لمكون عن آخر ، وجاءت هذه الفتوى في الوقت المناسب وقبل ان يستفحل خطر عصابات داعش الارهابية لانهم استطاعوا في ايام معدودات احتلال الموصل وما يساوي ثلث مساحة العراق مهددين بقية مناطق العراق بالسقوط بذات السيناريو التدميري - الدموي المرعب ، وكان متوقعاً ان

تتهاوى المدن العراقية وعلى رأسها العاصمة بغداد بيد هذه العصابات الارهابية ^(٤٩) .

ولا شك بأن اهم سلاح استراتيجي امتلكه الحشد الشعبي هو العقيدة التي كان لها الفضل في حسم الكثير من المعارك العسكرية ضد عصابات داعش الارهابية ، حيث كان الدافع الديني يمثل ركيزة اساسية الى جانب الدافع الوطني في تكوين تلك العقيدة ، ذلك ان الاستجابة الواسعة لمتطوعي الحشد الشعبي لنداء الوطن والمرجعية " يعد ترجمة حية لأهمية الموروث الديني والوطني في الجهاد والاستشهاد في سبيل الله والوطن المنغرس في نفوس العراقيين منذ فجر التاريخ " ^(٥٠) .

ويمكن انجاز اهم انجازات الحشد الشعبي ^(٥١) :

- ١ . استطاع الحشد الشعبي بعد سقوط الموصل ان يفشل التمدد السريع لعصابات داعش الارهابية نحو بغداد وسامراء وكربلاء .
- ٢ . كان للحشد الشعبي دور كبير في ابقاء مدن العتبات المقدسة والعاصمة بغداد خارج دائرة خطر داعش ، مما كان له كبير الاثر في استرداد الروح المعنوية لقواتنا المسلحة ولعموم افراد

المجتمع ، الامر الذي ساهم في التمهيد لتحقيق الانتصارات اللاحقة .

٣ . استعادت الدولة العراقية زمام المبادرة على الارض بعد الانجازات العسكرية الكبيرة لابناء الحشد الشعبي في محافظات ديالى ، صلاح الدين ، وبابل وغيرها ، وكانت ملاحم جرف النصر وأمرلي والعظيم ويثرب وييجي كبير الاثر في تحجيم وتقزيم الهول الاعلامي لعصابات داعش الارهابية واظهار مدى ضعفه وعجزه امام الارادة الشعبية والوطنية لابناء الحشد .

٤ . ان الحشد الشعبي في انتصاراته الكبيرة قد وجه صفقة قوية ورسالة الى عصابات داعش الارهابية ومن يدعمها ، ومن يفكر ان يحذو حذوها وكل القوى الطامعة لاسقاط العملية السياسية ان يواجه قوات الحشد الشعبي والقوات العراقية التي ستكون لهم بالمرصاد .

٥ . ان إيقاف تمديد عصابات داعش الارهابية وتحرير مناطق واسعة كانت تحت سيطرته ترك انهيئاراً كبيراً في الروح المعنوية لعنصرة وقياداته الذين اخذوا يفرون من ساحات المعارك .

٦ . لقد كان لانجازات الحشد الشعبي دور

كبير في ارباك السيناريوهات المرسومة لتمزيق العراق والمنطقة ووقفت المخططات الخبيثة الرامية الى اقتتال ابناء الشعب العراقي فيما بينهم .

٧ . اثبت الحشد الشعبي من خلال المعارك التي خاضها ضد عصابات داعش الارهابية بأنه يمتلك عقيدة عسكرية وقاتلية منظمة تفوق عقيدة عصابات داعش العسكرية والقتالية .

بناء على ما تقدم يمكن القول بأن المرجعية الدينية تحتل مكاناً بارزاً في الحياة اليومية والعامّة لدى الشيعة في العراق ، هذا الدور برز بوضوح بعد الاحتلال البريطاني للعراق ووقوف المراجع الدينية في النجف وكربلاء الى جانب العثمانيين رغم الاختلاف المذهبي حفاظاً على وحدة الوطن وسلامته ، حيث استمر دور المرجعية في الحياة العامة يتخذ شكلاً تصاعدياً بمرور الزمن وتغير الحكومات والانظمة السياسية المتلاحقة في العهدين الملكي والجمهوري لاسيما مع سطوع نجم مراجع كبار امثال السيد عبد المحسن الحكيم .

لم يتوقف دور المرجعية بمجىء نظام حكم صدام حسين المعروف ببطشة وقساوته وتقييده للحريات واضطهاده للمذهب الشيعي والقوميات ،

فسجلت المرجعية خلال هذه الفترة الزمنية مواقف شجاعة اية تمثلت بموقف السيد الخوئي الذي ساند الانتفاضة الشعبانية والمثل الذي ضربه السيد محمد الصدر في موقفه البطولي عندما دفع حياته ثمناً لتحديه النظام، ورفضه لمهادنته.

بالتالي لم يكن موقف السيد السيستاني من الحياة السياسية ليختلف عن مواقف من سبقوه لاسيما بعد التغيرات التي عصفت بالعراق من سقوط النظام ومجيء الاحتلال والتحضير لبناء دولة ديمقراطية، حيث توجهت انظار ابناء الشيعة نحو مرجعهم في محاولة فهم المرحلة التي يمر بها العراق وكيفية التعامل مع المتغيرات.

المصادر

١. احمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٧م.
٢. حسين محمد علي الفاضلي، الامام السيستاني امة في رجل، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
٣. عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط ٢، ١٩٩٠م.

لم يكن ممكناً بعد الدور المهم الذي لعبه السيد السيستاني في كل تلك الظروف والمتغيرات ان يبقى ساكناً امام اجتياح عصابات همجية تعتدي على الارواح والاعراض وتستبيح الارض والاموال وتهدد وجود كيان الدولة، فكانت فتواه في الجهاد بعد ايام من سقوط الموصل بيد تلك العصابات تداركاً للموقف ومنعه من التأزم، من ذلك يمكن القول بأن المرجعية في العراق لعبت دوراً متميزاً في تاريخه ولا يزال هذا الدور فاعلاً في الحياة السياسية يتبين من خلال الدفع القوي لوجود الحشد الشعبي وتأسيسه بدعوه من هذه المرجعية. وهو ما يتفق مع الفرضية التي جاء بها البحث ابتداءً.

٤. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٢.
٥. عمار البغدادي، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق الحديث، الامام السيستاني والدولة، مركز الهدى للاصدارات الحوزوية.
٦. مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي.. الرهان الاخير، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، ط ١، ٢٠١٥م.
٧. محمد صادق الهاشمي، الاسس الفكرية للحشد الشعبي، مجلة الهدى، عدد ٢٤، السنة السادسة، النجف، العراق،

السيستاني (دام ظله) للمقاتلين في ساحات الجهاد، هيئة الحشد الشعبي، مديرية التوجيه العقائدي، مطبعة العدالة .
١٠. موقع ويكيبيديا، شبكة الانترنت .
١١. موقع شبكة الاعلام العراقي، شبكة الانترنت . www.imn.org

مركز الهدى للدراسات الحوزوية .
٨. محمد صادق الهاشمي، رؤية في الحشد الشعبي، خط المقاومة في العراق التأسيس والاستشراف، مركز العراق للدراسات، ط ١، ٢٠١٥ م .
٩. مختصر توجيهات مكتب سماحة اية الله العظمى الامام

الهوامش :

[٨] محمد صادق الهاشمي، الاسس الفكرية للحشد الشعبي، مجلة الهدى، عدد ٢٤، السنة السادسة، النجف، العراق، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، ص ٣١ .
[٩] عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٩ .
[١٠] المصدر السابق، ص ٨٥ .
[١١] احمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، مصدر سبق ذكره، ص ١٣١ .
[١٢] المصدر السابق، ص ٣٤ .
[١٣] عمار البغدادي، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق الحديث، الامام السيستاني والدولة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢ .
[١٤] احمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠ .
[١٥] المصدر السابق، ص ١٥٢ .
[١٦] عمار البغدادي، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق الحديث، الامام السيستاني والدولة، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤-١٣٥ .
[١٧] احمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية دراسة في

[١] حسين محمد علي الفاضلي، الامام السيستاني امة في رجل، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م، ص ٦٧ .
[٢] عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط ٢، ١٩٩٠، ص ١٠ .
[٣] احمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ١٠ .
[٤] عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥ .
[٥] عمار البغدادي، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق الحديث، الامام السيستاني والدولة، مركز الهدى للاصدارات الحوزوية، ص ٨٨ .
[٦] محمد صادق الهاشمي، رؤية في الحشد الشعبي، خط المقاومة في العراق التأسيس والاستشراف، مركز العراق للدراسات، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٥ .
[٧] احمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩ .

فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق ، مصدر
سبق ذكره ، ص ١٨٤ .

[٣٢] المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

[٣٣] مجموعة من الباحثين ، الحشد الشعبي .. الرهان الاخير ،
مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٤ .

[٣٤] المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

[٣٥] عمار البغدادي ، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق
الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

[٣٦] مجموعة من الباحثين ، الحشد الشعبي .. الرهان الاخير ،
مصدر سبق ذكره ، ص ١١١ .

[٣٧] محمد صادق الهاشمي ، رؤية في الحشد الشعبي ، خط
المقاومة في العراق التأسيس والاستشراف ، مصدر سبق
ذكره ، ص ٣٦ .

[٣٨] عمار البغدادي ، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق
الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٨ .

[٣٩] عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ج ٢ ، ص ١١٣ .

[٤٠] سورة التوبة ، الآية ٧٣ .

[٤١] مجموعة من الباحثين ، الحشد الشعبي .. الرهان الاخير ،
مصدر سبق ذكره ، ص ١١٤ .

[٤٢] محمد صادق الهاشمي ، رؤية في الحشد الشعبي ، خط
المقاومة في العراق التأسيس والاستشراف ، مصدر سبق
ذكره ، ص ٤١ .

[٤٣] مجموعة من الباحثين ، الحشد الشعبي .. الرهان الاخير ،
مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣ .

[٤٤] موقع ويكيبيديا ، شبكة الانترنت .

[٤٥] محمد صادق الهاشمي ، رؤية في الحشد الشعبي ، خط
المقاومة في العراق التأسيس والاستشراف ، مصدر سبق

فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق ، مصدر
سبق ذكره ، ص ١٥٦ .

[١٨] المصدر السابق ، ص ١٥٧ - ١٦٠ .

[١٩] المصدر السابق ، ص ١٦٠ - ١٦٦ .

[٢٠] المصدر السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

[٢١] حسين علي محمد الفاضلي ، الامام السيستاني امة في
رجل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨ .

[٢٢] المصدر السابق ، ص ٨٩ .

[٢٣] احمد عبد الهادي السعدون ، المرجعية الدينية دراسة في
فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق ، مصدر
سبق ذكره ، ص ١٨٠ .

[٢٤] محمد صادق الهاشمي ، رؤية في الحشد الشعبي ، خط
المقاومة في العراق التأسيس والاستشراف ، مصدر سبق
ذكره ، ص ٤٤ .

[٢٥] حسين علي محمد الفاضلي ، الامام السيستاني امة في
رجل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٢ .

[٢٦] عمار البغدادي ، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق
الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٢ .

[٢٧] حسين علي محمد الفاضلي ، الامام السيستاني امة في
رجل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٢ .

[٢٨] عمار البغدادي ، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق
الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٥ .

[٢٩] مجموعة من الباحثين ، الحشد الشعبي .. الرهان الاخير ،
مركز بلادي للدراسات والاجاث الاستراتيجية ، ط ١ ،
٢٠١٥ ، ص ١٠٢ .

[٣٠] عمار البغدادي ، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق
الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١ - ٤٢ .

[٣١] احمد عبد الهادي السعدون ، المرجعية الدينية دراسة في

ذكرة، ص ٥٧ - ٦١ .

[٤٦] مجموعة من الباحثين ، الحشد الشعبي .. الرهان الاخير ،

مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨ - ٨٩ .

[٤٧] موقع ويكيبيديا ، شبكة الانترنت .

[٤٨] مختصر توجيهات مكتب سماحة اية الله العظمى الامام

السيستاني (دام ظله) للمقاتلين في ساحات الجهاد ، هيئة

الحشد الشعبي ، مديرية التوجيه العقائدي ، مطبعة العدالة ،

ص ١ - ٣ .

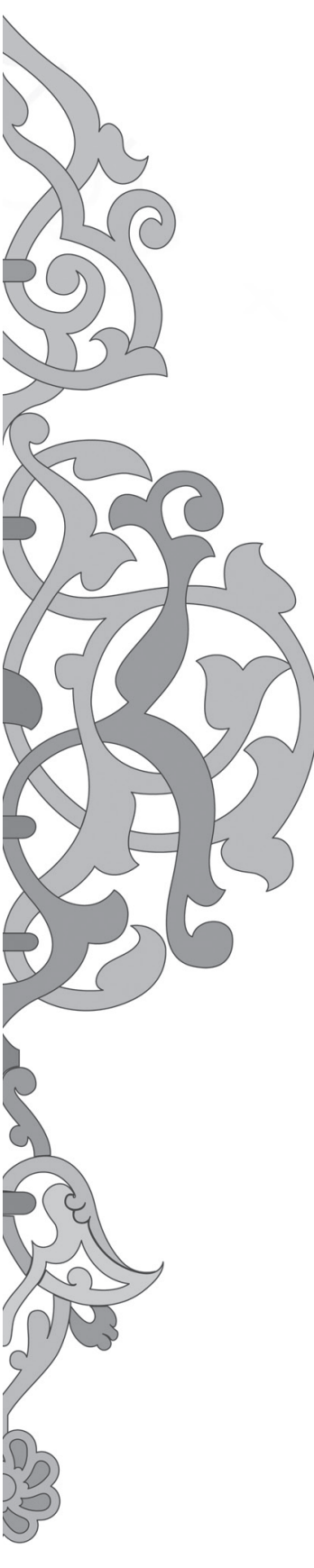
[٤٩] موقع شبكة الاعلام العراقي ، شبكة الانترنت . .www

q. .im

[٥٠] مجموعة من الباحثين ، الحشد الشعبي .. الرهان الاخير ،

مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢ .

[٥١] المصدر السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .



أَحْشَدُ الشَّعْبِ الْمُفْدِسُ ثَبَاتُ الْهَوِيَّةِ وَتَعَدُّ الدَّلَالَةِ

❖ أ. محمد صادق الهاشمي (*)

(*) باحث في الاجتماع السياسي في العراق.

الأسس الفكرية للحشد الشعبي تركز على الخلفية التاريخية ففي مطلع القرن العشرين كانت سياسة الشيعة تركز على تحقيق السيادة للبلاد ، وطردهم الاحتلال البريطاني ، ومناصرة المسلمين سواء أكانوا الأتراك حينما تعرضت الدولة العثمانية المسلمة إلى غزو بريطاني ، وهذا الواقع انعكس على نشاطاتهم وجهادهم الطويل من عام ١٩١٤م إلى عام ١٩١٨م ثم عام ١٩٢٠م في ثورة العشرين . في هذه المرحلة كانت جهود الشيعة – شعباً ومراجع – بارزة وواضحة في مقاومة الاحتلال البريطاني ، وقد اعترف العدو قبل الصديق بذلك ؛ إذ تقول المس بيل – السكرتيرة الشرقية لديوان المعتمد السامي البريطاني في العراق – : (... أمّا أنا شخصياً فأفرح أن أرى هؤلاء الشيعة الأغراب^(٥٢) يقعون في مأزقٍ حرج ، فإنهم من أصعب الناس مراساً وعناداً في البلاد)^(٥٣) . ولا يوجد مصدر

تاريخي معتدّ به يتحدث عن مرحلة القرن العشرين في العراق إلا ويذكر الأثر البارز جهادياً للحوزة العلمية في النجف الأشرف ، وللمراجع وللشعب العراقي^(٥١) . أمّا في مرحلة تأسيس حكومة العراق الأولى عام (١٩٢١) فكانت التحركات السياسية تركز على تحقيق الاستقلال السياسي ؛ لأنّ بريطانيا في عام (١٩٢٢م) حاولت عقد معاهدة مع الحكومة العراقية تتضمن الانتداب أولاً ، ثم يأتي أثر ذلك المجلس السياسي لاحقاً ليصادق عليها ، وبنود هذه المعاهدة معدة سابقاً وهي تتضمن (١٥) مادة ، وهذه المواد تجعل الحاكم الفعلي هو المندوب السامي البريطاني ، لذا ، تم معارضتها بقوة من قبل علماء الشيعة من خلال اجتماع عقده في مسجد الهندي ، وأجمعوا على إرسال مذكرة إلى رئيس الوزراء^(٥٢) ، وكان عدد الحاضرين في الاجتماع

(٥٠٠) شخصية، دينية، وسياسية، واجتماعية، وبعد شهر كان الاجتماع الآخر في بيت السيد أبو الحسن الأصفهاني، وأكّد الحاضرون رفض الاتفاقية، وواصل العلماء رفضهم للمجلس التأسيسي الذي أوكلت له مهمة التصديق على هذه الاتفاقية. هذه المواقف هي التي جعلت الحكومة العراقية بقيادة السعدون تقرر نفي المراجع من التجف إلى إيران في، وتوالى جهاد الشيعة متواصلاً لغاية الشهيد الصدر الأول والثاني، وهذا الإرث التاريخي في الجهاد والكفاح ألقى بحمله على أبناء العراق لينبثق عنهم خط الحشد الشعبي المقاوم، ومن هنا نجد ثقافة سياسية راسخة لدى الشيعة في هذه المرحلة مفادها الشعور بأنهم المؤسسون لسياسة الاستقلال الوطني. واستمر شعور الشيعة أنهم هم المؤسسون لدولة العراق والعاملون على تأسيس سياسته وسيادته، ولكنهم همّشوا وأقصوا ونحّوا من أي دور مهم، بل أكثر من هذا مورس من قبل الأنظمة البعثية في حقهم قتل وتشريد ودمار لا مثيل له عبر عقود هذه التجربة التاريخية سياسياً انعكست تلك المرارة على قناعة الشيعة العراقيين والمقاومين منهم من الحشد الشعبي بعد عام ٢٠٠٣

بأن لا يسمحوا بعد عام ٢٠٠٣ أن تعاد تجربة التهميش والقمع والاضطهاد السياسي والاجتماعي من هنا برزت لدى عموم الشعب العراقي وخصوصاً الخط المقاوم بعد هذه التجربة مفاهيم جدية وهي:

١- بناء دولة العراق على أسس تحفظ حقوقهم بوصفهم مكوّناً عانى التهميش تاريخياً. من خلال تأكيدهم بناء دولة العراق على أساس دستوري يلغي الشمولية، والدكتاتورية، وسيطرة الأقلية على أمور البلاد ويشركهم وغيرهم في عراق واحد.

٢- طرح مبدأ التعايش مع شرائح المجتمع العراقي بكل قومياته ومذاهبه، وحفظ حقوق جميع أبناء الشعب العراقي ضمن الدولة الواحدة وإشراك الجميع في بناء دولة العراق، فالذي نلاحظه لدى الوسط الاجتماعي الشيعي من أن ثقافته السياسية تقوم على مبدأ التعايش مع جميع أبناء الشعب العراقي كرداً، وعرباً، مسلمين، ومسيحيين، سُنّة، وشيعة، وغير ذلك، تحت خيمة الدستور، ولم نلاحظ لديهم وجود ثقافة الإلغاء أو اعتبار الطائفة الفلانية ليست عربية، أو ذات أصول تركية، أو أرمنية، بل لديهم مبدأ التعايش على أساس المواطنة راسخاً في ثقافتهم ووجدانهم ولم يفكر الشيعة أن يعيشوا بمعزل

عن عراقهم الجميل والموحد والمهيب بوحدته .

٣- وفي ثقافتهم السياسية التفصيلية – بعض شرائح المكوّن الشيعي – الإيمان بمقاومة المحتل ، وقد استطاعوا انجاز عمل رائع في طرد المحتل الأمريكي الذي كان يريد جعل العراق قاعدة لضرب العالم الإسلامي والعرب ، ولقد برزت إلى الواقع الشيعي حركات جهادية مقاومة تشكّل جزءاً بارزاً وكبيراً من المجتمع الشيعي ؛ فالتيار الصدري والبدرين والجهاد والبناء بلا إشكال في نظر الشيعة محسوب على خط المقاومة ، وهكذا أهل الحق (العصائب) ، وكتائب حزب الله العراق ، هذا ما يتعلق بالمقاومة المسلحة . وغيرها من الحركات المقاومة بادرت الى أن تكون خطأ مقاوماً فاعلاً لا تنتهي مقاومته بانتهاء وترحيل المحتل الأمريكي ، بل أدركوا أنّ التحديات متعددة وكبيرة وكثيرة ليس المقاتلون في الجبهات فقط ، بل تقصد المقاومة بإطارها الأوسع فإننا نجد شرائح سياسية وشعبية واسعة جداً محسوبة في خط المقاومة فيهم أكاديميون ، ومثقفون ، وأوساط من الحوزة العلمية .

٤- كذلك صار واضحاً جداً أنّ الشيعة تصاعدت لديهم القناعة وتركزت لديهم ثقافة فحواها

أنّ شيعة العراق لأنّهم في عام ٢٠٠٣م وما بعده استطاعوا أن يستعيدوا حقوقهم السياسية الملغاة تاريخياً ، كما أنّهم يدركون أنّ هناك هجمة شرسة من دول الجوار العربي والإسلامي الطائفية منذ عام ٢٠٠٣م ، وأنّهم (دول الجوار) بمرور الأيام كانوا أشدّ شراسة ضدّ شيعة العراق ، وضدّ شيعة الإقليم كاملاً ، والشيعة العراقيون يدركون بوعي سياسي مركز أنّهم جزء في الصراع الإقليمي الذي يدور في المنطقة ، والذي يراد له من قبل الاستكبار أن يكون صراعاً بين السنة والشيعة لإسقاط دول المقاومة وهم يدركون أيضاً أنّ أمريكا ، وتركيا ، وإسرائيل ، والسعودية ، وقطر ،

وعليه إنّ خط المقاومة في العراق أدرك أنّ دولة العراق لا حماة لهم سواها ، وهذا الإدراك أثبتته الوقائع والأحداث ؛ فإنّ المؤسسات العسكرية والأمنية لا يمتلكون ثقافة المقاومة والتضحيات ولا يمتلكون - نقصد البعض منهم - إيماناً أنّ الدولة العراقية هم حراسها ، وهذا الإدراك كان غائباً عن السياسيين وحتى عن المرجعية لذا ظهر ساعة المحنة من هم واقعاً حماة العملية السياسية ، وحماة الشعب العراقي وتجربته وحماة السنة والشيعة بأن

واحد، هؤلاء ثبت لديهم أنهم حرس العراق، وليسوا حرس المحافظات هذه هي الثقافة التي ولدتها فتوى السيد السيستاني، ومنحتهم الشرعية والوجود والقوة بعد أن كان وجودهم غير معترف به.

أيضاً من ركائز الثقافة السياسية الخاصة لدى الشيعة في العراق عدم وجود قيادة ميدانية علماً يلتف حولها الشيعة في العراق سواء أكانت قيادة سياسية أم دينية؛ لأن وضع حوزة النجف الأشرف لا يوجد فيه تصدٍ واضح على غرار ما يحصل في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهذا برأيهم السبب الأساسي لكل الإشكالات الفرعية، وهذا العامل يجعل العملية السياسية التي حققت المكاسب الشيعية كلها أمام خطر المؤامرات الداخلية والخارجية؛ لعدم وجود قيادة ميدانية متصدية توجه العمل السياسي والسياسيين في العراق، نعم إن المشكلات والتحديات الهائلة والكبيرة في العراق توجب أن تكون هناك أولاً: قيادة دينية متصدية ومطاعة، وثانياً: أن تكون القوى السياسية موحدة وملتفة حولها، من هنا يوجد شعور عميق لدى المواطن الشيعي بأن العملية السياسية قد لا تستمر، إلا أن صدور الفتوى من السيد منحتهم الثقة العالية بوجود

القيادة الشرعية، وأما القيادة الميدانية فهي تنبعث من داخلهم بعد ترتيب شأنهم الذي يحتاج الى وقت وجهد ووعي وسمو وفهم عميق.

إن ثقافة الشيعة التفصيلية لما بعد ٢٠٠٣م كانت عالية الدقة؛ لأنها استفادت من أخطاء الماضي السياسية، وعليه، فهم مع كل خلافاتهم ومشكلاتهم يركز بأعماقهم الدفاع عن المكاسب السياسية للطائفة، حتى قال أحدهم: شعارنا أن (لا تنازل عن قيادة العراق، ولا عن منصب رئاسة الوزراء، ولا عن الدستور، ولا عن مشروعنا الإسلامي) مهما بلغت التحديات^(٣). وأنهم لم يتركوا التحديات تسقط دولة العراق، وعليه: خلاصة ما يؤمن به خط المقاومة العراقي هو:

١- الإيمان بالعملية السياسية في العراق مع أهمية تطويرها وتصحيحها، وهم يدركون أن العملية السياسية ملك الأمة، لا ملك الأحزاب والقيادات المسترخية والمنعمّة والتي تعيش بأبراجها العاجية، فإن دولة العراق عادت لهم وبحمايتهم، وهم روح ولب ونواة العملية السياسية فهم في صندوق الانتخابات يقاتلون كقتالهم في الجبهات.

٢- الدفاع عن العراق مقابل أي تحدي أمني،

وهم يدركون أنَّ التحديات قائمة ومستمرة ما دامت
الأيديولوجيات في المنطقة قائمة بين من يريد
اخضاع المنطقة لخدمة المشروع الصهيوني ، وبين
من يريد سيادة المسلمين على أرضهم .

٣- الحفاظ على الحوزة العلمية والمرجعية .

٤- الدفاع عن الشعب العراقي بكل مكوناته
وأطيافه ومذاهبه .

٥- الاستفادة العالية من التجارب الثورية
الجهادية الإسلامية في المنطقة .

٦- وحدة العراق أرضاً وشعباً ونظاماً سياسياً ،
وهم يدركون أنَّ وحدة العراق مسؤوليتهم الكبرى ؛
لأنهم لو تخلّوا عن مشروعهم فإنَّ الولايات المتحدة
الأمريكية - وكما بدا جلياً - سوف تستثمر الحدث
الداعشي الى داعشية أمريكية لتفكيك العراق وخلق
دويلات متناحرة من خلال مقدمة سحب بعض
المكونات لها لينسقوا معها تنفيذ مشاريعها .

٧- منع التلاعب الغربي والأمريكي والعربي
بالعراق واحترام سيادة العراق واستقلاله ومنع
الولايات المتحدة الأمريكية من أن تعيد احتلالها

للعراق ، وأنهم - المقاومون - يضاعفون الجهد
لتحرير العراق من خطر داعش كي لا يعطوا مجالاً
لأمريكا أن تجد الفرصة والمبرر لاحتلال العراق ،
 وإعادة وجودها فيه لاسيما أنَّ وجود داعش هدفه
الحقيقي إدخال أمريكا على الخط السياسي والأمني
والعسكري بعد أن أخفقت في العراق وأوهن
المقاومون وجودها العسكري .

٨- حماية التجربة الديمقراطية القائمة على
مبدأ الانتخابات في العراق يؤمنون بمؤسسات العراق
عموماً ، وخصوصاً الأمانة منها ، ولا يطرحون
أنفسهم بديلاً عنها ، بل قوة ساندة لها ومكملة ، وهم
يدركون أنَّ خبرات وتخصصات الجيش لا يمكن
الاستغناء عنها ، نعم يؤمنون أنَّ الجيش بحاجة الى
عقيدة وتمحيص وتنقية .

ويؤمنون أنَّهم يتكاملون مع أبناء الشعب
العراقي في حماية العراق من التفكك ، ومن الزوال
والتحول الى دويلات صغيرة يعيث بها الطامعون
ويستصغرها دول الجوار .

الهوامش :

[١] كلمة الاغراب : تقصد أنهم ليس مكوّناً عربياً ولا عراقياً بل هم فرس ، وهذا ما تحدثت به العديد من المصادر والوقائع البريطانية عن الشيعة من أنهم أغراب ، والهدف من ذلك واضح (محمد القريشي ، المس بيل واثرها في السياسة العراقية ، مكتبة اليقظة العربية . ص ٢١٩) ، ومذكرات المس بل : الجاسوسة البريطانية في العراق إبان ثورة العشرين ، ترجمة جعفر الخياط ، ص ١١٧ .

[٢] النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ،

ص ١٩٩ .

[٣] إبراهيم الغالي ، الرد على كتاب عمر والتشيع ، ص ٦٩ .

[٤] سجلت في ملفات الوزارة بتاريخ ١٩٢٢/٧/٢١ .

[٥] لقاء خاص لمركز العراق للدراسات مع مسؤولين من التيار الصدري ، والمجلس الأعلى وبعض قادة حزب الدعوة (يتحفظون على ذكر أسماءهم) عام ٢٠١٢ .

الأسس الفكرية للحشد الشَّعبيُّ

فِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

❖ د. عدي فالح حسين (*)

.....
(*) أستاذ العلوم السياسية - كلية الإمام الكاظم .

ورثت العملية السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣ ، ازمات موروثة ومتراكمة تمثلت بأزمة الحكم منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ ، وحتى ظهور النظام الاستبدادي الشمولي وإسقاطه في ٢٠٠٣/٤/٩ ، والتي كان لها تداعيات على مسارات العملية السياسية والتحديات والرهانات بإسقاطها بعد ٢٠١٤/٦/١٠ .

لذلك نحاول في البحث ان نتناول طبيعة

العملية السياسية العراقية والازمات التي ورثتها والتي صاحبت تأسيسها والتي كان لها تأثير كبير على الاسس التي قامت عليها ، وموقف القوى والأحزاب السياسية منها ، وما ترتب عليها من ازمات تمثلت بالعنف السياسي الذي رافقها والذي كاد ان ينتهي بإسقاطها ، وظهور الحشد الشعبي الذي استطاع من الحفاظ على العملية السياسية والنظام السياسي العراقي بشكل عام .

المبحث الاول

العملية السياسية العراقية بعد ٢٠٠٣ ، وأزماتها الموروثة والمكتسبة

هنا يبرز الفرق بين الطائفة والطائفية ، فالمفهوم الأول يشير إلى التنوع في المعتقدات والممارسات الدينية بين الأفراد والمجموعات التي يتكون منه المجتمع^(٢) . أما الطائفية فهي "نهج سياسي يشير إلى اعتماد الطائفة والعمل على فرض هيمنتها السياسية والتعصب ضد الطوائف الأخرى" وهي في الوقت نفسه "استخدام التنوع الديني لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية أو ثقافية مثل المحافظة على مصالح ومزايا مكتسبة ، أو النضال من أجل تحقيق تلك المصالح لزعماء وأبناء طائفة معينة في مواجهة الطوائف الأخرى . والطائفية بهذا المعنى هي استخدام الدين كوسيلة لتحقيق أهداف دينية"^(٣) .

ويعاني العراق من أزمة الطائفية السياسية منذ

سابق ان ذكرنا ان العملية السياسية في العراق بنيت على واقع من التحديات التي ورثتها من الانظمة السابقة وأهمها هي :

اولا : الازمات الموروثة :

وتنقسم الى :

١ - **ازمة الطائفية** : إن الدين هو احد المتغيرات الأساس في المجتمع ، لذلك نجد في المجتمعات المتعددة الأديان ، يبرز هذا العامل كأحد معايير التباين بين الجماعات . وهذا التباين والتنوع الديني لا يكتسب أهميته إلا إذا ترتب عليه تنافس أو تنازع أو صراع في مجالات القيم (الطائفية الاجتماعية) أو الثروة أو السلطة (الطائفية السياسية)^(١) . ومن

المكونين (الشيعة والاكرد) الا انهم كانوا مستبعدين بشكل اساسي من دائرة صنع القرار السياسي ومن المواقع والمناصب المهمة والاساسية في النظامين الملكي والجمهوري .

٢ - **ازمة الهوية :** للهوية تعاريف وتوضيحات عديدة ، فتعرف بأنها " تجميع الأجزاء في جسم واحد ، وبأنفصال هذه الأجزاء لا مكان لهوية ذلك الجسم " ^(٥) ، وتقوم الهوية على مبدئين أساسيين : الانتماء والولاء ، إذ يجب أن يكون هناك شعور بالانتماء إلى شيء ما ، مجتمع ، كيان سياسية تحميه دولة ما فمتى ما تحقق لنا هذا الانتماء ، يتحقق لنا البعد الثاني للهوية الوطنية ألا وهو الولاء . فلا يكفي الانتماء وحده لتشكيل الهوية لان الكثير من الأفراد ينتمون أو يحملون هوية دولة ولكنهم لا يدينون بالولاء لها . وللهوية مستويات متعددة منها ما يطلق عليه بالهويات الأولية (كالهوية الاثنية والدينية والمذهبية والعشائرية وغيرها) وهناك الهوية الوطنية التي تعد أعلى مستويات الهوية .

ويعاني العراق من أزمة هوية تعود بجذورها إلى تأسيس الدولة العراقية (١٩٢١) ، فغياب الدولة الممثلة لهوية عراقية واضحة وأصيلة ، تمثل في

تأسيس الدولة العراقية ، وهي ازمة القت بضالها على تاريخ العراق وحاضره ومستقبله ايضا ، ذلك ان نظرة فاحصة للمشاركة السياسية للمكونات الثلاثة في السلطة السياسية ، يظهر للعلن مدى حجم الاقصاء لبعض المكونات والذي انتج صراع وازمة حكم لم تحسم الى الان وهي على الشكل الاتي في الجدول :

جدول رقم (١) يبين نسبة مشاركة المكونات الثلاثة في السلطة السياسية ^(٤)

النظام الملكي بـ (٥٩) وزارة	عدد الوزراء (١٦٣) وزير	عدد رؤساء الوزراء (٥٩) رئيس وزراء
الشيعة (٥٨ ٪)	٤٢	٥
السنة (٢١ ٪)	١١٣	٥٤
الاكرد (٢١ ٪)	٨	-
النظام الجمهوري بـ (١٨) وزارة	عدد الوزراء (٢٩٠) وزير	عدد رؤساء الوزراء (١٨) رئيس وزراء
الشيعة (٥٨ ٪)	٧١	٣
السنة (٢١ ٪)	٢١١	١٥
الاكرد (٢١ ٪)	٨	-

وعلى الرغم من نسب المشاركة البسيطة من

المكون	الحكومات الثلاثة الدائمة	الرئاسات الثلاثة في ظل الحكومات الدائمة	٢٠٠٣
١ : الشيعة	٨٣	٥٢٪	١٣
٢ : السنة	٤٠	٢٥٪	١٠
٣ : الاكراد	٢٩	١٨٪	١١

لكن التفاوت في تمثيل المكونات الثلاثة في السلطة السياسية في ظل النظام السابق وإعادة التوازن في ظل النظام الحالي بعد ٢٠٠٣، كان بمثابة ازمة في حد ذاتها في ظل غياب القناعات من قبل بعض الاطراف التي انخفض تمثيلها من (٧٠٪) سابقا الى (٢٥٪) حاليا والتدخل الدولي (الاحتلال الامريكي) والإقليمي (السعودية وتركيا)، لتتبنى بعض الاطراف العنف السياسي بإشكاله المختلفة وعلى الشكل الاتي :

١ - الارهاب للفترة من (٢٠٠٣ - ٢٠٠٥) : من قبل التنظيمات المختلفة وهي على مجموعتين :

أ : تضم بقايا النظام السابق وتشمل : فدائيو صدام ، قيادة قوات المقاومة والتحرير ، حزب العودة "حزب البعث" ، الجبهة الوطنية لتحرير العراق ، كتائب الفاروق ، فيلق عمر ، حزب التحرير ، وغيرهم من الذين فقدوا مكانتهم المتميزة في العراق

داخلها جميع التنوعات العرقية والدينية والمذهبية ، يعود إلى كون الدولة العراقية الحديثة لم تعبر عن واقع البلد ولا عن تركيبته الاجتماعية المتنوعة ؛ بسبب احتكار السلطة من قبل مكون معين واستبعاد باقي المكونات الاخرى وما انتجه من ازيمات كال لها تأثير كبير على صراع السلطة السياسية الذي لم يحسم لحد الان .

ثانيا : الازيمات المكتسبة بعد ٢٠٠٣ :

ان الازيمات السابقة التي يعاني منها العراق فرضت نفسها على واقع العملية السياسية بعد ٢٠٠٣ ، وأدت الى تبني الديمقراطية التوافقية القائمة على تقاسم السلطة بين المكونات الثلاثة (الشيعة والسنة والاكراد) من اجل حسم صراع السلطة السياسية وإنهاء ازمة الحكم التي طبعت تاريخ الدولة العراقية منذ تأسيسها ، وجاء شكل السلطة السياسية على النحو التالي :

جدول رقم (٢) تمثيل المكونات الرئيسية على مستوى الحكومات الاربعة : (المؤقتة ، والانتقالية ، والوحدة الوطنية ، والشراكة الوطنية) ورئاساتها الثلاثة^(١) .

الجديد ، وما زالوا يشعرون بالمرارة والغضب والإحباط وإحساسهم بالمهانة واضطراب العيش .

ب : المجاميع السلفية التكفيرية وتضم :
(أنصار الإسلام ، وتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ، وجيش أنصار السنة ، والجماعة السلفية "كتائب المجاهدين" ، والجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية ، والجيش الإسلامي ، والجيش الإسلامي السري ، وكتائب ثورة العشرين ، وجيش الراشدين ، وجيش المجاهدين ، وجيش الطائفة المنصورة ، وسرايا الغرباء ، وتنظيم أنصار السنة) ، ومن الصعوبة فصل هاتين المجموعتين في عملهما بل هناك تنسيق على مستوى عالي بينهم ، وهناك مجموعة ثالثة ، تقتصر مقاومتها العسكرية على القوات الأجنبية ، إلا أن فرز هذه المجموعة هو أمر غاية في الصعوبة في الوقت الذي تتبنى فيه أغلب العناوين المتتمة إلى المقاومة عمليات القتل والتخريب لا تمييز بين ما هو عراقي وما هو أجنبي ، وكانت الغلبة في بادئ الأمر للقوى التي اتخذت أسلوب العنف والإرهاب التي استطاعت السيطرة على مناطق شمال وغرب العراق تحت عناوين الجهاد والمقاومة^(٧) .

٢ - العنف الطائفي (٢٠٠٦ - ٢٠٠٧) : في ظل

الاحتقان الطائفي الذي تركه تفجير قبة الإمامين العسكريين في سامراء ، في ٢٢ / شباط ٢٠٠٦ ، على أيدي إحدى الجماعات التكفيرية التي سيطرت على تلك المناطق^(٨) ، والتي استمرت منذ عملية التغيير عام (٢٠٠٣) بأستهداف المقامات الدينية والقتل الطائفي لاسيما في المناطق التي كانت تعرف بمثلث الموت (المناطق الغربية) التي سيطرت عليها التنظيمات التكفيرية المتشددة ، مستغلة الفراغ السياسي والأمني ، لتدخل البلاد بعدها في دوامة العنف الطائفي التي كادت أن تصل إلى مستوى الحرب الأهلية^(٩) .

٣ - التمرد : للفترة من (٢٠١٢) وإلى (٢٠١٤/٦/٩) : كانت بدايات هذا التمرد هي المظاهرات التي عمت المناطق الوسطى والغربية والتي أنطلقت شراراتها بعد تنفيذ مذكرة القاء القبض الصادرة من محكمة التحقيق المركزية بحق حماية وزير المالية رافع العيساوي في ٢٢/١٢/٢٠١٢ ، وطالبت المظاهرات بإطلاق سراح جميع المعتقلين ومنهم حماية الوزير وإعادة التوازن لمؤسسات الدولة والقضاء على البطالة^(١٠) . واستمرت هذه المظاهرات أكثر من سنة كاملة أستجابت فيها الحكومة لأغلب

والمستمر الى الان (فترة كتابة السطور) ، يلاحظ مدى التحديات والتهديدات التي واجهت العملية السياسية وراهنّت على اسقاطها كما يوضحها الجدول الاتي :

جدول رقم (٣) إحصائية حول ضحايا العنف السياسي خلال الفترة من (٢٠٠٥ - ٢٠١٤) :

الاعوام	عدد القتلى المدنيين
٢٠٠٥ - ١	٨٢٤٢
٢٠٠٦ - ٢	١٣٣٤٥
٢٠٠٧ - ٣	١٣٦٠٦
٢٠٠٨ - ٤	٦.٧٨٧
٢٠٠٩ - ٥	٣.٠٥٦
٢٠١٠ - ٦	٢.٩٥٣
٢٠١١ - ٧	٢.٧٧١
٢٠١٢ - ٨	٣.٢٣٨
٢٠١٣ - ٩	٥.٧٤٠
٢٠١٤ - ١٠	٢٨٧١٩

ويوضح جدول رقم (٣) ان عام (٢٠١٤) هو من اكثر الاعوام دموية في العراق ؛ وذلك على اثر اجتياح تنظيم الدولة الاسلامية (داعش)

مطالبها ، واتخذت المظاهرات في بداياتها شكل الاحتجاجات السلمية ، ثم اتخذت بعد ذلك شكل الاعتصامات في ستة مناطق وهي (الفلوجة ، الرمادي ، الموصل ، صلاح الدين وكركوك ، وديالى) ، واتخذت بعد ذلك شكل التمرد ضد النظام السياسي القائم لاسيما بعد استغلالها من قبل التنظيمات المتطرفة ومنها "دولة العراق الاسلامية"^(١١) التي قامت بتجنيد العشرات من الشباب لتنفيذ عمليات عنف سياسي في الكثير من مناطق العراق^(١٢) .

٣ - الحروب الداخلية ذات الابعاد الاقليمية :

وجاءت كشكل اخير من اشكال التمرد التي شهدتها ساحات الاعتصام في المناطق الستة الغربية ، وتمثلت بالحرب التي شنها تنظيم "الدولة الاسلامية في العراق والشام" في كل المناطق الستة ابتداء من الموصل ، وأنتهى بالسيطرة على محافظات الأنبار وصلاح الدين وأجزاء من ديالى في ٢٠١٤/٦/١٠^(١٣) .

ان احصائيات العنف السياسي الذي مارسه الاطراف المعارضة للعملية السياسية وباشكاله المختلفة خلال الفترة من (٢٠٠٥ - ٢٠١٤) ،

٢٠١٤/٦/٩. لذلك سنحاول ان نأخذ في المبحث الثاني الحشد الشعبي باعتبار الخيار الناجح والوحيد الذي استطاع إيقاف الرهانات المتعلقة بإسقاط العملية السياسية الجارية في العراق من قبل التنظيمات المتطرفة وبدعم اقليمي دولي .

للمحافظات الغربية الاربع في العراق ، وكاد هذا العدد يتضاعف بعد التهديدات بدخول بغداد ومحافظات اخرى ، لولى ظهور قوات الحشد الشعبي التي استطاعت إيقاف هذا المد المتوحش وتخليه عن الكثير من المناطق التي سيطر عليها بعد

المبحث الثاني

الحشد الشعبي (الخيار الناجح)

وهناك عدة اسباب لسيطرة التنظيم السريع على هذه المحافظات والمناطق يمكن ان نذكر البعض البعض منها وهي :

١- التحشيد الطائفي في ساحات الاعتصامات التي شهدها المحافظات الغربية الممتدة خلال الفترة (٢٠١٢ - ٢٠١٣) : وهي اعتصامات عمت المناطق الوسطى والغربية والتي انطلقت شراراتها بعد تنفيذ مذكرة القاء القبض الصادرة من محكمة التحقيق المركزية بحق حماية وزير المالية رافع العيساوي في ٢٢/١٢/٢٠١٢ ، وطالبت المظاهرات بإطلاق سراح جميع المعتقلين ومنهم حماية الوزير وإعادة التوازن لمؤسسات الدولة والقضاء على البطالة^{(١٤)(١٥)} . واستمرت هذه المظاهرات اكثر من

اولا : ظروف النشأة والتكوين :

خلال الفترة الممتدة من (٢٠١٤/٦/٩ الى ٢٠١٤/٦/٢٩) ، اي بحدود عشرين يوم استطاع تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) من الوصول من مشارف بغداد وكذلك تهديد الاماكن المقدسة في كربلاء والنجف ، وذلك من خلال السيطرة على محافظات الموصل وصلاح الدين والانبار ، وأجزاء من كركوك وديالى في السعدية وجولاء ، واللذان تبعدان تقريبا (٦٥) كيلومترا عن بغداد ، وبعض مناطق حزام بغداد في ابو غريب وجرف الصخر التي تبعد حوالي (٦٠) كم جنوب غرب بغداد ، وشمال مدينة المسيب على بعد (١٣) كم .

سنة كاملة أستجابت فيها الحكومة لأغلب مطالبها ، واتخذت المظاهرات في بداياتها شكل الاحتجاجات السلمية ، ثم اتخذت بعد ذلك شكل الاعتصامات في ستة مناطق وهي (الفلوجة ، والرمادي ، والموصل ، وصلاح الدين وكركوك ، وديالى) وكانت هذه المناطق بمثابة الارضية المناسبة لسيطرة التنظيم وسرعة الانهيار الامني والعسكري .

٢ - ازمة تشكيل حكومة الاغلبية السياسية :
ان طرح مشروع حكومة الاغلبية السياسية عقب مراحل من الشراكة السياسية بين المكونات في الحكم والذي قامت عليه العملية السياسية بعد ٢٠٠٣ ، تمثل سابقة جديدة حاول ائتلاف دولة القانون تنفيذها بعد انتخابات مجلس النواب ٢٠١٤ ، بعد التفاوض مع بقية الاحزاب الممثلة للمكونات الاخرى من بينهم "اتحاد القوى الوطنية"^(١٦) ، وأعضاء القيادة في حزب الاتحاد الوطني الكردستاني (برهم صالح ، ونجم الدين كريم محافظ كركوك ، وعبد اللطيف جمال رشيد)^(١٧) ، والاتفاق الاولي على تشكيل ائتلاف واسع بين هذه القوى ، إلا ان مشروع حكومة الاغلبية السياسية لم يَزَ النور لأسباب مختلفة منها ؛ التباين والاختلاف وأحيانا التقاطع في

مصالح وأهداف ومشاريع النخب السياسية الممثلة للمكونات من جهة ، فضلا على اعراف الشراكة السياسية في الحكم التي اصبح من الصعب على هذه النخب السياسية الخروج عليها وتجاوزها او القبول بجانب المعارضة داخل البرلمان من جهة اخرى ، ونتيجة لكل ذلك فان الحل المتمثل بحكومة الاغلبية السياسية جاء بأزمات هددت بانهيار النظام السياسي بأكمله تمثلت بسيطرة تنظيم الدولة الاسلامية في المحافظات الغربية .

ثانيا : بداية تأسيس الحشد الشعبي واهم تشكيلاته :

ان الظروف والتحديات التي واجهت العملية السياسية متمثلة بالانهيارات الامنية وسيطرة تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) على اكثر من ثلث مناطق العراق ، استدعت المجابهة من قبل المرجعية الدينية التي اصدرت فتوى الجهاد الكفائي^(١٨) (جهاد الدفع) الذي يكون واجبا في الحالات الاربعة التالية وفق فقه الشيعة الامامية وهي :

* الجهاد لحفظ بيضة الدين إذا أراد أعداء الله

قديمة وحديثة وهي على الشكل الاتي :

١- منظمة بدر (بدر الجناح العسكري) :

منظمة عراقية مسلحة تأسست عام ١٩٨٢ بمباركة وإشراف محمد باقر الحكيم ، وهي الجناح العسكري الأكثر تنظيماً للمعارضة الشيعية إبان نظام صدام وقد اتخذت من إيران ملاذاً لها بعد حملة تصفيات واغتيالات لاحت كوادرها المتقدمة في العراق حسب أوامر شخصية صدرت من صدام نفسه أعطت الضوء الأخضر لتصفية الجناح السياسي لها في العراق . ويتألف الفيلق من مجموعة من المجاهدين والجنود وقادة وضباط سابقون ومعارضون لنظام صدام قد لجئوا إلى سوريا وإيران ، وتأسست في بدايتها باسم لواء بدر ثم إلى فيلق بدر ويبقى الرقم الحقيقي وعدد المنتسبين إلى الفيلق غير مؤكد وتراوح التقديرات ما بين ٣٠ إلى ٥٠ ألف مقاتل . . وقد زاد عدد المنتسبين للمنظمة بعد سقوط النظام وتقدم العملية السياسية في العراق ليصل إلى ١٠٠٠٠٠ منتسب ، وقرر فيما بعد في ختام مؤتمره الأول الذي عقد في النجف بعد سقوط النظام الصدامي بتحويل فيلق بدر إلى منظمة مدنية معللاً أن فيلق بدر انتهى دوره العسكري عند سقوط النظام ، وبعد أحداث سيطرة

مسيها بسوء ، وهموا بأن يجعلوا كلمتهم أعلا من كلمة الايمان بالله ، وان يكون الشرع باسمهم مناقضاً لدين الله عز وجل .

* الجهاد لدفع العدو عن التسلط على دماء المسلمين بالسفك واعراضهم بالهتك .

* الجهاد للدفاع عن طائفة من المسلمين التقت مع طائفة من الكفار فخيف من استيلائهم عليها .

* الجهاد لدفعهم عن ثغور المسلمين وقراهم وأرضهم أو لا خراجهم منها بعد تسلطهم عليها بالجور ، أو لجبر بيضة المسلمين بعد كسرهما ، واصلاحها بعد فسادها ، والسعي في انقاذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفرة بالله عز وجل .

وعلى اثر هذه الفتوى تطوع الالاف المواطنين من المحافظات الوسطى والجنوبية تلبية لنداء المرجعية ، وتم انشاء مراكز للتطوع والتدريب في الكثير من مناطق بغداد والمحافظات الاخرى ، ليصل العدد في بداياته الى مليونين و ٥٠٠ الف متطوع من اغلب محافظات الوسط والجنوب . ويتكون الحشد من عدد من المتطوعين الذين استجابوا لنداء المرجعية ، وتنظيمات شبه العسكرية

٣- المقاومة الاسلامية في العراق كتائب حزب

الله^(٢٠): مع بداية تحرك الولايات المتحدة لإسقاط النظام السابق وقبل (٤) اشهر من اسقاطه بدأت عملية تأسيس كتائب حزب الله العراقية، وتشكلت من اندماج عدد من الكتائب الشيعية المقاتلة وهي: كتائب ابي الفضل العباس، كتائب كربلاء، كتائب زيد ابن علي، كتائب علي الاكبر وكتائب السجاد، وكانت كل واحدة تعمل بصورة مستقلة عن الاخرى ولا تعلم شيء عن الكتيبة الاخرى حتى اعلنت عن اندماجها وقتالها تحت اسم واحد هو كتائب حزب الله وذلك خلال بيان نشرته الكتائب بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٢١. كانت القواعد الشعبية للكتائب تتمركز في مدينه الصدر وفي محافظة ميسان "علي الغربي وعلي الشرقي والعمارة والنجف"، ومن قيادات الحزب السيد جاسم الجزائري مدير مكتب علاقات كتائب حزب الله وعضو المكتب السياسي لكتائب حزب الله، والحاج جاسم الكعبي، وخالد اسماعيل، ابو مصطفى.

قبل سقوط الموصل بعدة ايام وبتاريخ ٢٠١٤/٥/٢٢ اصدرت كتائب حزب الله بيان تقول فيه انها اسست ماسمته سرايا الدفاع الشعبي هدفها

تنظيم الدولة الاسلامية على مناطق غرب وشمال العراق في ٢٠١٤/٦/٩، استطاعت المنظمة من اعادة تنظيمها العسكري، وذلك استجابة لفتوى المرجعية الدينية، وتولى السيد هادي العامري رئيس المنظمة قيادة الحشد الشعبي بأغلب معاركه في تحرير الكثير من المناطق التي يسيطر عليها التنظيم المتطرف.

٢- صادقون (عصائب اهل الحق): وتمثل

احدى الفصائل المنشقة عن جيش المهدي، وتولى قيادتها منذ تأسيسها قيس الخزعلي، وعبد الهادي الدراجي، واکرم الكعبي، كانت بداية الانفصال منذ عام ٢٠٠٤ خلال معركة النجف التي خاضها جيش المهدي ضد القوات الأمريكية، ومع ذلك اعلنت الحركة رجوعها لقيادة مقتدى الصدر عام ٢٠٠٥، وبعد اعلان تجميد جيش المهدي من قبل السيد مقتدى الصدر بدأت الحركة تعمل بشكل مستقل تماما عن جيش المهدي، كما أنها رفضت الانضمام إلى لواء اليوم الموعود الذي اسسه السيد مقتدى الصدر عام ٢٠٠٩^(١٩). وتعتبر العصائب ثاني اكبر قوة في الحشد الشعبي بعد منظمة بدر سواء من حيث التنظيم والإعداد المنظمة تحت لوائه.

مقاتله كل من داعش ، حركة رجال الطريقة النقشبندية ، كتائب ثوره العشرين ، حماس العراق وتنظيم محمد الفاتح للاطلاع على البيان من هنا اي انها تشكلت قبل فتوى السيد السستاني بالجهاد الكفائي .

تقاتل السرايا والتي تتكون من مقاتلي كتائب حزب الله والمتطوعين الجدد في جرف الصخر ، امرلي ، بلد ، دجيل ، الفلوجة ، الجزيرة ، العظيم ، البحيرات ، ابو غريب ، سامراء ، اللطيفية ، اليوسفية ، المحمودية ، المدائن ، تلال حميرين وقاتلت في تلغفر ايضا قبل ان تسقط بيد داعش ، واتخذت سرايا الدفاع الشعبي شعار "لن يمروا" .

٤- التيار الصدري (سرايا السلام ولواء اليوم الموعود) : تنظيم شيعي مسلح تابع إلى التيار الصدري الذي يقوده الزعيم الشيعي السيد مقتدى الصدر ، تم تشكيل هذه السرايا كقوة دفاعية عن المساجد و المراقد الشيعية والسنية على حد سواء ، وانخرطت في القتال ضد تنظيم داعش في عدد من مناطق العراق كسامراء وديالى وأمرلي وجرف الصخر والاسحاقي وكان لها دور واضح في تلك المناطق حيث تمكنت من تحرير منطقة البحيرات وفتح

الحصار عن ناحية آمرلي في صلاح الدين وتأمين مناطق عديدة في سامراء وتطهيرها ، واغلب عناصر وقيادات التنظيم يتبعون إلى التيار الصدري وهم مقاتلون وقيادات سابقة في جيش المهدي او لواء اليوم الموعود التنظيمات المسلحة التي تتبع للتيار الصدري .

٥- المجلس الاعلى الاسلامي (سرايا عاشوراء ، سرايا انصار العقيدة ، سرايا الجهاد ، لواء المنتظر ، لواء الامام علي) : وتشكلت بعد فتوى الجهاد الكفائي ، وترتبط بالمجلس الاعلى ، وتقاتل مع الحشد الشعبي في كل حروبه .

٦- كتائب الإمام علي^(٢١) : وهي الجناح المسلح لحركة العراق الإسلامية ، وأمينها العام شبل الزيدي ، ظهرت على الساحة في نهاية حزيران /يونيو ٢٠١٤م ، ويبرز نشاطها في مناطق آمرلي وطوزخورماتو وديالى ، وتساهم مع بقية القوى السياسية العراقية وفصائل المقاومة الأخرى في اطار الحشد الشعبي .

٧- حركة حزب الله النجباء : وهي حركة ولدت من رحم عصائب اهل الحق المنشقة اصلا من جيش المهدي الذراع العسكري للتيار الصدري . ،

ومن قياداتها الشيخ اكرم الكعبيوتمارس نشاطها باسم المقاومة الاسلامية حركة حزب الله النجباء وشاركت في معارك في الاسحاقي، النباعي، سامراء، بلد، الرمادي، الضلوعيه، اطراف الفلوجة بعدد من الالوية والسرايا اهمها (الاستخبارات العسكرية، قوات النخبة (العمليات الخاصة)، قوات التدخل والاحتحام وسرية الاستطلاع الخاص .

٨ - كتائب التيار الرسالي: بعد اعلان الجهاد الكفائي من قبل السيد علي السستاني اعلن الامين العام، للتيار الرسالي الشيخ عدنان الشحماني عن تأسيس كتائب التيار الرسالي في منتصف حزيران ٢٠١٤، وتتكون من عدد من الكتائب التي تنتشر في الضابطة التابعة لسبع البور شمار غرب بغداد بقيادة الحاج هاشم المياحي والمدائن جنوب بغداد وابو غريب غرب بغداد اضافة الى الكرملة الملاصقة للفلوجة .

وتشير المصادر الى ان الكتائب لا تقوم بالاشتباك بل انها تقوم بمسك الارض في المناطق الواقعة غرب بغداد، بينما في الضابطة ساهمت مع كتائب سيد الشهداء في العمليات ضد داعش . وتتخذ من مواقع شركة الرضوان العامة في خان

ضاري وسيطرة التحدي ومعمل تسقيط العجلات في ابي غريب مقرات لها .

اغلب مقاتلي الكتائب هم من اهالي قضاء الحي التابع لمحافظة واسط، وتوجد بعض التاكيدات ان الكتائب كانت موجوده وبصوره سرية تشارك في عمليات داخل سوريا مع بقيه الفصائل الشيعية المقاتلة، وقد عاد مقاتلي هذه الكتائب للمشاركة في عملياتها داخل العراق .

٩ - سرايا الخرساني: امينها العام هو السيد علي مهدي علي عباس الياسري، ومرجعيتها تعود الى السيد محمد تقى المدرسي . وسبب التسمية: نسبة الى أبي مسلم الخراساني، وهو قائد عسكري في القرن الثامن الميلادي ساهم في الإطاحة بحكم الخلافة الاموية . تشكلت سرايا طليعة الخرساني في شهر ايلول من ٢٠١٣ للمشاركة في القتال في عمليات في ريف دمشق بالتحديد في السيدة زينب والغوطة الشرقية وشاركت مع بعض الفصائل الشيعية في الدفاع عن مرقد السيدة زينب في ريف دمشق . وعند سقوط الموصل بيد الدولة الاسلامية تم استدعاء اغلب المقاتلين للمشاركة في قتال داعش في العراق، وشاركت حتى الان في عمليات فك

الحصار عن امرلي وسليمان بيك وناحية الاسحاقي وطلوز خورمانو .

وحسب ما ينشر من قبل اعلامهم فلديهم عدد من الالوية والسرايا منها اللواء الخاص او المهمات الخاصة ولواء الحرس الخاص وسرية القائد ابو عرب وكتيبة لابطال العبوات الناسفة .

١٠ - المقاومة الاسلامية - كتائب الفتح المبين :

وأمينها العام الشيخ عباس الزيدي ، انطلقت فكرة تشكيل كتائب الفتح المبين مع بداية الازمة السورية ، وبعد مشاورات واجتماعات اجرها الشيخ الزيدي مع عدد من المقاتلين الذين شاركوا معه سابقاً وبمساعدة معنوية ومادية من كتائب حزب الله وكتائب سيد الشهداء وعصائب اهل الحق تم الاعلان عن تشكيل الكتائب بتاريخ ١٧/٤/٢٠١٤ من خلال مؤتمرها التأسيسي .

والظهور العلني للكتائب كان قبل احداث الموصل وقبل صدور فتوه الجهاد الكفائي من قبل السيد السيستاني باكثر من شهرين .

وتنتشر الكتائب اليوم في مناطق للطيفية وصدر اليوسفية (الطاقة الروسية والشاركية والحركاوي والمناطق الماحذية لها) وهي مناطق

محاذية الى جرف الصخر . ولا يوجد اي تواجد للكتائب في جرف الصخر اوامرلي

في مناطق صدر اليوسفية تعمل الكتائب صفا الى صف مع كتائب حزب الله وكتائب ابو الفضل العباس العراق وتجمع الاهوار وعصائب اهل الحق ، لكون كتائب الفتح المبين مسكت الارض قبل وصول بقية الفصائل .

وهناك العديد من التنظيمات الاخرى التي لا يمكن حصرها او التعرف على ماهيتها ومنها لواء ابو الفضل العباس عليه السلام ، كتائب حزب الله (الثائرون ، الغالبون ، المتين ، المختار ، النبا العظيم ، الفتح المبين) ، كتائب روح الله ، وكتائب الاشتراكية .

١١ - العتبة العلوية (فرقة الامام علي) ، العتبة العباسية (فرقة العباس القتالية)

ان طبيعة وتشكيلات التي يتكون منها الحشد الشعبي بوصفها (قوات شعبية غير منظمة تنظيماً دقيقاً كما في الجيوش) جعلته معرضاً للاتهام من الاطراف السياسية الداخلية والاقليمية والدولية بكونه مليشيا شيعية غير منضبطة او غير خاضعة للقانون ، والتي حاولت التقليل او الحد من

اهمية الانتصارات التي حققها على ارض الواقع ، وهذا الرأي يمكن مناقشته من خلال التعرف على مفهوم المليشية ومدى قرب المفهوم او بعده من مفهوم الحشد الشعبي ، اذ تعرف المليشيا بمفهومها العام بأنها "ضرب من الجيش الخاص يقضي بتوزع اعضاء الحزب على وحدات صغيرة ينظمون داخلها تنظيمًا عسكريًا بوجوب خضوعهم الى نفس التعليمات والأوامر التي يخضع لها الجنود في الجيوش العادية"^(٢٢) ، بمعنى ان المليشية تخضع لقانون وأوامر احزاب معينة وليس لقانون الدولة ، وهو امر يخالف لما يأخذ به الحشد الشعبي ، اذ تأسست هيئة رسمية باسم هيئة الحشد الشعبي ترتبط بالقائد العام للقوات المسلحة وبإشراف من مستشارية الامن الوطني ، وتتولى الهيئة تنظيم امور الحشد من عملية التطويع والتجهيز والإرسال الى جبهات القتال ، لتصبح هيئة الحشد الشعبي المؤسسة الامنية الرسمية الثالثة بعد الجيش والشرطة تحت امرة الحكومة العراقية^(٢٣) .

ثالثا : الحروب^(٢٤) والمعارك :

قبل التطرق الى الحروب والمعارك التي قادها

الحشد الشعبي ضد تنظيم الدولة الاسلامية وتحريره الكثير من المناطق ، لابد من الحديث عن طبيعة هذه المعارك من جهة ، وطبيعة الاساليب التي يمارسها هذه التنظيم في هذه المعارك من جهة اخرى .

١- طبيعة هذه الحروب : تعتبر هذه الحروب

من الحروب غير النظامية (حروب العصابات) التي تعرف بأنها "حروب تقوم على تجنيد السكان المحليين او جزء منهم ضد القوات العسكرية للسلطة الحاكمة التي تكون في نظرها اما فاقدة للشرعية ، او تخالفها في فكرها ونهجها" ، وتعرف ايضا بأنها "حرب بأبسط الاشكال وارخص الادوات من قبل طرف ضعيف ضد طرف قوي يفوقه في القوة والعدد"^(٢٥) .

أ - طبيعة وسمات الجهات او الفرق التي تمارس هذه الحروب والتي يتسم بها تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) وهي^(٢٦) :

* العمل على كسب التأييد الشعبي واستمالاته

لصالحها : من خلال المعرفة الأفضل بالشعب من حيث طبيعته ، قيمه ، حاجاته الأساسية ، دواعي سخطه ، ثم توظيف كل ذلك للحصول على تأييده ، هو ما تحقق لتنظيم الدولة بعد ان استثمرت

الاخفاقات التي تمر بها العملية السياسية بعد ٢٠٠٣ ، والمعارضة التي تبنتها بعض القوى والاحزاب السنية المتضررة من هذه العملية لتمارس العنف على طول الفترة الممتدة من (٢٠٠٣ - والى الان) ، والذي انتهى بالاعتصامات التي عمت المناطق الغربية والتي مكنت التنظيم من ايجاد بيئة حاضنة وعلى نطاق واسع ، ولعل شواهد هذه الحواضن كثيرة ابرزها هي غياب المقاومة من قبل اهالي هذه المحافظات للتنظيم ، وهذا ينطبق حتى على مستوى قوى الامن الداخلي في هذه المناطق ، فعلى سبيل المثال يوجد في الموصل (٢٧،٠٠٠) عنصر امني ، والانبار (٢٥،٠٠٠) ومع ذلك استطاع التنظيم بين ليلة وضحاها السيطرة على هذه المناطق بدون اي مقاومة تذكر .

*** المباغنة وغياب المواجهة المباشرة مع القوات النظامية :** اذ تعتمد الفرق التي تبني حرب العصابات ، اسلوب الكر والفر ، من اجل انهك واستنزاف الطرف الاخر ومحاولة الحاق اكبر قدر من الخسائر ، وهو ما يمارسه تنظيم القاعدة (سابقا) والدولة (حاليا) من عمليات استنزاف وأنهاك للدولة العراقية بشتى الاساليب والوسائل المختلفة .

*** التحشيد العقائدي والعاطفي :** اذ تبني هذه التنظيمات المذهب السلفي "المتطرف" وتحاول ان تستميل ابناء المناطق الغربية الذي يتبنون المذهب ذاته ولكن بشكله المعتدل ، وتحاول هذه التنظيمات تحويله نحو التطرف والتشدد مستفيدة من صراعات العملية السياسية الجارية في العراق .

ب - اما بالنسبة للمراحل التي تمر بها حرب العصابات "الغوار" فهي على ثلاثة مراحل توزعت على العملية السياسية العراقية على الشكل الاتي ^(٢٧) :

المرحلة الاولى : الاستنزاف (الدفاع الاستراتيجي) : مارس من خلالها التنظيم الارهاب للفترة الممتدة من (٢٠٠٥ - ٢٠١٢) ، اذ بلغ عدد ضحايا التنظيم ما يقدر بـ (٥٠،٧٦٠) ، من العراقيين ، بغض النظر عن التدمير المادي خلال هذه الفترة .

المرحلة الثانية التوازن الاستراتيجي النسبي : مارس من خلالها التنظيم التمرد للفترة الممتدة من (٢٠١٢ - ٢٠١٤) وتتمثل بالتظاهرات والاعتصامات التي استطاع من خلالها التنظيم ان يستغلها لتحدي النظام السياسي وإعلان التمرد ضده ، وتوظيف هذه الاعتصامات لإعطاء شرعية للعنف السياسي الذي

بلغ عدد ضحاياه بـ (٨،٩٧٨) ، من جهة ، وبث التطرف بين اهالي تلك المناطق وعلى مستوى واسع تمهيدا للانتقال للمرحلة الثالثة المتمثلة بمرحلة الحسم .

المرحلة الثالثة : مرحلة الحسم
(٢٠١٤/٦/١٠) : مارس من خلالها التنظيم الحرب الداخلية والمتمثلة بسيطرة التنظيم على المحافظات الغربية الاربعة وبعض المناطق المحاذية لبغداد ، ليلغ عدد ضحايا التنظيم خلال فترة الحسم الى اعلى مستويات العنف التي شهدتها العراق منذ بداية تأسيس العملية السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣ ، ويقدر بـ (٢٨٧١٩) .

٢ - المعارك : بعد ان حددنا طبيعة الحروب التي شنها التنظيم ضد العملية السياسية بمراحلها الثلاثة ، وهي حروب كما ذكرنا انفا لا يمكن للجيش النظامية مجابهتها او ايقافها ، ليظهر الحشد الشعبي باعتباره القوة الوحيدة التي بإمكانها الوقوف بوجه تنظيم الدولة لعد اسباب وهي :

* قوات غير نظامية مارس البعض منها الحروب غير النظامية وتمرس عليها لفترات طويلة .

* تحمل عقيدة في مواجهة عقيدة هذه

الجماعات المتطرفة وهذا ما تطلبه هذه الحروب .
* الامتثال لفتوى المرجعية وما تحمله هذه الفتوى من معاني الجهاد والدفاع عن المقدسات والحرمان والشهادة بكل معانيها .

ان هذه الاسباب مكنت الحشد الشعبي من تحقيق انتصارات في الكثير من المعارك والحروب التي واجه بها تنظيم الدولة المتطرف ، ولتحقق للعراق وللمرة الاولى منذ ٢٠٠٣ من الانتقال من حالة الدفاع الى الهجوم في مواجهة هذه التنظيمات المتطرفة وجاءت على الشكل الاتي :

أ - عملية عاشوراء لتحرير جرف الصخر :
بدأت هذه العملية يوم ٢٤ / تشرين الأول / أكتوبر / ٢٠١٤ واستمرت ليومين نفذت من قبل القوات العراقية والحشد الشعبي ، وكان هدفها استعادة السيطرة على ناحية جرف النصر الإستراتيجية في محافظة بابل والقريبة من بغداد وكربلاء ، وهدف العملية الأساسي هو منع مقاتلي الدولة الإسلامية من بلوغ المدن المقدسة كربلاء ، والنجف ، حيث هدد تنظيم الدولة الإسلامية بتنفيذ هجمات ضد ملايين الزوار الذين يحيون يوم عاشوراء ^(٢٨) .

ب - تحرير امرلي : تمكن الحشد ايضا من

فك الحصار الذي دام لأكثر من (٨٠) يوم عن ناحية امرلي التابعة لقضاء طوزخورماتو في محافظة صلاح الدين ، في ٢٠١٤/٩/٢ ، و يبلغ عدد سكان أكثر من ١٧ الف شخص يشكل التركمان الشيعة معظم سكان ناحية أمرلي مع أقلية من الكرد والعرب السنة^(٢٩) .

ج - تحرير ديالى : وخاضت قوات الحشد الشعبي معارك عنيفة لاستعادة السيطرة على مناطق السعدية وجلولاء وحوض حمرين ومناطق شمالي المقدادية وشرق المنصورية ، وتمكنت من قتل أكثر من ٤٠٠ إرهابي من داعش بينهم نحو ١٠٠ قيادي خلال معارك تحرير المناطق لتعلن في يوم ٢٦/كانون الثاني / ٢٠١٥ ، عن تحرير ديالى

بالكامل^(٣٠) .

www . alalam . ir/news/١٦٤٣٦٠٦

د - تحرير صلاح الدين : استطاع الحشد ومن خلال معارك متعددة من تحرير صلاح الدين في ٥ / ٣ / ٢٠١٥ ، وبدون غطاء جوي يذكر سواء كان عراقي ام دولي^(٣١) .

هـ - المشاركة في عمليات تحرير الانبار : وذلك على اثر سقوطها بيد تنظيم الدولة في ١٨ / مايو / أيار / ٢٠١٥ ، بعد انسحاب القوات الحكومية من مواقعها في المحافظة ، ليدخلها الحشد الشعبي للمساهمة في تحريرها بعد معارضة داخلية ودولية لعدم مشاركة دامت لأكثر من شهرين .

المبحث الثالث

رؤية مستقبلية لدور الحشد الشعبي ومصيره

التنظيم للكثير من التأييد الشعبي في مناطق الصراع والانقلاب على الحواضن التي تستقبله لما يتسم به من وحشية في التعامل والأداء حتى بالنسبة لأبناء المكون ذاته ، والنازحين هم خير مثال على تلك الوحشية . وكذلك تدريب الشباب من مناطق الصراع في معسكرات تمهيدا لانضمامهم للحشد الشعبي او للحرس الوطني اذا تم تشكيله ودمج الحشد الشعبي تحت هذا المضمون . اما بالنسبة للمعطيات الدولية والاقليمية ، فيمكن القول ان التحالف الدولي بدا في زيادة الدعم والتمويل للعراق ، وكذلك الزيادة من الضربات الجوية الدولية لمواقع التنظيم في مناطق الصراع ، بالإضافة الى المحيط الاقليمي متمثلا بضعف الدعم المقدم من المملكة السعودية نتيجة للصراعات التي تخوضها في اليمن وتهديدها للداخل

ان الانجازات والانتصارات التي حققها الحشد الشعبي والتي استطاع من خلالها تحرير جرف الصخر وامرلي وديالى وصلاح الدين ، والانتصارات المتحققة على ارض المعركة في الكثير من مناطق الانبار تثير التساؤلات حول المستقبل القريب للحشد الشعبي وتحديات الداخل والخارج الدولي والإقليمي ، وفي هذا المجال هنالك ثلاثة مشاهد يمكن طرحها بالنسبة للحشد ترتبط بالعملية السياسية ومجريات الداخل والخارج وهي :

اولا : مشهد الحسم (من سنة الى سنتان) : في ظل هذا المشهد يمكن الاستشراق بقدرة الحشد الشعبي على حسم المعارك في محافظة الانبار والتحول نحو محافظة الموصل وتحريرها من تنظيم الدولة ، ومن المعطيات الواقعية الداخلية لهذا المشهد هو خسارة

السعودي .

ثانيا : مشهد استمرار الصراع (من ثلاثة سنوات الى خمسة) : ويقضي هذا المشهد باستمرار الصراع لفترات طويلة تتراوح بين (٣ - ٥ سنوات) وفقا لمجموعة من المعطيات الداخلية والدولية ، فبالنسبة للمعطيات الداخلية يمكن القول ان تنظيم الدولة يحصل على الدعم اللوجستي من الكثير من مناطق العالم بالإضافة الى الثروات والموارد في الكثير من المناطق التي يسيطر عليها التنظيم الان . اما بالنسبة للمعطيات الدولية فيمكن القول ان تصريحات المسؤولين في الولايات المتحدة اعطت توقيتات للحرب على التنظيم في بداية الحرب الى ثلاثة سنوات ، والآن فأنها تعطي خمس سنوات لهذه الحرب لعدة اسباب ؛ المعلنة منها هو تنفيذ مشروع الشرق الاوسط الكبير وإقامة الانظمة الديمقراطية والقضاء على التطرف الذي يعيق عملية التحول الديمقراطي في المنطقة وجعل العراق وسوريا الساحة الاولى لمواجهة التطرف وحرقه في هذه المناطق^(٣٢) ، اما المخفي من اهداف الولايات المتحدة فيمكن القول ان الولايات المتحدة ومن اجل تطبيق مشروع الشرق الاوسط الكبير فان تستخدم استراتيجية الفوضى الخلاقة التي تقوم على خلق توازنات قلقة يؤدي فيها الطرف الأقوى الخارجي (المتمثل

بالولايات المتحدة) دور الراعي وحامل ميزان التوازن والقادر على تسخير تلك التوازنات القلقة لمصلحته في كل مرحلة تستوجب التغيير^(٣٣) ، وينتهي هذا المشروع بتجزئة المقسم وخلق دويلات صغيرة وبأدوات داخلية واقليمية ودولية ، والعراق بوصفه جزء من المشروع فانه مرشح لهذا التقسيم الذي ينتهي بخلق ثلاثة كونفدراليات كردية في شمال العراق وسنية في الغرب وشيعية في الجنوب ، وهو ما يتحقق في ارض الواقع في ظل حالة من غياب التعايش بين المكونات الثلاثة والصراع والحروب الجارية والمتوقعة في المستقبل القريب (شيعية - سنية) و (كردية - عربية) والتي تنتهي بالتقسيم المفروض دوليا واقليما ، في ظل المشروع المطروح من قبل لجنة القوات المسلحة في الكونغرس الامريكي بتمويل تسليح قوات البيشمركة الكردية والعشائر السنية في العراق بمعزل عن الحكومة الاتحادية في بغداد ، والذي اذا ما تحقق فانه سيكون مقدمة للتطبيق العملي للتقسيم وبداية الحروب الاهلية ، وعندها سيكون الحشد الشعبي جزء من هذه الحروب المفروضة دوليا وبصرف النظر عن مواقف بعض الجهات الداخلية الراضة لهذا المشروع والمؤيدة لوحدة العراق ومنها الحشد الشعبي وقياداته الدينية والسياسية .

ثالثا : مشهد التوازن : ويقضي هذا المشهد بانقلاب

الارادة الداخلية في الكثير من مناطق الصراع ضد تنظيم الدولة وخسارته لحواضنه في هذه المناطق وانضمام ابناء هذه المناطق للحشد الشعبي سواء تحت عنوان الحشد او الحرس الوطني وتحقيق الحسم العسكري وتحرير العراق من تنظيم الدولة الاسلامية ، ومن المعطيات الداخلية لهذا المشهد هو هدف القيادات الدينية والسياسية للحشد الشعبي على تقويض الحواضن الداخلية للتنظيم في مناطق الصراع والتأكيد على الهوية الوطنية العراقية وتحويل مشاهد الانتصار على انها انتصارات لكل العراقيين دون ان تكون لمكون دون اخر . اما المعطيات الدولية فيمكن القول ان الحرب على تنظيم الدولة تكلف الولايات المتحدة الامريكية أكثر من ٧.٢ مليار دولار في الحرب على التنظيم في العراق وسوريا وأن متوسط الكلفة اليومية بلغ تسعة ملايين دولار ، وهذه الاحصائيات هي ارباح وعائدات للولايات المتحدة قد تستمر لثلاثة او خمسة سنوات (بحسب توقيتات حرب الاستنزاف الامريكية) ، وستكتفي الولايات المتحدة بالضغط باتجاه اقامة فدراليات ثلاثة في حالة من التوازن المستقر نسبيا ، عندها سيكون لكل فدرالية من الفدراليات الثلاثة حرسا وطنيا بما في ذلك اعادة هيكلة الحشد الشعبي ضمن صفوف الحرس الوطني

المرتبط بالحكومة العراقية الاتحادية الممثلة لجميع مكونات المجتمع العراقي .

وفي خاتمة البحث يمكن القول ان الحشد الشعبي هو احدى افرازات العملية السياسية الجارية في العراق بأزماتها الموروثة والمكتسبة ، وهو يمثل الخيار الوحيد والعملي للوقوف بوجه التنظيمات المتطرفة التي حاولت اسقاط النظام السياسي الجديد من خلال مراحلها الثلاثة للفترة منذ (٢٠٠٥ - ٢٠١٤) والمتمثلة بـ (الاستنزاف / التوازن / الحسم) ، وتصدي الحشد الشعبي لها ودحرها وتحرير الكثير من مناطق العراق .

ان الواقع والمستقبل القريب للحشد الشعبي والحروب التي يخوضها في تحرير العراق وتوقيتاتها مرهونة بالتوازنات الداخلية والاقليمية والدولية التي ترسم ملامح الخارطة السياسية للعراق بعد ٢٠١٤/٦/٩ ، وأي مشهد من المشاهد الثلاثة المطروحة في البحث غير مستبعد ويمكن ان يتحقق ، سواء مشهد الحسم الذي يتحقق بتوافق الارادات الثلاثة الداخلية والاقليمية والدولية ، او مشهد استمرار الصراع في حالة استمرار الصراعات على المستوى الداخلي .

الهوامش :

" وهناك فرق بين العنف الطائفي والحرب الأهلية ، فهذه الأخيرة تكون أكثر اتساعا وشمولا كما هو الحال في الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) والاسبانية . أما ما جرى في العراق فهو ظهور جماعة تدعي حماية أهل السنة وأخرى تدعي حماية أهل الشيعة ، التي استغلت فراغ السلطة والفوضى ووفرة السلاح والدعم من كيانات ودول إقليمية ، للمزيد انظر : (عبد الأمير محسن ، العنف في العراق سياسي لا طائفي ، دورية كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد (٣) ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٠) .

[١٠] جريدة الشرق الأوسط الدولية ، العدد (١٢٨١٦) ، ٣٠ / ديسمبر / ٢٠١٣ .

[١١] يرجع جذور دولة العراق الاسلامية الى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ، وهو تنظيم مسلح يتبنى الفكر السلفي الجهادي أسسه "ابو مصعب الزرقاوي" ، وبعد مقتله تزعمه ابو حمزة المصري المهاجر وبعده ابو عمر البغدادي الذي استطاع من تحويل الاسم الى دولة العراق الاسلامية في ١٥/تشرين الاول /٢٠٠٦ ، وبعده تسلم قيادة التنظيم ابو بكر البغدادي الذي استطاع وبعد مفاوضات بينه وبين ابو محمد الجولاني من دمج دولة العراق الاسلامية مع جزء من جبهة النصرة وتأسيس "الدولة الاسلامية في العراق والشام" (داعش) ، للمزيد ينظر : جريدة النهار ، العدد (١١٣٢) ، ٧ /كانون الثاني/ ٢٠١٤ ، وكذلك تصريح لـ ابو بكر البغدادي زعيم التنظيم ، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي :

www.youtube.com/watch?v=hpxa-cay

[١٢] حول احصائيات القتلى من احداث العنف السياسي

[١] فرهاد ابراهيم ، الطائفية السياسية في العالم العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٢٤ .

[٢] فالخ عبد الجبار ، عراق الصراع والمصالحة والتعايش في مجتمعات الصراع ، الحوار المتمدن ، بيروت ٢٠٠٧ ، ص ١٧ .

[٣] مهدي الشرع ، المكونات السياسية للطائفية في العراق ، مجلة شؤون مشرقية ، المسألة الطائفية والاثنية ، العراق أنموذجا ، مركز دراسات المشرق العربي ، العدد (١) ، بيروت ٢٠٠٨ ، ص ٩٥ .

[٤] المركز العراقي للمعلومات والدراسات ، الوزارات العراقية ١٩٢٠-٢٠١٠ ، قسم المعلومات والتوثيق ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص ١٣ .

[٥] إبراهيم الحيدري ، هل يبحث العراقيين عن هوية ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد (٩٣١٩) ، ٢٠٠٤ .

[٦] عدي فالخ حسين ، جدلية الشراكة والمعارضة في النظام السياسي العراقي بعد ٢٠٠٣ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٢٠٩ .

[٧] زهير المنخ وآخرون ، الإسلام والعنف ، الواقع وتحدي الإرهاب وأزمة البناء التعليمي ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٥ - ١٤٠ .

[٨] مجموعة باحثين ، ديناميكية النزاع في العراق ، معهد الدراسات الإستراتيجية ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ١٨ .

[٩] يعرف العنف الطائفي بأنه " انفجار القوة التي تعتدي بصورة مباشرة على الأشخاص والجماعات لتجعل من أرادة القوة تنتصر في أطار العلاقات الاجتماعية والسياسية

الاشرف على لسان خطيب الجمعة في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ) الموافق (١٣ / ٦ / ٢٠١٤ م) "ان الاوضاع التي يمر بها العراق ومواطنيه خطيرة جدا ولا بد ان يكون لدينا وعي بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقنا"، مشيراً الى انها (مسؤولية شرعية ووطنية كبيرة)، واذاف أن (العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً وان الارهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات بل صرحوا بانهم يستهدفون جميع المحافظات، لاسيما بغداد وكربلاء والنجف)، لافتنا الى ان (انهم يستهدفون كل العراقيين وجميع مناطقتهم ومن هنا فان مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم لا تخص طائفة دون اخرى، والمطلوب أن يحث الأبُّ ابنه والأمُّ ابنتها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمت هذا البلد ومواطنيه)، داعياً القيادات السياسية الى (ترك الخلافات والتناحر لانهم امام مسؤولية تاريخية ووطنية). ودعا الكربلائي (الناس إلى حمل السلاح والدفاع عن وطنهم في مواجهة المسلحين المتشددين) للمزيد ينظر: الموقع الالكتروني للمرجع اية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني "دام ظله":

<http://www.sistani.org/arabic>.

[١٩] موقع حركة المقاومة الاسلامية، اهل الحق: (www.ahlulhaq.com).

[٢٠] <http://sumerianpriest.blogspot.com>

[٢١] الموقع الالكتروني لكثائب الامام علي عليه السلام: (<http://www.kt-im-ali.com>)، ماثيو ليفيت و فيليب سميث، "كتائب الإمام علي: لحظة عن ميليشيا شيعية عراقية متشددة تحارب داعش"، مقال منشور على الموقع الالكتروني لمعهد واشنطن

للفترة (٢٠٠٨-٢٠١٣) ينظر: ملحق رقم (٦).

[١٣] جريدة الشرق الأوسط الدولية، العدد (١٢٩٤٩)، ١٢ مايو ٢٠١٤، وكذلك العدد (١٢٩٧٥) ٧ / يونيو ٢٠١٤ والعدد (١٢٩٨٠)، في ١٢ / يونيو ٢٠١٤.

[١٤] في اطار بحث مطالب المتظاهرين، استجابت الحكومة لبعض مطالب المتظاهرين وأعلنت عن تشكيل "اللجنة السبوعية" المكلفة بالنظر بمطالبهم واستطاعت خلال خمسة اشهر من الافراج عن (٥٦٥٠) سجيناً وموقوفاً ورفع الحجز عن (١١٤١٨) دار مشمولة بإجراءات المسائلة والعدالة، وانجاز (١١٧٠١) معاملة تقاعدية للكيانات المنحلة و (١١٠٥١٠) معاملة تقاعدية لعناصر الجيش السابق، اما عن بقية المطالب فأكدت الحكومة بأنها تتعلق بالقضاء والبرلمان، للمزيد ينظر: (الموقع الالكتروني للأمانة العامة لمجلس الوزراء: <http://www.cabinet.iq>

[١٥] جريدة الشرق الأوسط الدولية، العدد (١٢٨١٦)، ٣٠ ديسمبر / ٢٠١٣.

[١٦] تشكل اتحاد القوى الوطنية بعد الانتخابات في ٢٩ / ايار / ٢٠١٤ من قبل بعض النواب الذين يمثلون ائتلافات (متحدون ووحدة العراق والخلاص و ديبالي هويتنا وأبناء العراق وائتلاف وحدة العراق و الوفاء للانبار) وعدد من النواب المستقلين برئاسة سليم الجبوري، للمزيد ينظر: تشكيل اتحاد القوى الوطنية للتفاوض حول الحكومة العراقية، جريدة الزمان، عربية دولية، العدد (٧٢٠٢٢)، ١٨ / ٥ / ٢٠١٤).

[١٧] للمزيد ينظر جريدة البيان العراقية، العدد (١٤٣٥)، ٧ / ٢٠١٤.

[١٨] نص الفتوى التي اصدرتها المرجعية الدينية في النجف

- الوطن :
http://www.nationshield.ae/home/details/research
- [٢٨] للمزيد ينظر الموقع الالكتروني لقناة العالم الفضائية (www.alam.ir/news/) (١٦٤٣٦٠٦)
- [٢٩] للمزيد ينظر الموقع الالكتروني لقناة العالم الفضائية (<http://www.alam.ir/news/>) (١٦٢٨٥٥٢)
- [٣٠] للمزيد ينظر الموقع الالكتروني لوكالة السفير نيوز : (<http://assafirnews.net/index.php>)
- [٣١] للمزيد ينظر الموقع الالكتروني لصحيفة المراقب العراقي <http://www.almurqab-alaraj.org>
- [٣٢] للمزيد ينظر موقع السومرية نيوز حول تصريحات المسؤولين الامريكيين حول الحرب على داعش <http://www.alsumaria.tv/news/> ١٣٣٦٤٢
- [٣٣] سرمد العبيدي ، الإستراتيجية الأمريكية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، مجلة دراسات سياسية ، العدد (١٢) بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٣ .

- <http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view>
- [٢٢] شمران حمادي ، الاحزاب السياسية والنظم الحزبية ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٢ .
- [٢٣] مجموعة باحثين ، الحشد الشعبي ... الرهان الاخير ، مركز بلادي للدراسات والايامات الاستراتيجية ، كتاب المركز رقم (١) ، الطباع ، ٢٠١٥ ، ص ٣٤ .
- [٢٤] الحرب : هي حالة من الصراع الناشب بين طائفتين أو معسكرين ، أو دولتين ، لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية أو ايدلوجية أو توسعية وهي عادة آخر الأوراق بيد الساسة .
- [٢٥] محمد ناجي صبحه ، حرب العصابات بين النظرية والتطبيق الفلسطيني ، مؤسسة فلسطين للثقافة ، سوريا ، ٢٠١١ ، ص ٢٢ .
- [٢٦] عبد العزيز المقرن ، معسكر البتار ، العدد الاول ، ١٢٤٥هـ ، ص ٦٥ .
- [٢٧] للمزيد ينظر : عبد العزيز المقرن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢-٣ ، وكذلك : عمار علي حسن ، حرب العصابات ... تعريفها واشكالها ومخططاتها ، مجلة درع

أَحْشَدُ الشَّعْبِ

وَرَهَانَاتُ إِسْقَاطِ الْعَلْبَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ

❖ د. رزاق فالح وحيد (*)

(*) أستاذ العلوم السياسية في كلية المصطفى الجامعة .

إن العراق بموقعه الجيواستراتيجي وعمقه الثقافي ورمزيته الحضارية وثرواته الهائلة ، يشكل رقماً مهماً في حسابات الهيمنة والنفوذ الإقليمي ، فمن يهيمن على هذا البلد سيرسم خارطة الشرق الأوسط القادم ، وبدون حكومة قوية ومقتدرة لها رؤية واضحة في قيادته ، سيعاني شعبة الكثير من أطماع جيرانه وحلفائهم الدوليين .

بعد سقوط نظام صدام حسين من قبل الولايات المتحدة ذات المصالح الحيوية والإستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط ، وهي تتبع إستراتيجية لحكم السيطرة على المنطقة عبر سياسة توازن القوى الإقليمية التي كانت ومازالت كفته تميل لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في المنطقة ، وهذا ما أتاح لها المحافظة على مصالحها الإستراتيجية وصيانتها .

ان دخول العراق الى حالة عدم الاستقرار ،

هو ما القي بضلاله على المشهد الجيو استراتيجي للمنطقة ، تزامناً مع الأحداث التي مرت بها حتى انتج ما بات يعرف بالربيع العربي ، حيث زاد نشاط الأطراف الفاعلة غير الحكومية ومن بين اهم هذه الجماعات الإرهابية والمليشيات او الفصائل المسلحة . . حتى فيما لو كانت تحظى باعتراف رسمي ومقنن من قبل الحكومات او تستند الى تأييد شعبي ومباركة جماهيرية ، كما هو حال الحشد الشعبي في العراق ، ولذا من هذا المنطلق نجد ان الولايات المتحدة لها رؤية إستراتيجية حيال هذه التشكيلات باختلاف مسمياتها وتوجهاتها الفكرية لإغراض تتعلق بمصالح الإقليمية ومصالح حلفائها في المنطقة .

اولاً : السياسات الأمريكية ودورها في نشوء الجماعات المتطرفة

غالباً ما اتبعت الولايات المتحدة وشركاؤها سياسات ادت الى تعزيز الجماعات السلفية الجهادية

مثل تنظيم القاعدة والدولة الاسلامية وجبهة النصرة وغيرها .

ان الولايات المتحدة الامريكية والحكومات الغربية كانت عادة ما تقلل من شأن العلاقة ما بين السعودية وعقيدتها الوهابية وبين التيارات التكفيرية ، سواء كانوا من القاعدة التي تبناها اسامة بن لادن او من قبل ابي بكر البغدادي وداعش . وينطبق هذا على حلفائها مثل تركيا التي كانت الظهير الاساس والحيوي لداعش وجبهة النصرة عن طريق فتح الحدود التركية السورية ، ويذكر ريتشارد ديرلوف رئيس المخابرات السرية البريطانية بأنه قبل احداث ١١ ايلول جرت محادثة بيني وبين السفير السعودي في واشنطن ورئيس الاستخبارات السعودية السابق الامير بندر بن سلطان وقال لي الامير « ان الوقت ليس ببعيد عن إحداث الشرق الأوسط ، كان الله في عون الشيعة ، فهناك اكثر من مليار سني لديهم ما يكفي تجاههم »^(١)

ويذكر ريتشارد ديرلوف رئيس المخابرات السرية البريطانية انه لا يشك في ان التمويل الكبير والمتواصل للتنظيمات الإرهابية ، كان وما زال من قبل المانحين في القطاع الخاص في السعودية

وقطر حيث تغض السلطات الطرف عنهم . فقد لعب دوراً محورياً في زيادة قوة داعش في المنطقة ، فمثل هذه الاشياء ببساطة لا تحدث من تلقاء نفسها^(٢) .

الواضح ان الولايات المتحدة الامريكية دفعة حلفاءها بمنطقة الشرق الاوسط بالدعم لتنظيم داعش الارهابي التي باتت تحقق مكاسب على الارض بسرعة ، وبالاخص حيال القضايا المتعلقة بالملف السوري والعراقي لحسابات تخضع لمنطق الصراع الاقليمي مع دول محور الممانعة وعلى رأسها ايران . وان الولايات المتحدة و الدول الغربية وجدت بالتيارات السلفية والتكفيرية جاذبية اكثر من الديمقراطية ، فقد كان القمع الذي مارسه الدول الخليجية على دولة البحرين عام ٢٠١١ مثلاً صارخاً على ازدواجية المعايير من قبل القوى الغربية ، بعد قيام النظام البحريني وحلفائه الخليجيين بقتل وقمع المتظاهرين ، مما دفع بالولايات المتحدة ان تبرر بان عائلة ال خليفة الحاكمة تنتهج مبدأ الحوار والاصلاح .

اما فيما يتعلق بسيطرة التيارات التكفيرية على سوريا ، فقد كانت الادارة الامريكية تدفع سياسة استمرار التصعيد والصراع بين الاطراف الداخلية

المعنية بالملف السوري والاطراف الاقليمية ، مما سمحت لحلفائها بالمنطقة بتقديم الدعم العسكري والمالي بصورة غير مباشرة بعد امن قبل كل السعودية وقطر والكويت والامارات العربية المتحدة . وان سياسة الولايات المتحدة وموقفها بالحرب على داعش في العراق فهي ، لن تنجح بحربها بالعراق اذا لم تنجح في حربها ضد التنظيم في سوريا ، في الماضي وفرت مناطق شرق سوريا ملاذاً آمناً لتنظيم داعش ، وتستمر في توفير قاعدة الدعم لعملياتها في العراق ، واذا لم يتم طرد التنظيم من شرق سوريا ، فسوف يستمر في زعزعة استقرار العراق . ولهذا السبب تحتاج الولايات المتحدة الامريكية الى استبدال إستراتيجيتها^(٣) .

بطبيعة الحال ان السياسيين والدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين يقولون أنهم لم يكونوا في موقف يسمح لهم بوضع حد للصراع السوري ، ولكن هذا تضليل للحقيقة ، وكان لابد من الإصرار على المفاوضات السلمية لحل الأزمة السورية . وهو ما لم يحدث بعد ان أصرت جميع الاطراف المشاركة بالصراع في سوريا على إدامة هذه الاوضاع ، مما جعل الولايات المتحدة وبريطانيا متأكدة من ان

الحرب ستستمر والمستفيد الأكبر من ذلك هو داعش التي عملت على التخلص من كل الإطراف المعارضة في سوريا .

كبدية تحتاج الولايات المتحدة الامريكية الى معالجة عدم تتطابق الوسائل والغايات في استراتيجيتها . فقد كرست موارد غير كافية في السعي الى تحقيق هدف معين "وهو اضعاف تنظيم داعش" والقضاء عليه في النهاية ، وان غايتها النهائية غير قابلة للتحقيق لمدة طويلة جداً . ويرجع ذلك الى صلابة التنظيم ، وضعف شركاء الولايات المتحدة الاقليميين ، وافتقار الاتساق في الاستراتيجية الامريكية الحالية . الى جانب ذلك فان البيئة الاقليمية مواتييه ايضاً لاستمرار بقاء تنظيم الدولة الاسلامية فمنذ احداث الانبار (الاحتجاجات) لعام ٢٠١١ ، تتسم المنطقة على نحو متزايد بدول ضعيفة وفاشلة تفتقر الى القدرة على استئصال الشبكات الارهابية او هزيمة الجماعات المتمردة ، وغالباً ما اتبعت الولايات المتحدة الامريكية وشركاؤها سياسات ادت الى تعزيز الجماعات السلفية الجهادية ، وبالتالي فان مضاعفة الاعتماد على النهج الحالي في العراق وسوريا - من دون تغيير السياسات

التي تؤدي الى اهدف متضاربة للجهود العسكرية للتحالف^(٤).

الواضح ان سياسات الادارة الامريكية لضمان مصالحها في منطقة الشرق الاوسط لا تكمن في الاستقرار وانما في وجود توازن قوى فعال ، وهو ما يضمن اصابة جميع اللاعبين بالشلل على نحو فعال ، بحيث لا يمكن لاي احد ان يهدد مصالحها ، فهي تسمح للقوى الاقليمية بالتنافس ضمن توازن معين ضد بعضها البعض ، واذا ما فشل ذلك فيتم التدخل مع القليل من القوة والمجازفة المحتملة ، وهذا ما ينطبق على حالة العراق وسوريا وتدخل الولايات المتحدة بتقديم الدعم ايضاً لدفع باستمرار سياسة التوازن .

ثانياً : تداعيات أحداث الموصل وموقف المرجعية الدينية .

خلال أسبوع واحد تمكنت الجماعات الارهابية المسلحة تحت اسم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" بقيادة الإرهابي أبو بكر البغدادي وجيش الطريقة النقشبندية بقيادة الإرهابي عزت ابراهيم الدوري القيادي في حزب البعث

المقبور من السيطرة على الموصل ثاني اكبر مدينة في العراق ، ويسكنها حوالي مليوني شخص ، وجزء كبير من محافظة نينوى ومناطق من محافظة صلاح الدين وديالى وبالقرب من كركوك ، وأصبحت هذه المناطق تحت سيطرة داعش . تضاف اليها مناطق من سوريا بين حلب والرقّة ودير الزور ، لأنها جزء من المناطق التي خضعت سابقاً لسيطرة داعش . وكانت عاملاً مهماً في نجاح هذه العملية العسكرية ، لأنها وفرت لهم إمكانيات متعددة في نجاح سيطرتهم على الموصل والمناطق الأخرى . فان تقهقر قوات الجيش اما عصابات داعش الإرهابية واستيلاء داعش على الموصل وتمدها نحو صلاح الدين ومناطق اخرى شكل انتكاسة كبيرة وسابقة خطيرة بتاريخ العراق المعاصر .

وبعد أن انهارت القوات الأمنية العراقية في عموم المناطق السُّنيّة في مواجهة اكتساح تنظيم الدولة الإسلامية ، دعت الحكومة العراقية في ١١ يونيو/حزيران عام ٢٠١٤ إلى تشكيل "جيش رديف" قبل أن تصدر المرجعية الشيعية إعلان "الجهاد الكفائي" بيومين فقط ، ثم ما لبثت أن وضعت تلك الدعوة في إطار رسمي عبر الإعلان عن تأسيس

"مديرية الحشد الشعبي" لتطويع القادرين على حمل السلاح من جميع المحافظات العراقية.

أشارت الى الوضع الأمني الخطير فقد صدر بيان عن سماحة السيد السيستاني بشأن سقوط الموصل والأوضاع الأمنية الخطيرة، فقد انتظر سماحة السيد السيستاني ليرى الإجراءات الحكومية من الجانب الأمني والعسكري والاستعدادات لهذه الانتكاسة العسكرية. ولكن عندها رأى ان الحكومة قد انشغلت بالاسباب التي دعت لسقوط الموصل تاركه الاجراءات والاستعدادات لمواجهة هذا الخطر الكبير، فقد اصدر سماحته فتوى الجهاد الكفائي ليوّجه أنظار العراقيين الى الخطر القادم ومنبهاً في الوقت نفسه عن هذا الخطر وقد اعتبر البعض من المتابعين لازمة سقوط الموصل، ان فتوى السيد السيستاني جاءت بمنزلة الهزة الصادمة التي أعادت العراق حكومةً وشعباً الى وعيه، يضاف الى ان مضمون الفتوى التي صدرت وجهة الى جميع مكونات المجتمع العراقي، وقواته المسلحة بصنوفها جميعاً. ويقول الكاتب حيدر الخوئي لقد التقيت السيد علي السيستاني في مكتبه يوم ١٤ حزيران أي بعد يوم من صدور الفتوى وسأله عن مضمون وابعاد

فتواه وقال "ان فتواه لمحاربة داعش لم تكن فقط لحماية الشيعة او المواقع الدينية بل للدفاع عن الوطن وشعبه كما ان داعش تشكل تهديداً للسنة ايضاً"^(٥).

الواضح ان سماحة السيد السيستاني لم يتعامل مع الحشد الشعبي على انه نتاج فتوى الجهاد الكفائي التي اصدرها سماحته. بل عدة حالة وطنية وظروف استثنائية يمر بها العراق لقتال قوى الشر. كما انه لم يذكر ضمن تبنيه لمشروع المقاومة المسلحة بحصر الحشد الشعبي بشيعة العراق، بالاصر منذ اللحظة الاولى على وصف الحشد الشعبي بالحشد الوطني شاملاً بذلك جميع طوائف العراق موسعاً افق الحشد الشعبي من الافق الضيق القاصر على المذهب الى الافق الوطني لجميع العراقيين، لم تشر فتوى الجهاد الكفائي الى ربط الحشد باي طرف ولا حتى بسماحته او أي جهة سياسية او حزبية مؤكداً ربط قوات الحشد الشعبي بالدولة العراقية. وحتى التطوع ضمن صفوف الحشد الشعبي يكون من خلال مؤسسات الدولة الامنية، وهذا ما حدث فعلاً بعد ذلك، اذ ارتبط الحشد الشعبي في البداية بجهاز الأمن الوطني، ثم أصبح مرتبطاً بالقائد العام

للقوات المسلحة^(٦).

اما موقف الولايات المتحدة الأمريكية من قوات الحشد الشعبي وفتوى السيد السيستاني فمنذ اللحظة الاولى لإعلان الولايات المتحدة الأمريكية حربها ضد تنظيم داعش وهي تتابع عن كثب وبمزيد من الترقب ما ستؤول إليه الأوضاع على الأرض في العراق وتحديداً محافظات الشمال والغربية. وهذا الاهتمام بدأ يتحول الى مخاوف بعد تقدم الجيش العراقي في معركته ضد الإرهاب بمساندة الحشد الشعبي، والقيام بتحرير العديد من المناطق العراقية التي سبق ان سيطرة عليها تنظيم داعش فمعركة جرف النصر وديالى، وصلاح الدين التي سجل فيها العراقيون من الجيش والحشد الشعبي اروع ملاحم البطولة والنصر، ما هي الا واحدة من أسباب تلك المخاوف. والمتابع لتصريحات الادارة الأمريكية يرى بدقة ما نقول في محاولة الأخيرة إلى أبرز دورها من خلال التحالف في ضرب أوكار داعش عبر الضربات الجوية: لتضع لنفسها مساحة في الحاق الهزيمة بداعش^(٧).

ان المتابع لزيارة رئيس هيئة الأركان الأمريكية الجنرال مارتن ديمبسي اذا تضمنت جملة

من الامور، أبرزها: كانت ضرورة قيام ما يسمى المستشارين العسكريين الأمريكيين بتدريب الجيش العراقي، إضافة الى تواجدهم في المحافظات التي لا يزال جزء منها تحت سيطرة داعش للحيلولة دون تحريرها، الا تحت سيطرة وإشراف هؤلاء المستشارين لحساسية الموضوع لدى الجانب الامريكي والعراقي، فالجانب الأمريكي اراد ان يحفظ لإدارة اوباما هيبتها وماء وجهها، لان اوباما صرح في وقت سابق من ولايته الأولى، بان انسحابه من العراق كان مسؤولاً لذا فعودة هذه القوات من جديد الى العراق تعبر عن الفشل الذريع وسوء التقدير في قرار الانسحاب. اما الجانب العراقي فوجود قوات اميركية يعني لدى البعض تواجد قوات احتلال أجنبية، مما يعطيهم شريعة المقاومة^(٨).

ثالثاً: رؤية الادارة الامريكية لفصائل الحشد الشعبي

الواضح ان الولايات المتحدة الأمريكية تواجه مشكلة بشأن كيفية التعامل مع التطورات الحديثة للتنظيم الإرهابي داعش فيشير كبير المستشارين في وزارة الدفاع الامريكية انتوني كوردسمان، ان

الجارية بالعراق بعد اجتياح داعش تتبلور الرؤية الأمريكية لفصائل الحشد الشعبي، ومقابل هذا فان الدعم العسكري للقوى المقاتلة في العراق المتمثلة بالمليشيات الشيعية (فصائل الحشد الشعبي) المدعومة من ايران ، سوف يجلب هذا الخيار مجموعة خاصة من المشاكل ، ويؤكد المستشار انتوني كوردسمان ان انخراط هذه الفصائل الشيعية في مكافحة داعش في المناطق السنية مثل تكريت و الانبار سوف يفاقم التوترات الطائفية . فان مضي الولايات المتحدة باستراتيجية وسطية عبر التدريب والمساعدة من جانب والتركيز على الضربات الجوية التي تستهدف داعش من جانب اخر ^(١١) .

وتشير الكاتبة الأمريكية ان الاستقلال الذاتي لقوات الحشد الشعبي عقدت جهود التنسيق بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية فبعض فصائل الحشد الشعبي اختارت التخلي عن القتال بدلاً من التعاون مع الخطط الأمريكية لتوفير الغطاء الجوي للهجوم ، ومن جهتها أصرت الولايات المتحدة على التعاطي والتعامل فقط مع أجهزة الامن الرسمية العراقية وليس مع وحدات الحشد الشعبي في برامج التجهيز والتدريب ^(١٢) .

لدى الولايات المتحدة الأمريكية الآن ثلاثة خيارات من اجل مكافحة داعش ، أما الاستمرار بما تقوم به حالياً بالفعل (الضربات الجوية) او تصعيد حدة المعركة او الانسحاب منها ، فان الرئيس اوباما من جانبه لا يريد اقحام القوات البرية في المعركة ^(٩) .

اما ستيفن بايدل يشير بوجود ثلاثة خيارات للحكومة الأمريكية بالتعامل مع أحداث العراق وهي ^(١٠) :

الاول : ان الخيار الأفضل والأقل خطراً هو توليفة من المساعدات العسكرية المشروطة ، تقوم بالأساس على تشجيع الإصلاحات السياسية في العراق مع مجموعة من مبادرات الاحتواء التي تصمم للحد من انتشار الحرب وتقليل المخاطر التي قد تتعرض لها الولايات المتحدة . اما الخيار الثاني هو الاقتصار على سياسة الاحتواء فقط دون تدخل عسكري مباشر لمساعدة الحكومة العراقية ، اما الخيار الثالث وهو الأقل جاذبية بين البدائل هو المساعدة العسكرية غير المشروطة .

يتبين لنا ان كل هذه الخيارات تنأثر بمسار الحرب الأهلية في سوريا على الحدود الغربية للعراق . وفي خضم هذه الرؤية الأمريكية للأحداث

ان استمرار التنسيق والتعاون على مختلف الأصعدة بين فصائل الحشد الشعبي والجانب الإيراني دفع بعض المستشارين ووسائل الاعلام الأمريكية بتأجيج بان الحرب الطائفية قد عادة من جديد على مشهد الساحة السياسية في العراق لان الشد الطائفي يعد عاملاً مهماً في ظهور مشاكل هذا البلد ، باعتبار تورط ايران الشيعية بدعم الحشد الشعبي في العراق سيفهم من قبل السنة في العراق على انه تورط طائفي صريح ، ومن ثم يزيد ذلك من التوترات الحاصلة ، وبالمقابل فان داعش سترحب بزيادة التورط الإيراني في العراق ، باعتبار داعش تسعى لتأجيج المشاعر ضد الشيعة ، ومن ثم كسب الدعم المحلي والخارجي . فكلما زاد تورط ايران بالشأن العراقي ، كلما زاد استخدام داعش كدعاية ووسيلة للحصول على الاموال والمقاتلين وسيزداد هذا الأثر الاستقطابي اذا لجأت إيران الى تنظيم وتجهيز الفصائل الشيعية ، فهذه الفصائل قد يساعدون في إيقاف تقدم داعش على الأمد القصير ، ولكن تنشيط هذه الفصائل الشيعية قد يهدد بعودة العراق الى الحرب الطائفية .

ويذهب صناع القرار بالادارة الأمريكية بعودة

تساؤلات منها : ماذا لو هزمنا داعش وخسرنا العراق في طور ذلك ؟ . فالفصائل الشيعية التي تحارب التنظيم هي مدعومة من ايران وتمتلك القدرة اللازمة للتغلب على القطاع الأمني في العراق ، مما يؤدي الى تحويل العراق الى وكيل لايران شبيه بحزب الله ، فان المعارك الجارية في العراق سوف تزداد تعقيداً في ظل النفوذ الإيراني . ان انخرط الميليشيات الشيعية على وجه التحديد يشكل خطراً لسبيين^(١٣) :

الاول : هو ان مشاركتها سوف تطيل الحرب على تنظيم داعش . او قد يهدد بتفاقم العداوات الطائفية ، على حد تعبير الناطق باسم وزارة الدفاع الامريكية ، التي تزامنت تصريحاته بعد قرار الحكومة العراقية بدعوة الفصائل الشيعية لتحرير محافظة الانبار السنية^(١٤) .

والثاني : هو انه اذا عملت هذه الجماعات دون رقابة ، سوف تضعف الاستقلال الاستراتيجي الذي يتمتع به العراق وتتخطى هذه الجماعات الحدود القومية وتحظى بدعم إيراني كبير ناهيك عن امتلاكها القدرة على الحلول محل بغداد في احتكارها للقطاع الأمني في العراق ، وتقترح الإدارة الامريكية لابد من العمل مع الشيعة المعتدلين في

القيادة العراقية الذين يدركون خطر هذه الجماعات ، فبعض الوزراء الشيعة يؤيدون وحدة العراق وعدم الرغبة بالنفوذ الإيراني المتزايد^(١٥) .

على الرغم مما ذكر اعلاه تبقى الولايات المتحدة هي التي تتحمل كل ما يجري في العراق ، تنصلها في مساعدة العراق وتفعيل الاتفاقية الأمنية بعد نكسة العاشر من حزيران من العام الماضي ، اذا ابقت نفسها بحكم المتفرج ولم تلتزم بتسليح الجيش العراقي ، مما دفع بالعراق اللجوء الى دول أخرى على غرار ايران وروسيا ، كذلك تتحمل الادارة الأمريكية وحلفائها المسؤولية في اطالة امد الحرب على تنظيم داعش وليس الميليشيات او "الحشد الشعبي" وعدم اقرارها بان الحشد الشعبي له دور كبير في تحرير الكثير من المناطق ، وانه يعمل تحت غطاء المؤسسة العسكرية ، وأصبح جيش رديف يرفد المؤسسة العسكرية العراقية ، ويحل محل القوات الفضائية ، واعتقد ان هناك هالة اعلامية ضخمة يصورها الاعلام العربي والغربي عن قوات الحشد الشعبي بانهم ميليشيات إجرامية ، وبإمكانها ان تحل محل القوات النظامية في قيادة المؤسسة العسكرية وانها تابعة لايران ، متناسين ان فصائل الحشد

الشعبي تشكلت ضمن فتوى المرجعية العليا لسيد علي السيستاني بالجهاد الكفائي المشروطة بتحقيق الغرض والهدف الأساسي هو طرد العصابات التكفيرية من ارض العراق ، مما يعني ان هناك توجيه مركزي بتشكيل هذه الفصائل ، وعند تحقيق الغرض والهدف الذي تشكلت لاجله بإمكان المرجعية اتخاذ عدة توجيهات وتدابير ليجاد حل لهذه الفصائل ، وهذا ما يعرف عن المذهب الشيعي ارتباطه بمرجعياته وقيادته الدينية . إضافة الى ذلك مساعي القيادات العراقية الى تضمين هذه الفصائل ضمن الاطر القانونية والدستورية عبر تشريع قانون الحرس الوطني الذي يعتبر فصائل الحشد الشعبي النواة لهذا التشكيل .

اما بالنسبة للدور الإيراني في العراق ومحاربة داعش لا احد يستطيع ان ينكر هذا الدور وما تقدمه ايران من مساعدات وتقديم الخطط العسكرية اللازمة ، وهذا الدور يدخل ضمن الحملة العالمية لمحاربة تنظيم داعش الارهابي ، اما بخصوص التسليح الإيراني لقوات الحشد الشعبي ، فهو تسليح اعتيادي لم يكن تليحاً على مستوى عالٍ ، قدمت كمساعدة عسكرية مقابل المساعدات التي تلقاها

العراق من الدول الاخرى لأبعاد ذلك الخطر المتنامي ، وهو تسليح يندرج ضمن سياسة توازن القوى لمجابهة تلك القوة التسليحية التي يحصل عليها تنظيم داعش الإرهابي عبر الطائرات المجهولة التي تخترق الاجواء العراقية لالقاء الأسلحة والمساعدات العسكرية على التنظيم ، فضلاً عن ذلك ان الشعب العراقي يرفض ان يكون تابعاً لايران على غرار حزب الله وعلى ما يبدو ان الامريكيين يجهلون ذلك . ولعله بنهاية المطاف قد تلجا الإدارة الأمريكية نحو فصائل الحشد الشعبي للتعامل مع المعارك على ارض الواقع باعتبار لديها دورا واضح في حسم الكثير من المعارك بشرط ان تكون هذه الفصائل مسيطرة عليها من قبل الحكومة العراقية المركزية .

يمكن ادراج بعض الامور التي دفعت بالولايات المتحدة الأمريكية لاعتراضها على قوات الحشد الشعبي :

١ - ابقاء العراق في نفق مظلم من التدهور الامني ليظل العراق بحاجة الى واشنطن في الجانب العسكري والامني .

٢ - المخاوف من انتصار الحشد الشعبي

ليبقى هو القوى الحامية للعراق من دون الرجوع اليها .

٣ - القضاء على داعش بجهود ابنائه سيتيح للعراق فرصة ذهبية ، لانه في ظل الامكانيات البسيط سيهزم داعش ومن يقف خلفه ، ومن ثم سيقفل من الضغط الامريكي على صانع القرار السياسي العراقي الذي مارسه واشنطن منذ دخول العراق في عام ٢٠٠٣ .

رابعاً : موقف الإدارة الأمريكية من تحرير مدينة تكريت

بعد تواصل الانتصارات ضد تنظيم داعش الإرهابي بتحرير الأراضي التي سيطر عليها التنظيم بشهر حزيران من العام الماضي وخلال الهجوم على مدينة تكريت في شهر اذار من هذا العام امتازت قوات الحشد الشعبي والقوى الأمنية العراقية بتفوق نوعي وعددي واضح ، فيما حاولت الإدارة الأمريكية بالضغط على الحكومة العراقية بأبعاد الحشد الشعبي من معركة تكريت شريطة تقديم واستمرارية الدعم السياسي والعسكري للحكومة العراقية ، مما دفع بالحكومة العراقية الاستجابة للجانب الأمريكي

بتدخل التحالف الدولي لضرب مركز مدينة تكريت حتى يكتب لها النصر وتحفظ ماء الوجه في ذلك التحرير وتستبعد فصائل الحشد الشعبي من ذلك النصر الذي كان وشيكاً ، بعد ان طلبت الحكومة العراقية من فصائل الحشد الشعبي بعدم دخول مركز المدينة .

يشير جيمس جيفري السفير الامريكي السابق في العراق ، حول موقف الإدارة الأمريكية بخصوص عملية تحرير مدينة تكريت بأنه قرار صائب للإدارة الأمريكية بشن غارات جوية على مدينة تكريت والتنسيق الميداني والاستشاري العالي بين الألوية العسكرية التابعة للقوات الامنية ، فان ذلك لم يكن قراراً سهلاً ، لان المليشيات (الحشد الشعبي) المدعوم من ايران هم جهات بارزة في معركة تكريت ، ونظراً الى الوضع المأساوي الذي تعاني منه مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط والناجم عن سياسات واشنطن ، لم يعد بإمكان امريكا اتخاذ قرارات سهلة في المنطقة^(١٦) .

وتزامناً مع دخول قوات الحشد الشعبي لمدينة تكريت ، أسرعت الماكينة الأمريكية للإثارة الإعلامية ، حيث نشرت صحيفة ميدل إيست

اونلاين تصريحات ، لرئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة مارتن ديمبسي ، معبرا فيها عن قلقه بشأن الكيفية التي سيتم بها معاملة السنة ! . كأنه للتغطية على الموقف الأمريكي الغريب ، باكتفائها بالمراقبة ، من دون تنفيذ إعلانها عن محاربة داعش . و بقيام القوات الأمنية العراقية المدعومة بفصائل الحشد الشعبي بعملية تحرير محافظة صلاح الدين مركزها مدينة تكريت ، أخذت الولايات المتحدة الامريكية موقف المتفرج عبر اعلان وزارة الدفاع الامريكية عدم قيامها بتقديم الدعم لتلك العمليات ، فان غياب الولايات المتحدة الامريكية عن القتال في المحافظة المذكورة يؤكد لنا التأثير القليل بمحاربة تنظيم داعش في العراق ، فقد وصف المسؤولون الأمريكيان تلك العملية بالمفاجأة الصغيرة وتساءلوا عن مدى تأثير ودور قادة الحرس الثوري الإيراني في هذه العملية ، لكن الأكثر أهمية هو اتهام الإدارة الامريكية ، بان قوات الحشد الشعبي تورطت في حملة تهريب وترويع ضد السنة المشتبه بتعاطفهم مع تنظيم داعش الارهابي ، وبسبب العلاقة بين الحكومة العراقية والحشد الشعبي فسر ذلك على انه محاولات متعمدة لترويع اهل السنة وربما تهجيرهم^(١٧) .

وتنقل صحيفة التايمز عن مراقبين قولهم إن نشر قوات الحشد الشعبي، ذات الأغلبية الشيعية، يصب في صالح تنظيم "داعش"، الذي يسعى لإشعال صراع طائفي في المنطقة. وتضيف الصحيفة أن ثلثي قوات الحشد الشعبي، يتلقون دعماً مباشراً وتمويلاً وإمداداً من إيران، وأن الاعتماد على هذه القوات فاقم مشاعر تغرب أهل السنة إزاء الحكومة المركزية وربما حتى دفعهم أكثر إلى أحضان تنظيم داعش الإرهابي، ثم أطلقت الاعتبارات الجيوسياسية برأسها لتفاقم مثل هذه المخاوف، ففي حين أصبحت الحكومة المركزية العراقية معتمدة أكثر على إيران.

ومع استمرار العمليات العسكرية قدم مدير الاستخبارات الأمريكية تقريراً إلى لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس الأمريكي حول إحداث العراق ومعركة مدينة تكريت، وما ستؤول إليه الأوضاع في العراق، فقد ضمن التقرير أن إيران مستمرة في ممارسة نفوذها على الفصائل الشيعية في العراق لاستهداف تنظيم الدولة الإسلامية الإرهابي والقضاء عليه، وينقل عن كالبير أن ما عمله إيران ينسجم مع أهداف الولايات المتحدة الأمريكية

وهي القضاء على داعش، وطالما إيران والولايات على خطوط موازية في الوقت الحاضر. فان إيران ستعمل بكل ما باستطاعتها للسيطرة على جميع الفصائل الشيعية^(١٨).

ولخص الجنرال ديمبسي رئيس هيئة أركان الجيوش الأمريكية المشتركة المشهد العراقي الحالي في تصريح أدلى به أثناء زيارته الأخيرة إلى بغداد تزامناً مع عملية تحرير مدينة تكريت قال فيه، أنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تكون قوة جوية لحساب الميليشيات الشيعية، أو لطرف شيعي في معركته ضد العرب السنة، لأنه سوف يدفع حتماً إلى التحاق المزيد من السنة، الساخطين على التعاون الشيعي الأمريكي، بصفوف الدولة الإسلامية، ويؤدي إلى المزيد من العزوف عن قتالها. وهذا التعاون الأمريكي مع الميليشيات الشيعية سيقوض جهودها في قتال الدولة الإسلامية، حيث إن بعض العشائر السنية التي كان بعض قياداتها المعارضة للحكومة، والتي ترغب في قتال الدولة الإسلامية، قد بلغت الولايات المتحدة، بأنها لن تشارك في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية دون أن يكون هناك قتال مماثل للميليشيات الشيعية التي تُعتبر أخطر منه^(١٩) وقد حذر الجنرال باتريوس هذا حذر في

مقابلة مع صحيفة "واشنطن بوست" ان الخطر الحقيقي على العراق يأتي من ميليشيات "الحشد الشعبي" المدعومة من ايران وليس من تنظيم "الدولة الاسلامية"، وقال ان هذه الميليشيات متهمه بارتكاب جرائم حرب وقتل المدنيين السنة وليس "الدولة الإسلامية" وحسب، وقال ان تناميها ونفوذها قد يجعل الحكومة العراقية عاجزة عن السيطرة عليها في المستقبل القريب .

التأمل بعمق في هذين التصريحين لجنرالين أمريكيين كانا رأس حربة في مخطط احتلال العراق وإطاحة نظامه، وإيصاله الى الفوضى الدموية التي يعيشها حالياً، يمكن ان يعطينا أرضية قوية لاستقراء المستقبل المظلم لهذا البلد والأسباب التي أدت حتى الآن الى عدم تحرير الأراضي العراقية الواقعة تحت سيطرة تنظيم داعش وهزيمة قوات "الدولة الإسلامية" المسيطرة عليها وإخراجها منها . كما تصور لنا الإدارة الأمريكية ان عملية حسم معركة مدينة تكريت قد اقتضت على الدعم اللوجستي والاستشاري للإدارة الأمريكية المقدم للحكومة العراقية هو الذي غير المعادلة في الصراع ضد تنظيم داعش، ولكن على الرغم من كل هذا ان النصر في

تكريت بالحقيقة يعود الى بسالة القوات الأمنية والحشد الشعبي وابناء العشائر ولو بقيت الحكومة العراقية تراهن على الدعم العسكري واللوجستي الأمريكي فقط لن تتحرر تكريت لحد الآن .

أما بخصوص الحد من دور ايران في العراق ينبغي ان يكون هناك دور يفوق الدور الإيراني في الدعم العسكري واللوجستي للحكومة العراقية سواء من قبل الولايات المتحدة او من قبل الحكومات الغربية وحلفاءها ويجب ان تقتصر على المساعدات لمحاربة تنظيم داعش، وليس التدخل في الشأن الداخلي وحتى الدور الإيراني في العراق حالياً يعتبر ايجابياً لحد هذه اللحظة في الحرب على تنظيم داعش الإرهابي .

أن أكثر ما نخشاه ان تكون أمريكا تقف مع هذا الطرف تارة، والطرف الآخر تارة أخرى، في حروب المنطقة ومن اجل استمرار النزيف الدموي والمالي للجميع، عربا كانوا ام إيرانيين، سنة كانوا ام شيعة، بالامس حشدت العالم كله ضد "الدولة الاسلامية"، واليوم تحذر من خطر "الحشد الشعبي"، وبالامس حذرت من الملف النووي الايراني، واليوم تتعايش معه، وكذلك فعلت مع عراق صدام حسين، حيث تحالفت معه ثم انقلبت عليه .

الخاتمة والاستنتاجات :

أولاً: تحتاج واشنطن الى الاعتراف بان سياساتها ساهمت في نهوض الجماعات التكفيرية مثل جبهة النصرة وتنظيم داعش في سوريا وعودة التنظيم الاخير الى العراق ، فالتقاعس الامريكي في ظل الحرب والظروف في سوريا ، والتصور المنتشر في المنطقة بان الولايات المتحدة الامريكية واقفه ضمناً في صف ايران والواقع بان اولى الضربات العسكرية الأمريكية للتحالف الدولي في العراق كانت تهدف الى انقاذ الايزيديين والاكرد ، باستثناء العرب السنة وهذا ما دفع الى زيادة مستوى التجنيد بالنسبة للحركات التكفيرية سواء من داخل العراق او من الخارج .

ثانياً: أيضاً لا نعتقد ان المخطط الامريكي في القضاء على “الدولة الاسلامية” يملك الكثير من فرص النجاح في ظل هذا التخبط الذي نراه ، وحتى وان حقق نجاحا فانه سيكون بطيئاً ومكلفاً ، وجزئياً ، وسيؤدي الى خلق بدائل لا تقل خطورة عن الخطر الاساسي ، اي ان اعراض المرض ستصبح اكثر خطورة على الجسمين العراقي والعربي من المرض نفسه في ظل هذا الطبيب الساذج المتخبط .

ثالثاً: إن الإدارة الأمريكية تسعى إلى تحجيم دور الحشد الشعبي في العراق خوفاً من ان يهدد

توازن القوى الاقليمي الحالي الضامن للولايات المتحدة مصالحها الحيوية في المنطقة بغية ضمان عدم حدوث أي تغير في ميزان القوى الإقليمي ، فنجدها تتحجج تارة بان المكون السني في العراق يخشى الحشد الشعبي ومحاولة عدم إشراكه في تحرير المناطق السنية مع تقديم مقترحات متعددة للقضاء على تنظيم داعش ، منها لا بد من تحديد السنة المعادين للدولة الإسلامية وتزويدهم بالسلاح لمقاتلة التنظيم فهي تريد ضمان توازن قوى أيضاً . ولكن هذا النهج لم يحرز نجاح من اجل القضاء على داعش ، بالمقابل ان فصائل الحشد الشعبي في الفترة الاخيرة اصبح يحظى بالتأييد العريض من قبل الجماهير السنية في العراق ، الذي يقاوم تنظيم داعش ، وتارة اخرى نجد الولايات المتحدة الامريكية ، تتهم وتشكك بوطنية الحشد ، بسبب اعتماد العديد من فصائله على ايران فيما يتعلق بالتسليح والتجهيز متناسية بانها تعمدت عدم الوفاء بالتزاماتها حيال تسليح وتجهيز العراق وتأهيل قواته الأمنية وفق اتفاقية الاطار الاستراتيجي .

رابعاً: هناك مخاوف لدى فصائل الحشد الشعبي ان يكون هناك خلط للاوراق في الحرب

على داعش ، مما قد نشهد تفاوض مع داعش من قبل الجانب الامريكى او بعض الاطراف العراقية التي مازالت ترجح هذا الخيار ، وان تنظيم داعش لديه الاستعداد لتقمص أي دور في سبيل التخلص من الهزيمة التي قد يقع بها بالمستقبل .

خامساً: ان الانتصار على تنظيم داعش الارهابي يستلزم قيام العراق بقواته الامنية والتحالف الدولي بالتحرك استناداً الى تقييم نقاط القوة والضعف ، ومن اجل تحقيق النصر يتعين على القيادات السياسية في العراق و القوات الامنية وفصائل الحشد الشعبي ان تغير فكرة انها تخدم اجندة سياسية طائفية لكي نضمن استقرار وعدم تجزئة العراق .

الهوامش :

[١] ينظر الى صحيفة الاهرام المصرية ، خطة امريكية لدعم الارهاب واسقاط الجيوش العربية في الشرق الاوسط ،

<http://goo.gl/4hex5t>

[٢] المصدر نفسه

[٣] بين كونايل ، هزيمة داعش في العراق ، ترجمة وتلخيص لقاء حامد ، مقال منشور على موقع مركز كربلاء للدراسات الاستراتيجية ، شهادة مقدمة امام مجلس الشيوخ الامريكى ، مؤسسة راند .

[٤] ستيفن بايدل ، تقييم الخيارات الامريكية في العراق ،

سادساً: اما تحرير مدينة تكريت ، فاعتقد انه من السذاجة ان يتحدث الامريكان عن النصر الذي حقق في تحرير هذه المدينة وانهم الحقوا الهزيمة بتنظيم داعش ، فتحرير مدينة تكريت ومدنها انما تحقق بفعل العمليات التي شاركت بها القوات الامنية العراقية والحشد الشعبي وابناء العشائر . ومن هنا كانت محاولات الامريكان تسجيل نصر تكريت باسمهم ، وابعاد القوات العراقية عنه ، كي لا يقتنع صانع القرار السني بعمليات التحرير المشتركة ، ولهذا حاولوا ان يشوهوا صورة الحشد الشعبي بعد عملية تحرير تكريت . وبذلك ليس غريباً ان يخرج علينا مشروع امريكى يدعم السنة بشكل مستقل .

ترجمة وتلخيص ، د . علي احمد ، مركز كربلاء للدراسات الاستراتيجية ، تقرير مقدم امام لجنة الخدمات المسلحة في الكونغرس الامريكى .

[٥] حيدر الخوئي ، هل تستطيع داعش الاستيلاء على عاصمة العراق ، مقال منشور ومترجم على الرابط :

www.goo.gl/h5o541

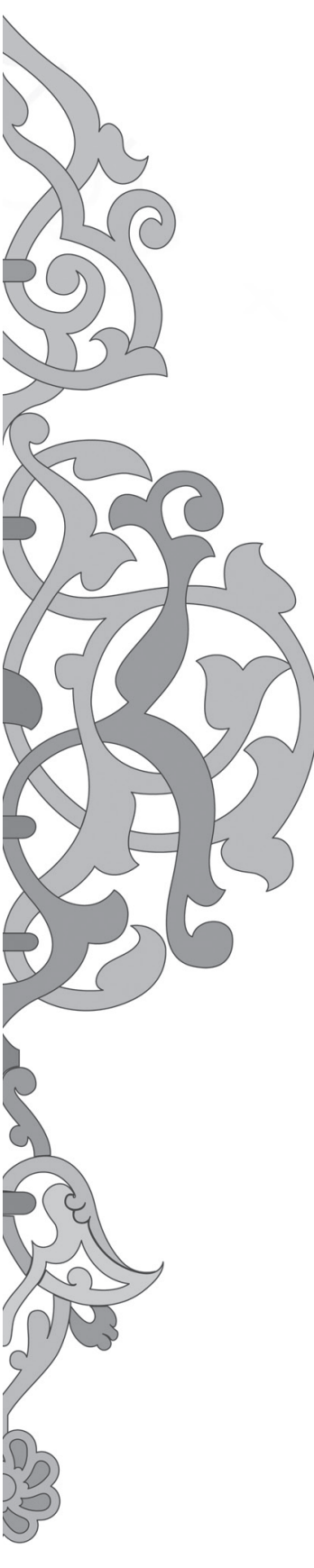
[٦] علي فارس حميد ، مازق العراق - تعقيدات الحرب على داعش والتوازنات الإقليمية ، مركز المستقبل للدراسات والبحوث ، مقال منشور على الموقع :

- [١١] المصدر نفسه .
- [١٢] ريفا بهالا ، المصدر السابق .
- [١٣] جيمس جيفري ، الدعم الجوي الأمريكي لتكريت هو القرار الصائب ، نشر وترجمة ، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ، على الموقع :
- [١٤] راجع الموقع : <http://www.albawaba.com/ar>
- [١٥] انتوني كوردسمان ، المصدر السابق .
- [١٦] جيمس جيفري ، المصدر السابق ،
- [١٧] راجع الموقع : <http://www.albawaba.com/ar>
- [١٨] انتوني كوردسمان ، المصدر السابق .
- [١٩] ساينز مونيتو ، كيف ساعدت إيران العراق في حربه ضد داعش ؟ ترجمة احمد علاء ، جريدة المدى ، ٢٠ أيار ٢٠١٥
- www.almadepaper.net
- <http://www.mcsr.net/news٥٤>
- [٧] ريفا بهالا ، الحسابات الإقليمية تجاه سيطرة داعش على مناطق عراقية ، عرض طارق راشد عليان ، السياسة الدولية ٢٠١٥ .
- www.siyassa.org.eg
- [٨] نقلا عن : شبكة اخبار العراق ، النيويورك تايمز : فساد المؤسسة العراقية وراء سقوط المدن العراقية ، مقالة منشورة بتاريخ (٢٥-١١-٢٠١٤) على الموقع :
- <http://www.aliraqnews.com/%d%٨٥%٩d%٨٨%٧d%٨٨%٨>
- [٩] انتوني كوردسمان ، الهدف الاستراتيجي الحقيقي في العراق وسوريا كيف يمكن تحقيق الاستقرار الدائم ؟ ترجمة حسين باسم عبد الامير ، مقال منشور على موقع مركز كربلاء للدراسات الاستراتيجية .
- [١٠] المصدر نفسه .

الدِّراسَاتُ الْفِكْرِيَّةُ

❖ الدَّلِيلُ الْإِسْتِقْرَائِيُّ فِي بَحْثِ الْكَلَامِيِّ الْجَدِيدِ

❖ الْوَعْيُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ الْمَفْهُومِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى الْمَفْهُومِ الْفِكْرِيِّ



الدليل الاستقراي في البحث الكلامي الجديد

❖ د. أسعد بن علي قيدارة (*)

(*) باحث وكاتب من تونس.

المجددون الحقيقيون عادة بطرح مفاهيم جديدة وتصورات غير مسبقة ومضامين مستحدثة وفق ما تحتاجه الساحة الفكرية أو على أساس عملية استشرافية لمعالم المستقبل وتحديات التقدم الانساني .

بل إن هؤلاء المجددين يحدثون نقالات منهجية تحقق قفزة نوعية وربما تحدث تحولات معرفية كبرى تمكن الاجيال من النظر إلى المسألة من منظور جديد مختلف عن كل الاساليب التي سلكها الأولون .

إن كبار المجددين من العلماء والفلاسفة في كل ميدان هم الذين استطاعوا فعلا إحداث مناهج جديدة لا الذين أتوا بمعارف مبتكرة فقط .

ففي مجال الفلك ما كان (لكوبرنيك) أن يعرف هذه الشهرة لولا القطعية المعرفية التي أحدثها مع النظرية الفلكية القديمة وطرحه رؤية جديدة . . . و

(ديكارت) في مجال الفلسفة ما كان ليصبح علماً بارزاً وعلامة لمرحلة جديدة في تاريخ التفكير الفلسفي لو لم يكن صاحب منهج جديد . . . وكذلك (انشتاين) في الفيزياء لولا ثورته الكبرى على فيزياء نيوتن وتأسيسه لنظريته النسبية التي قلبت الفيزياء رأساً على عقب . . .

وفي هذا السياق وفي مجال البحث العقائدي يتجلى إبداع (محمد باقر الصدر) في القدرة على الانتقال بعلم الكلام نقالات منهجية كبرى من شأنها ان تسهم في أرساء أسس جديدة لعلم عقائدي جديد .

لقد التفت إلى هذه القدرة الإبداعية للصدر (شبلي ملاط) في دراسته تجديد الفقه الإسلامي حيث يقول (لقد اكتشفنا في كتابات باقر الصدر وأقواله نظاماً يستمد قوته كما كل النظم لا من الاجابات المحددة القادرة على توفرها وانما من

المجالات التي يفتحها^(١) .

وباستقراء الانتاج الكلامي والعقائدي للسيد محمد باقر الصدر المبعوث هنا وهناك في أكثر كتبه يمكن ان نستكشف : خمس نقلات منهجية أساسية :

أولاً : من المنطق الأرسطي إلى المذهب الذاتي .

ثانياً : من الاتجاه التجزيئي إلى المنهج الترابطي الموضوعي .

ثالثاً : من النزعة الثبوتية إلى المنهج التكاملي .

رابعاً : من عقيدة الفرد إلى عقيدة المجتمع .

خامساً : من المذهبية الجدلية إلى الإنسانية اليقينية .

النقلة المنهجية الأولى :

من منطق أرسطو إلى المذهب الذاتي

في كتاب فلسفتنا تبني باقر الصدر النظرية الارسطية في المعرفة حيث سلّم بالبديهيات الست وضرورة مبدأ العلية ومسألة : بداهة الواقع الخارجي لكنه لم يكن ليقف في حدود منطق أرسطو الذي

حكم إلى حد ما تراثنا الفكري وخاصة الكلامي الذي تأثر بالمباحث المنطقية والفلسفية إثر ترجمة التراث اليوناني . واتخذ طابعاً جديلاً وتطرف أحياناً كثيرة في ملاحقة إشكالات الفلسفة والمنطق الارسطي حتى سقط في التجريد المطلق والبحث عن شبهات افتراضية أكثر منها واقعية لا ثمرة عملية من ورائها .

لكن باقر الصدر لم يستسلم للهيبة التاريخية للمنطق الأرسطي رغم كل التعديلات التي أدخلها عليه المفكرون الإسلاميون وقطع مع هذا التراث الطويل بأطروحاته المتميزة : الأسس المنطقية للاستقراء والذي قال عنها باقر الصدر نفسه . . أنها استطاعت أن تملأ فراغاً كبيراً في نظرية المعرفة البشرية لم يستطع الفكر الفلسفي أن يملأه خلال ألفي سنة^(٢) .

ليس كتاب الأسس المنطقية للاستقراء ، كما قد يوحي عنوانه دراسة لمشكلة الاستقراء فحسب وحل لقضية التعميم الاستقرائي وإنما هو أطروحة لنظرية معرفية جديدة أسماها باقر الصدر : المذهب الذاتي في المعرفة : إنه مذهب ثالث مقابل المذهب التجريبي والمذهب العقلي ولمعرفة تمايز هذا المذهب لا بأس أن نقارن بين هذا الاتجاه الجديدة

وبين هذين المذهبين الكبيرين . وسنحرر هذه المقارنة في النقاط التالية :

أولاً : تحديد مصدر المعرفة : فالمذهب الذاتي يتفق مع المذهب العقلي حول وجود قضايا وإدراكات قبلية التي تمثل أساساً يقوم عليه البناء الفوقي للمعرفة .

ثانياً : يختلف مع المذهب العقلي في الأساس المنطقي للتعميم الاستقرائي . فالمذهب العقلي يستند في هذا التعميم إلى مبادئ ثلاثة : مبدأ السببية ومبدأ عدم تكرّر الصدفة باستمرار ومبدأ : ان الحالات المتشابهة من الطبيعة تؤدي إلى نتائج متماثلة ويعتقد هؤلاء أن هذا المبدأ مستقل عن التجربة ومستقل برهانياً عن مبدأ السببية ومن نقطة الخلاف هذه حول رجوع الاستقراء إلى القياس حسب المنطق العقلي ينطلق باقر الصدر ليشيد نظريته في المعرفة .

ثالثاً : إن المذهب العقلي يؤمن أساساً بالتوالد الموضوعي في المعرفة والقياس هو العمدة في الاستدلال وحتى الاستقراء يرجع في الأخير إلى قياس صغراه الملازمة بين ظاهرتين كما تعكسها ملاحظتنا وكبراه ان الصدفة لا تتكرر باستمرار .

والتلازم الموضوعي يعني أنه اعتماداً على التلازم بين قضية وأخرى . أو بين قضية ومجموعة قضايا أخرى يمكن أن تحصل معرفتنا بتلك القضية من معرفتنا بالقضية أو القضايا التي تستلزمها . مثال ذلك من قولنا : (سقراط إنسان) و (كل إنسان فان) نستنتج ان (سقراط فان) فهذا توالد موضوعي لأنه ناشئ عن التلازم بين الجانب الموضوعي للمقدمات والجانب الموضوعي للنتيجة . (فالتوالد الموضوعي هو الأساس في كل استنتاج يقوم على القياس الارسطي لان النتيجة دائماً ملازمة للمقدمات على أساس التوالد الموضوعي والتلازم بين القضايا المستدل بعضها على البعض الآخر بصورة قياسية)^(٣) .

أما التوالد الذاتي الذي يعتقد المذهب الذاتي أنها الطريقة التي تحصل بها أكثر معارفنا فهي تؤمن بأنه يمكن أن تنشأ معرفة جديدة انطلاقاً من التلازم بين الجانبين الذاتيين للمقدمات والنتائج دون تلازم في الجانبين الموضوعيين والمقصود من الجانب الذاتي الادراك . في حين ان المنطق الارسطي يعتبر أن هذا التلازم الذاتي دون تلازم في الجانب الموضوعي غير كاف للانتقال إلى النتيجة وهكذا

حاول المنطق الأرسطي أن يفسّر كل معارفنا بأنها إما أن تكون أولية أو أنها مستنتجة على أساس التوالد الموضوعي . أما المذهب الذاتي فيؤمن : بوجود معارف أولية تمثل الجزء العقلي

القبلي من المعرفة (مبدأ عدم التناقض) . وأن هناك معارف ثانوية مستنتجة على طريقة التوالد الموضوعي (مثال ذلك نظريات الهندسة التقليدية والمستنتجة من بديهيات تلك الهندسة) وهناك معارف ثانوية مستنتجة من معارفنا السابقة بطريقة التوالد الذاتي (التعميمات الاستقرائية) وهي تهم أكثر معارفنا .

ولا يتوهم أن المذهب الذاتي يتفق كلياً مع المذهب الارسطي في المعارف القبلية .

إنهما يتفقان من حيث المبدأ والاقرار بوجود هذه المعارف القبلية ولكنهما يختلفان من جهتين :

أ - طبيعة المعارف الأولية .

ب - ضرورة كونها يقينية .

في الجهة الأولى يناقش باقر الصدر في أطروحته الرائدة (الاسس المنطقية للاستقراء) البديهيات التي آمن بها المنطق الارسطي والتي أرجعها إلى ست : يقول الصدر (ان القضايا التجريبية

والحدسية والمتواترة والمحسوسة كلها قضايا استقرائية تقوم على أساس تراكم القيم الاحتمالية في محور واحد وتبعاً للمرحلتين التي حددتهما للدليل الاستقرائي^(٤) ولا بدّ من الإشارة هنا أن باقر الصدر يفرق بين الحس الظاهر والحس الباطن ويرى أن قضايا القسم الأخير أولية وما نفى بدهته هو الحس الظاهر : (ولا شك في أن القضايا المطلوب اثباتها بالحس الباطن أولية لأن الإنسان في هذا القسم من الإدراك الحسي يتصل بصورة مؤكدة بمدلول القضية المطلوب إثباتها بهذا الحس مباشرة وأما القضايا المطلوب اثباتها بالحس الظاهر فهي تختلف عن قضايا الحس الباطن لأننا بالحس الظاهر نريد أن نثبت الواقع الموضوعي أي أن هناك حينما أرى البرق برقاً موضوعياً موجوداً بصورة مستقلة عن إدراكي وهذا لا يكفي فيه الاتصال المباشر بالمحسوس في حالات الحس الظاهر^(٥) .

أما القضايا الأولية والفطرية التي تمثّل البقية الباقية على لائحة البديهيات الارسطية التي يدركها العقل مستقلاً عن الحس والتجربة . فإن باقر الصدر وإن كان لا ينكر قبليتها لكنه يثبت أنه بالامكان الاستدلال عليها بطريقة الاستقراء .

إن باقر الصدر لا يستثني في إمكان الاستدلال استقرائياً على (البديهيات) إلاّ مبدأ عدم التناقض وبديهيات نظرية الاحتمال (وفيما نؤكد أن بالامكان تطبيق الاستدلال الاستقرائي على كل الاوليات الارسطية إلاّ في حدود هذين الاستثنائيين (ما سبق الإشارة إليهما) لا نعني بذلك ان تلك القضايا استقرائية فعلاً وليست قبلية وإنما نعني ان بالامكان نظرياً أن نفسرها على أساس الطريقة التي حدّدناها للاستدلال الاستقرائي ولا ينفي هذا ان تكون قضايا أولية قبلية ^(٦)، وتعليل هذا الاستثناء للمبدأين المشار إليهما يرجع إلى أن مبدأ عدم التناقض لا بدّ ان يفترض ثابتاً وإلاّ لما أمكن للطريقة الاستقرائية ان تقوم لها قائمة لأنه لا يمكن حينئذ ان تجمع القيم الاحتمالية على محور واحد لأن هذا المجتمع على محور واحد يعني نفي نقيض كل قيمة احتمالية وهذا لا يتحقق إلاّ إذا قبلنا باستحالة اجتماع النقيضين أما إذا قبلنا باجتماع النقيضين وأنكرنا مبدأ عدم التناقض فلا يمكن تجميع القيم الاحتمالية على محور واحد . وأما استثناء كل المصادر التي يحتاجها الدليل الاستقرائي بما فيها بديهيات نظرية الاحتمال فواضح . . أما الجهة الثانية

فنبحثها في النقطة الرابعة الآتية .

رابعاً: إن المذهب الذاتي لا يشترط أن تكون المعرفة الأولية يقينية : فهو يرجع بداية المعرفة إلى قسمين : أحدهما : المعرفة التي تفرضها بديهيات نظرية الاحتمال . والآخر : نفس الخبرة الحسية بالموضوعات فنحن حين نشاهد سحاباً في السماء تعتبر مشاهدتنا خبرة حسية والسحاب في السماء هو موضوع هذه المشاهدة ومعرفتنا بالمشاهدة نفسها معرفة ابتدائية أولية وليست مستدلة وأما معرفتنا بوجود سحاب في السماء فهي معرفة مستدلة بطريقة استقرائية ومع تمسك المذهب الذاتي بوجود بداية للمعرفة حتى لا يلزم التراجع إلى ما لا نهاية . لا يقر بأن تكون هذه البدايات ضرورية ويتصور المذهب الذاتي المعرفة الأولية احتمالية في مجالين : المجال الأول : مجال الخبرة الحسية والثاني مجال القضايا العقلية الأولية التي يكون ثبوت المحمول فيها للموضوع ثبوتاً مباشراً دون حدّ أوسط . هذه القضايا التي لا يمكن اثباتها باستنباط عقلي قد تكون متقدمة بدرجة عالية من التصور وكذلك بدرجات أقل (وما دامت بعض المعارف الأولية بالامكان ان تحصل بقيم احتمالية في البداية فمن الممكن تنمية

هذه القيم الاحتمالية وفقاً لنظرية الاحتمال فكلما وجدت احتمالات تتضمن تلك المعرفة الأولية ازدادت قيمتها الاحتمالية^(٧).

هذا تمام الكلام في تحديد الفوارق بين المذهب العقلي والمذهب الذاتي أما أهم الاختلافات بين الأخير والمذهب التجريبي فهي:

أولاً: إن المذهب الذاتي كما رأينا يؤمن بمعارف عقلية قبلية في حين ينكر التجريبيون كل معرفة غير نابعة من الحس والتجربة فهم يعتقدون أن التجربة هي الأساس العام الوحيد الذي يمون الانسان أي معارف قبلية بصورة مستقلة عن التجربة وحتى ما يبدو في أعلى درجات التأصل في النفس البشرية قضايا الرياضة والمنطق نظير (١ + ١ = ٢) يرجع في التحليل إلى التجربة التي عاشها الإنسان على مر الزمن^(٨).

وفي ضوء ذلك فإن بدايات المعرفة عند التجريبيين جزئية فلا مجال لتلقي بقضية كلية تتجاوز نطاق الخبرة الحسية المباشرة.

ويناقش الصدر المذهب التجريبي في قاعدته هذه مناقشة تقضح تهافتها: (يلاحظ إلى جانب ذلك تهافتاً منطقياً في إيمان التجريبيين بمذهبهم القائل

إن التجربة هي المصدر الأساسي لكل المعارف البشرية لأن هذا القول نفسه قضية يعمم فيها الحكم على كل معرفة فهل هذه القضية مستمدة من مصدر قبلي بصورة مستقلة عن التجربة أو أنها مستمدة من التجربة كأى قضية أخرى؟ فإن افترض المذهب التجريبي أنها مستمدة من مصدر قبلي فقد اعترف على هذا الأساس بكذبها وبوجود معرفة قبلية وإن افترض أنها تقوم على أساس التجربة والخبرة الحسية فيجب أن يعترف بأنها قضية محتملة فقط ولا يمكنه أن يؤكد تأكيدها كاملاً لأنه يرى أن أي تعميم لمعطيات الخبرة والتجربة لا يمكن أن يحظى إلا بدرجة احتمالية من التصديق وهذا يعني أن التجريبيين يحتملون أن المذهب العقلي على حق^(٩).

ولذلك فإن المذهب التجريبي يتحير في ضبط الفوارق بين قضايا العلوم الطبيعية وقضايا الرياضيات ففي النوع الأول لا يستطيع المذهب التجريبي أن يبرر التعميم الاستقرائي لأنه كما بين الصدر هذا التعميم قائم على أساس مصادرات حساب الاحتمال وهذا ما لا يعترف به المذهب التجريبي. ومن جهة أخرى: إن أي موقف يتخذه

المذهب التجريبي للتمييز بين قضايا الرياضيات والقضايا الطبيعية يكون محرراً له : فإن أقر بأن هناك فوارق وأن قضايا الرياضة لها امتيازها الخاص وتعيينها فإن هذا لا يمكن التسليم به إلا على أساس أنها ليست استقرائية وأنها عقلية قبلية .

وإن أنكر التمايز بينها فإن هذا خلاف الوجدان وثبوت الاختلاف بين النوعين من القضايا إذ (أن اليقين بالحقيقة الرياضية يصل منذ اللحظة الأولى من إدراكها إلى درجة كبيرة لا يمكن تجاوزها بينما نجد اعتقادنا بالقضايا الطبيعية يزداد باستمرار كلما تظافت التجارب وأكدت صدق القضية وموضوعيتها)^(١٠) .

ثانياً : هذا الفارق الأول وأما الفارق الثاني إن قضايا الرياضة والمنطق تبدو يقينية بدرجة لا يمكن أن نتصور إمكان الشك فيها بينما يمكن أن تشك في القضايا الطبيعية مهما كنا متأكدين من صدقها .

وثالثاً : إن قضايا العلوم الطبيعية لا تتجاوز حدود التجربة بمعنى إذا تصورنا عالماً آخر غير عالمنا فإن هذه القضايا ليست بالضرورة صادقة هناك .

ولكن القضايا الرياضية والمنطقية تتجاوز كل عالم نتصوره ف $1 + 1 = 2$ صحيحة في أي عالم

نتصوره فالتعميم يتعدى العالم الذي نعيشه .

لما واجه المذهب التجريبي هذه المشكلة (التفريق بين القضايا الرياضية والقضايا الطبيعية) اضطر إلى قبول نفي الفوارق وصارت حينئذ المعارف الرياضية احتمالية وثبت بذلك فشل المذهب التجريبي في تفسير المعرفة البشرية . من هنا حاول المنطق الوضعي تفسير الفروق بين هذين النوعين من القضايا (الرياضية والطبيعية) على أساس التفريق بين القضايا الإخبارية والقضايا التكرارية ، فالقضية الإخبارية كل قضية تمنحنا علماً جديداً ويكون وصف الموضوع بوصف ما غير مستبطن في الموضوع نفسه ، أما القضية التكرارية فهي القضية التي لا تضيف علماً جديداً بل يكون المحمول تكرر لعناصر الموضوع بعضها أو كلها : وهكذا فالقضايا الرياضية ترجع إلى القضايا التكرارية والقضايا الطبيعية إخبارية . وإن كان الوضعيون ميزوا بين قضايا الرياضة البحتة والقضايا الرياضية التطبيقية من قبل هندسة اقليدس فالأخيرة إخبارية أما الرياضية البحتة فهي تكرارية وكذلك يقينية لأنها خالية عن الإخبار .

وناقش (باقر الصدر) هذه المحاولة بأن افترض كون القضايا الرياضية البحتة تكرارية كلها لا

يكفي لحل المشكلة ولأنه يبقى السؤال قائماً: لماذا اليقين والضرورة في القضايا التكرارية؟ ويركّز الصدر على مبدأ عدم التناقض الذي هو أساس الضرورة واليقين في القضايا التكرارية فكيف يفسّر المذهب الوضعي الضرورة واليقين في نفس هذا المبدأ من الطبيعي انه لا يمكن تفسير المبدأ إنه قضية تكرارية لأن المبدأ لا يعبر عن نفسه بقضية إخبارية فهو يحكم بالاستحالة: (اجتماع النقيضين مستحيل وهذه الاستحالة لا تستخرج من نفس مفهوم اجتماع النقيضين لأنها ليست من عناصر هذا المفهوم)^(١١).

ولم يكتف المذهب الوضعي بالقول بأن التجربة والحس هي المصدر الوحيد للمعرفة بل ذهب إلى أن القضية التي لا تخضع للخبرة الحسية ليست فقط غير ممكنة الاثبات بل هي ليست قضية من الناحية المنطقية فلا يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب وعلى هذا الأساس رفض المنطق الوضعي مبدأ السببية وقدم مبرراً منطقياً لذلك باعتبار أنها قضية خاوية ولا معنى لها.

ولربط معنى القضية بالخبرة الحسية: أسس المذهب الوضعي ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: أن كل مفردة لها مدلولاً في خبرتنا الحسية ليس لها معنى.

الموقف الثاني: لا بد أن تكون القضية في صدقها تعطينا خبرة حسية مختلفة عن الخبرة الحسية التي تعطيه كذب القضية.

الموقف الثالث: القضية التي لها معنى هي التي يمكن التحقق من صدقها. فالقضية التي لا يمكن أن نتحقق ونتأكد من صدقها وكذبها ليس لها معنى.

ولقد ناقش باقر الصدر الموقف الثاني والثالث بينما تعود مناقشة الموقف الأول إلى نفس مناقشة النظرية التجريبية العامة^(١٢).

هذه أهم المقارنات بين المذهب الذاتي من جهة والمذهب العقلي والتجريبي بما فيها الإتجاه الوضعي.

ومن المهم ونحن نتحدث عن نظرية المذهب الذاتي كنقطة منهجية في المبحث الكلامي أن نشرح بأكثر عمق طريقة التوالد الذاتي للمعرفة.

ذكرنا سابقاً أن المذهب الذاتي يرى أن أكثر معارفنا تتوالد بطريقة ذاتية لا موضوعية وهذا التوالد يمرّ بمرحلتين مرحلة موضوعية ومرحلة ذاتية: (إن

كل معرفة ثانوية يحصل عليها العقل على أساس التوالد الذاتي تمر بمرحلتين إذ تبدأ أولاً مرحلة التوالد الموضوعي وفي هذه المرحلة تبدأ المعرفة احتمالية وينمو الاحتمال باستمرار ويسير نمو الاحتمال في هذه المرحلة بطريقة التوالد الموضوعي حتى تحظى المعرفة بدرجة كبيرة جداً من الاحتمال غير ان طريقة التوالد الموضوعي تعجز عن تصعيد المعرفة إلى درجة اليقين وحينئذ تبدأ مرحلة التوالد الذاتي لكي تنجز ذلك وترتفع بالمعرفة إلى مستوى اليقين^(١٣).

والتعميمات الاستقرائية كلها تمر بهاتين المرحلتين :

مرحلة أولى : يعتمد فيها المنهج الاستنباطي والمرحلة الثانية : يعتمد طريقة التوالد الذاتي لتصعيد المعرفة الاستقرائية إلى درجة اليقين . ففي المرحلة الأولى يقوم (الدليل الاستقرائي) على أساس التوالد الموضوعي للفكر وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الاستنباطية في الدليل الاستقرائي لأن الدليل في هذه المرحلة يمارس عملية استنباط عقلي وفقاً لقواعد التوالد الموضوعي للفكر التي يحددها المنطق

الصوري والدليل الاستقرائي في هذه المرحلة ينمي احتمال التعميم الاستقرائي ويصل به إلى أعلى درجة من درجات التصديق الاحتمالي مستنتجاً تلك الدرجة بطريقة استنباطية من المبادئ والبديهيات^(١٤).

ولذلك اعتبر باقر الصدر أن درجة احتمال المبرهن عليها في هذه المرحلة قضية مستنبطة ودرس في (الأسس) خطوات هذه المرحلة وشروطها مستدلاً على ان التعميم الاستقرائي في هذه المرحلة الأولى لا يحتاج إلى مصادرات إضافية سوى مصادرات نظرية الاحتمال نفسها ويحتاج إلى افتراض عدم وجود مبرر قبلي لرفض علاقة السببية بمفهومها العقلي (استحالة الصدفة) (وهذا لا يكلف الدليل الاستقرائي أي اثبات مسبقاً لأن الرفض هو الذي يحتاج إلى اثبات وأما عدم الرفض القبلي فيكفي له عدم وجود مبرر للرفض)^(١٥).

ولأجل ذلك لا يصلح الدليل الاستقرائي في المرحلة الاستنباطية لمن يرفض علاقات السببية بمفهومها العقلي رفضاً كاملاً ولا يمكن له أن يفسر الدليل الاستقرائي في مرحلته الاستنباطية ولذلك يفرق صاحب النظرية بين من يبدأ هذه المرحلة وعند احتمال استحالة الصدفة المطلقة فهذا يمكنه أن

يثبت بدرجة كبيرة من الاثبات من هذه الاستحالة بنفس الدليل الاستقرائي خلافاً لمن يبدأ من الاعتقاد بأن كل ما يوجد فهو صدفة ويرفض علاقات السببية بمفهومها العقلي فإنه لا يمكنه أن ينمي احتمال القانون السببي بالدليل الاستقرائي^(١٦). ويحلل باقر الصدر كل المبررات التي تقدمها بعض الاتجاهات لرفض مبدأ السببية: المبرر المنطقي للمدرسة الوضعية، والمبرر الفلسفي لدى التجريبيين والمبرر العلمي لدى الفيزيائيين الذريين... الخ.. ويناقش كل هذه المبررات وينفي أي مبرر قبلي لرفض السببية وبالتالي يحافظ على هذا المبدأ.

ولابد من الإشارة ان (المرحلة الاستنباطية) لا تنحصر فقط في تعميم ورفع درجات التصديق بشيء نعلم ثبوته من خلال تجربة بل يشمل أيضاً شيئاً مشكوكاً ومحتماً بدرجة محدّدة... إن الدليل الاستقرائي في مرحلته الاستنباطية تارة يواجه شيئاً ثابتاً نعلم بوجوده خلال التجربة فينمي قيمة احتمال سببيته وليطلق عليه اسم (الشكل الأول من الاستدلال الاستقرائي) وأخرى يواجه شيئاً مشكوكاً ومحتماً بدرجة محدّدة على أساس علم اجمالي قبلي فيتجه إلى تنمية احتمال وجوده على أساس

علم اجمالي آخر وتطبيق قاعدة الضرب أو بديهية الحكومة ولنطلق عليه اسم الشكل الثاني من الاستدلال الاستقرائي^(١٧).

أما المرحلة الثانية من الدليل الاستقرائي المرحلة الذاتية فإن القضية الاساسية التي تواجهها كيف يتحول التصديق الاجمالي القوي الذي أدركناه في المرحلة الأولى إلى حالة يقين ؟ للإجابة عن هذا التساؤل يميز باقر الصدر بين ثلاثة معان لليقين :

(أ) **اليقين المنطقي** : العلم بقضية معينة والعلم بأنه من المستحيل الا تكون القضية بالشكل الذي علم .

(ب) **اليقين الذاتي** : جزم الإنسان بقضية من القضايا بشكل لا يراوده أي شك أو احتمال للخلاف فيها .

وليس من الضروري في اليقين الذاتي ان يستبطن أي فكرة عن استحالة الوضع المخالف لما علم .

(ج) **اليقين الموضوعي** : التصديق بأعلى درجة ممكنة على أن تكون هذه الدرجة متطابقة مع ما تقرضه المبررات الموضوعية .

فالفرق بين اليقين الذاتي والموضوعي أن

الأول هو التصديق بأعلى درجة ممكنة سواء وجدت مبررات لذلك أم لا أمّا الثاني فهو أن تصل بك المبررات الموضوعية إلى الجزم .

(فاليقين الموضوعي له طابع موضوعي مستقل عن الحالة النفسية والمحتوى السيكولوجي الذي يعيشه هذا الإنسان أو ذاك فعلاً أما اليقين الذاتي فهو يمثل الجانب السيكولوجي من المعرفة)^(١٨) ، واليقين الذي تتكفل به المرحلة الذاتية هو اليقين الموضوعي . وهذا ما فات بعض الدارسين أن يلتفتوا إليه فالتبس عليهم الأمر فلم يدركوا قيمة المذهب الذاتي وتخيلوا ان المذهب الذاتي يرجع المعرفة إلى سيكولوجية صرفة لا علاقة لها بالمبررات الموضوعية^(١٩) مع أن باقر الصدر حاول في أكثر من مورد دفع هذا التوهّم ومن بينها هذا المقام الذي أكد فيه أن المرحلة الذاتية تتكفل بإثبات اليقين الموضوعي . وفي مقام آخر يقول شارحاً طريقة التوالد الذاتي : (إنها لا تقوم على أساس التلازم الموضوعي بين القضية المستنتجة التي تمثّل مقدمات لها :) ولكن هذا لا يعني فسح المجال لاستنتاج أي قضية من أي قضية أخرى على أساس التوالد الذاتي دون تقييد بالتلازم بين القضيتين فنستنتج مثلاً ان زيدا قد مات من أن الشمس طالعة وأن حجم الأرض أكبر من حجم القمر من أن الأرض تشتمل على

معادن كثيرة فإن هذا يؤدي إلى جعل طريقة التوالد الذاتي مبرراً لأي استدلال خاطيء وليس هذا ما نقصده عندما تقرّر هذه الطريقة إلى جانب طريقة التوالد الموضوعي^(٢٠) . وبذلك يضع باقر الصدر يده على سرّ الحاجة إلى المنطق الذاتي لكي نميز بين الشروط التي تجعل طريق التوالد الذاتي معقولة عن غيرها .

كما هو الحال عندما احتجنا إلى المنطق الصوري لنعرف صيغ التلازم بين القضايا التي تجعل طريقة التوالد الموضوعي صحيحة (أشكال القياس) .

ولأجل تحقيق اليقين الموضوعي في المرحلة الذاتية لابدّ من مصادرة مؤاها ان هناك درجات من التصديق الموضوعي غير مستنبطة بل بديهية أولية لأنه إذا لم تكن هناك درجات تتمتع بالصحة الموضوعية بصورة مباشرة لا يمكن أن توجد درجات مستنبطة ومن هنا انطلقت الحاجة والبحث نحو صياغة هذه الخطوة التي يحتاجها الدليل الاستقرائي في المرحلة الثانية لكي يبرّر حصول أعلى درجات التصديق الموضوعي وهي الجزم واليقين ، هذه المصادرة التي نفّس بها الدليل الاستقرائي ترتبط بالمعرفة ولا علاقة لها بالواقع الخارجي ولخصها

السيد الصدر في قوله : (كلما تجمع عدد كبير من القيم الاحتمالية في محور واحد فحصل هذا المحور نتيجة لذلك على قيمة احتمالية كبيرة فإن هذه القيمة الاحتمالية الكبيرة تتحول ضمن شروط معينة إلى يقين فكأن المعرفة البشرية مصممة بطريقة لا تسمح لها أن تحتفظ بالقيم الاحتمالية الصغيرة جداً فأى قيمة احتمالية صغيرة تفنى لحساب القيمة الاحتمالية الكبيرة المقابلة وهذا يعني تحول هذه القيمة إلى يقين ، ويؤكد باقر الصدر أن هذا التحول والفناء للقيمة الصغيرة في القيمة الكبيرة وتحول الأخيرة إلى يقين يفرضه التحرك الطبيعي للمعرفة البشرية ولا يمكن تفاديه على خلاف اليقين الناشئ من عوامل نفسية صرفة فقد تتحول بعض القيم الاحتمالية الصغيرة إلى يقين بسبب عوامل نفسية من قبيل التشاؤم والتفاؤل أو غير ذلك فقد يتحول احتمال الوفاة عند شخص مقدم على عملية جراحية إلى يقين بسبب التشاؤم الذي يسيطر على نفسه ولكن هذا اليقين يمكن إزالته إذا تحرر الشخص من نزعته النفسية وحصر اتجاهه في النطاق الفكري فحسب وأما اليقين الذي تفترضه المصادرة فهو يقين لا يتاح إزالته ما دام الإنسان سوياً في تفكيره مهما

حصر اتجاهه في النطاق الفكري وتحرّر من العوامل الدخيلة)^(٢١) .

هذه باختصار ملامح نظرية المذهب الذاتي في المعرفة مع تحليل لطريقة التوالد الذاتي في المعرفة ولقد بسطنا الكلام فيها حتى نمتلك رؤية واضحة لما لها من أهمية في النظريات الجديدة لباقر الصدر لا في مجال علم الكلام فحسب والبحث العقائدي بل ان هذه النظرية اعتمدها الصدر في فروع شتى من العلوم الإسلامية كعلم الاصول مثال ذلك تطبيقها في بحثه عن وسائل الاثبات الوجداني للدليل الشرعي حيث يفسّر التواتر والاجماع والشهرة استناداً إلى نظرية المذهب الذاتي وتراكم القيم الاحتمالية على محور واحد .

ومن تطبيقات هذه النظرية في علم العقائد نرصد أكثر من مثال كإثبات الصانع بالدليل الاستقرائي ، إثبات النبوة ، اثبات ولاية (الإمام علي) بحساب الاحتمالات في بحث حول الولاية ، إثبات امامة (المهدي) رغم صغر سنه بتراكم الاحتمالات . . الخ .

النقطة المنهجية الثانية :

من الاتجاه التجزيئي إلى المنحى التوحيدي الموضوعي

لم يفتأ باقر الصدر في مواطن عديدة ، ينتقد المنهج التجزيئي المعتمد في تحليل القضايا وطرح المسائل حيث أن الرؤية التجزيئية كثيراً ما تجني على الفكرة وتسيء إليها ، لأنها تقدمها مشوهة ومنقوصة وأحياناً تحملها ما لا تريده ، والمتتبع للتراث الكلامي يلحظ بيسر ما لهذه النزعة التجزيئية في التعامل مع النص من نتائج وخيمة وعلى التفكير العقائدي بسبب النتائج الخاطئة أحياناً وغير الدقيقة أحياناً أخرى التي تؤدّي إليها .

فالنظرة التجزيئية هي التي جعلت بعض الاتجاهات تتجمد في حدود حرفية بعض الآيات لتثبت لله يداً ورجلاً ووجهاً ، وتنسب له الاستواء على العرض بمعانيها الحقيقية غافلين عن الآيات المحكمة الأخرى والكثيرة التي تنزه الله عن الجسمية والتشبيه وتجزم أنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وأنه ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ .

لقد تغلّلت هذه النزعة وحطمت الوحدة

الموضوعية للمقطع القرآني الواحد أحياناً بعزل الآيات عن سياقها فيستشهدون بقوله عز وجل ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات : ٩٦) لإثبات أن الله خالق أفعال العباد في حين أن الآية أجنبية عن هذا المدلول إذ أنها تتحدث عن الأصنام بما هو عمل من أعمال العباد وفي النهاية هو خلق الله يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات : ٩٥ - ٩٦) ، إن الأمثلة على هذا الاتجاه التجزيئي عديدة جداً ... وبمثل هذا الاتجاه تم التعامل مع أصول الدين كمبادئ منفصلة ومستقلة بعضها عن البعض الآخر . فالتوحيد أصل وحده والنبوة أصل والمعاد أصل .. وغابت الرؤية الترابطية لهذه الأصول والعلاقة فيما بينها .. وغدت هذه الوحدة الموضوعية بين الأصول مسكوت عنها طوال هذا التاريخ العريق لعلم الكلام .

لقد حاول باقر الصدر (واعتقد أنه نجح في محاولته) ، أن يتجاوز هذا الطوق الذهني والقيود الفكري الذي حجب عن المؤمنين اكتشاف العلاقات بين هذه الأصول بل بين مفردات الأصل الواحد نفسه . تعرض الصدر لمشكلة المنهج التجزيئي وعالجها في معرض محاضراته القرآنية

(المدرسة القرآنية) عندما نادى بتأسيس (المنهج الموضوعي التوحيدي في التفسير) مقابل التفسير التجزيئي وهذه المعالجة وإن كانت متصلة مباشرة بميدان التفسير لكن يمكن أن يستفاد منها في المجال العقائدي لأن العقلية التجزيئية واحدة هنا وهناك والمنحى نفسه . وبالتالي فإن تجاوز هذا الاتجاه هناك يعني تجاوزه هنا بالتبع . إضافة إلى أن النصوص القرآنية تتضمن جملة من أدلة المتكلمين فتعكس طريقة تعاملهم مع الآيات وآليات تفسيرهم على نتائج بحوثهم ولقد ضرب الصدر بالفعل أمثلة من مجال العقيدة للتدليل على أهمية المنهج الموضوعي يقول : (فالمنهج التجزيئي في التفسير حيث أنه كان يستهدف فهم مدلول (الله) حيث أن فهم مدلول (الله) كان في البداية متيسراً لعدد كبير من الناس ثم بدأ اللفظ يتعقد من حيث المعنى بمرور الزمن وازدياد الفاصل وتراكم القدرات والتجارب وتطور الأحداث والأوضاع من هنا توسع التفسير التجزيئي تبعاً لما اعترض النص القرآني من غموض ومن شك في تحديد مفهوم (الله) حتى تكامل في الطريقة التي نراها في موسوعات التفسير)^(٢٢) .

ولم يكن غياب المنهج التوحيدي ظاهرة

تمسح كل العلوم ، حيث استفادت بعض العلوم من المنهج الموضوعي ، (وأكثر ظني أن الاتجاه التوحيدي والموضوعي في الفقه بامتداده وانتشاره ساعد بدرجة كبيرة على تطوير الفكر الفقهي وإثراء الدراسات العلمية في هذا المجال بقدر ما ساعد انتشار الاتجاه التجزيئي في التفسير على إعاقة الفكر الإسلامي القرآني عن النمو المكتمل وساعد على اكتسابه حالة تشبه الحالات التكرارية حتى تكاد تقول أن قروناً من الزمن متراكمة مرت بعد تفاسير الطبري والرازي والشيخ الطوسي ولم يحقق فيها الفكر الإسلامي مكاسب حقيقية جديدة)^(٢٣) .

إن الاتجاه الموضوعي التوحيدي يمتاز عن نظيره التجزيئي بخصلتين أساسيتين أشار إليهما الباحث :

أولاً : أن الاتجاه التجزيئي دوره تجاه النص سلبي حيث يبدأ بتناول النص القرآني ويحاول أن يجد مدلول النص فيما يسعفه به اللفظ مع ما يتاح له من قرائن متصلة ومنفصلة فدور المفسر هنا دور المصغي والمتفهم والمتلقي فالقرآن يعطي بمقدار ما يفهم هذا المفسر من مدلول خلافاً لذلك المفسر الموضوعي التوحيدي فإنه لا يبدأ عمله من النص بل

من واقع الحياة يركّز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الانساني حول ذلك الموضوع من مشاكل وما قدمه الفكر الانساني من حلول ما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ ثم يأخذ النص القرآني لا ليتخذ من نفسه بالنسبة إلى النص دور المستمع فحسب بل لي طرح بين يدي النص موضوعاً جاهزاً ويبدأ مع النص عملية استنطاق وهو يريد من كلّ ذلك اكتشاف موقف القرآن من القضية المطروحة وصياغة النظرية القرآنية حول الموضوع.

ثانياً: إن الاتجاه الموضوعي لا يكتفي بالمدلولات التفصيلية للنص وإنما يسعى جاداً لاكتشاف الرابط الموضوعي التي تشد النص إلى مركب نظري تحتل في حدوده كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية موقعها المناسب وهذا ما يُسمى بالنظرية. فالاتجاه الموضوعي هو السبيل للوصول إلى نظريات الإسلام في النبوة وسنن التاريخ والتغير الاجتماعي.. الخ.

وقد يثار في المقام تساؤلٌ حول أهمية هذا المنحى بلحاظ أن رسول الله ﷺ نفسه لم يعط هذه

النظريات تفصيلاً وإنما منح للمسلمين نصوصاً وأحكاماً كما هي متناثرة بين أيدينا ويرد باقر الصدر عن هذا السؤال بأن الصحابة وإن كانوا لم يتعلموا هذه النظريات تفصيلاً ولم يتلقوها كذلك ولكنهم تلقوها إجمالياً وارتكازياً ورسخت في أفكارهم ووجدانهم (كان المناخ العام الاطار الاجتماعي والروحي والفكري الذي يعتبرونه مساعداً على تفهّم هذه النظريات ولو تفهماً إجمالياً وعلى توليد المقياس الصحيح في مقام التقسيم . أما حين لا يوجد ذلك المناخ ، أما حيث لا يوجد ذلك الإطار إذن تكون الحاجة إلى النظريات يعني الحاجة إلى دراسة نظريات القرآن والإسلام .. خصوصاً مع بروز النظريات الحديثة من خلال التفاعل بين انسان العالم الإسلامي وانسان العالم الغربي بكل ما يملك من رصيد عظيم ومن ثقافة متنوعة في مختلف مجالات المعرفة البشرية)^(٢٤).

إن هذا التفاعل بين الإنسان المسلم والإنسان الغربي جعل المسلمين وجهاً لوجه مع نظريات كثيرة ولكي نحدد موقف الإسلام من هذه النظريات (كان لابد أن يستنطق نصوص الإسلام ويتوغل في أعماق هذه النصوص لكي يصل إلى

مواقف الإسلام الحقيقية^(٢٥) .

وكتطبيق لهذا المنهج الموضوعي في بحوثه العقائدية يمكن أن نتلمس موارد عديدة لكننا نكتفي بمثالين لهذا التطبيق يتضح من خلالهما الثمرات العلمية والمنهجية الهامة لهذا التطبيق .

المورد الأول : التحليل الموضوعي والقراءة التوحيدية الترابطية لمفردات اللوحة الخماسية لأصول الدين .

المورد الثاني : التحليل الموضوعي الترابطي لحياة الأئمة الاثني عشر .

المورد الأول :

عندما طبق الصدر هذا المنهج الموضوعي تبين أن اصول الدين في وحدتها الترابطية تمثل رؤية في فلسفة التاريخ وقاعدة لنظام اجتماعي مميز يعتمد صيغة رباعية في العلاقات الاجتماعية عكس كل النظريات الوضعية التي تستند إلى صيغة ثلاثية لقد كشف باقر الصدر عن اللوحة الخماسية (التوحيد - العدل - النبوة - الإمامة - المعاد) رؤية حضارية تقدمية تختزن داخلها كل مقدمات الدفع والتحريك والتغيير (فالتوحيد) يقدم مثلاً أعلى مطلقاً هو الله

عزوجل وهو الامتناهي من جميع الجهات وهذا ما يجعل المسيرة البشرية تصاعداً لا يهدأ ولا يفتر : (يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) إن عقيدة التوحيد تؤمن بمثل أعلى خارج الساحة التاريخية مما يجعل المسيرة . . في دفع متواصل مستمر وكلما قطعت شوطاً انفتحت امامها اشواطاً جديدة وهذا هو التغيير الكمي الذي يطرأ على مسيرة البشر باعتناقها التوحيد واتخذها (الله) مثلاً أعلى مطلقاً . وهناك أثر آخر هام وهو الأثر الكيفي للتوحيد والمتمثل في حل الجدل الداخلي للإنسان والصراع بين متطلبات ذاته وشهواته وغرائزه وبين ما تستوجهه القيم والتعاليم الدينية فالتوحيد يعطي الرؤية الفكرية والايديولوجية الواضحة التي تلبي كل الطموحات وكل الغايات في مثل أعلى .

(والعدل) كصفة من صفات الله . . لها ميزتها الاجتماعية حيث تساهم بفعالية في توجيه البشرية وحمايتها من السقوط في متاهة الظلم والنبوة توفر قاعدة الاتصال والرابطة الموضوعية بين الانسان والمثل الاعلى : هذه الصلة التي توجه فيها هذا المثل الأعلى البشرية من خلال انبيائه وبيدهم إلى سبيل السعادة والرفاه . (والامامة) هي الامتداد

القيادي للأنبياء في حياة الناس ، والحاجة إليهم تنبع من الحاجة في استمرارية رسالة الثورة التي يقوم بها الأنبياء في مجتمعاتهم ولا يستكملونها أما (المعاد) فهو الركيزة التي تمنح الإنسان الشعور بالمسؤولية والضمانات الموضوعية (اذن اصول الدين في الحقيقة وبالتعبير التحليلي على ضوء ما ذكرناه هي كلها عناصر تساهم في تركيب هذا المثل الأعلى وفي إعطاء تلك العلاقة الاجتماعية بصيغها القرآنية الرباعية)^(٢٦) .

المورد الثاني :

في هذا المجال يطبق باقر الصدر المنهج الموضوعي على حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام فيتجاوز التقليد السائد في دراسة سيرة الأئمة ويسعى لاكتشاف الخيط الرفيع الذي يشد حلقات هذا الخط الإلهي الممتد والمستمر في التاريخ لأن المدارس الكلاسيكية تدرس عادة الأئمة بشكل تجزيئي وتفصل مرحلة كل إمام عن الإمام الذي يسبقه والذي يليه ولا تهتم بالأهداف التخطيطية المشتركة التي يلتقي حولها أكثر من إمام ولا تحاول أن تعطي تفسيراً منطقياً لهذا الاختلاف في الأدوار بين

الأئمة عليهم السلام ولذلك توحى هذه الدراسات بصورة يمزقها التناقض بين الأئمة أنفسهم فلا نفهم كيف يصلح الحسن عليه السلام بينما يثور الحسين وبلجاً الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الدعاء بينما يتجه الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام إلى الفقه والحديث ... (فإذا قمنا بدراسة أحوال الأئمة ، على المستويين (التجزيئي والترابطي) فسوف نواجه على المستوى الأول اختلافاً وتبايناً في السلوك وتناقضاً من الناحية الشخصية في الأدوار التي مارسها الأئمة عليهم السلام)^(٢٧) وأما على المستوى الثاني وباعتماد النهج الترابطي فانه ستزول كل هذه الاختلافات لانها تبدو حينئذ مجرد تعابير مختلفة عن حقيقة واحدة تنوعت تمثالاتها وفقاً لاختلاف الظروف والملابسات التي مر بها كل إمام عليه السلام ويستدل باقر الصدر على الدور المشترك بأمرين أساسيين :

أ - تكرر ظواهر في حياة الأئمة : يذكر الصدر منها : استشهاد الإمام علي بنصوص الإمامة وتكرر الموقف نفسه من قبل الإمام الحسن والحسين ، والباقر عليه السلام الخ ...

ب - عقيدة الإمامة يترقى الصدر أكثر في مجال الاستدلال على الدور المشترك حيث يؤكد أن

هذه الفرضية مما تفرضه عقيدة الإمامة (وفي عقيدتي أن وجود دور مشترك مارسه الأئمة جميعاً ليس مجرد افتراض يبحث عن مبرراته التاريخية وإنما هو مما تفرضه العقيدة نفسها وفكرة الإمامة بالذات لأن الإمامة واحدة في الجميع بمسؤولياتها وشروطها فيجب أن تنعكس انعكاساً واحداً في شروط الأئمة عليهم السلام وأدوارهم مهما اختلفت أدوارهم الطارئة بسبب الظروف والملابسات ويجب أن يشكل الأئمة بمجموعهم وحدة مترابطة الأجزاء ليوصل كل جزء من تلك الوحدة الدور للجزء الآخر ويكملها ^(٢٨) .

يمثل هذا الاتجاه الذي يؤسس له باقر الصدر أيضاً ضرورة لتبين الدور الايجابي الرسالي للأئمة عليهم السلام لأن التصور الشائع والسائد أن الأئمة لعبوا دوراً سلبياً في المستوى الرسالي الحركي نتيجة إقصائهم عن الحكم ولقد كرست النظرة التجزيئية هذا المعنى في أذهان الناس ولكن المنهج الجديد يكشف عن دورهم الكبير في خط الجهاد والرسالة (فالأئمة عليهم السلام بالرغم من إقصائهم عن مجال الحكم كانوا يتحملون باستمرار مسؤوليتهم في الحفاظ على الرسالة وعلى التجربة الإسلامية

وتحصينها ضد التردّي إلى الهاوية هاوية الانحراف والانزلاق عن مبادئها وقيمها فكلما كان الانحراف يقوى ويشتد وينذر بخطر التردّي إلى الهاوية كان الأئمة عليهم السلام يتخذون التدابير اللازمة ضد ذلك وكلما وقع في التجربة الإسلامية والعقيدية من محنة ومشكلة وعجزت الزعامات المنحرفة عن علاجها بحكم عدم كفاءتها بادر الأئمة عليهم السلام تقديم الحل ووقاية الأمة من الأخطار التي كانت تهددها ^(٢٩) . وهناك دور مشترك آخر يشير إليه باقر الصدر : (هو جانب رعاية الشيعة بوصفهم الكتلة المؤمنة بالإمام عليه السلام والإشراف عليها بوصفها المجموعة المرتبطة به والتخطيط لسلوكها وحياتها وتنمية وعيها وإسعادها بكل الأساليب التي تساعد على صمودها في خضم المحن وارتفاعها إلى مستوى الحاجة الإصلاحية إلى جيش عقائدي وطلبة واعية ^(٣٠) .

في ظل هذا الاعتقاد بالدور الايجابي للأئمة عليهم السلام ووحدة هدفهم وتنوع أدوارهم وفق ما تمليه خصوصيات المرحلة الظرفية لكل امام يطرح باقر الصدر أدواراً ثلاثة أو مراحل ثلاث لخط الإمامة في التاريخ .

— الدور الأول : مرحلة تفادي صدمة الانحراف

أكثر من أي فترة أخرى . لأنه بدا لهم أن قيادة الأئمة أصبحت على مستوى تسلم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى حظيرة الإسلام النقي مما صعد من مواجهة السلطة ومحاربتها للأئمة من زمن الكاظم عليه السلام إلى أيام الإمام العسكري والإمام المهدي عليه السلام الذي تواترت عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أخبار تفيد أنه سينتصر على كل الطواغيت ويملا الأرض قسطاً وعدلاً .

هذا الاعتقاد بتكامل أدوار الأئمة عليهم السلام يشكل الوجه الآخر لايمان الصدر بانثاق قيادة أهل البيت عليهم السلام من رسالة النبي صلى الله عليه وآله وأنها الامتداد الطبيعي والاستمرار المستقبلي الضروري لولاية النبي صلى الله عليه وآله لحفظ الرسالة

والبلوغ بالمسيرة الإسلامية أسمى غاياتها متمثلة في قيام مجتمع الحق والعدل الذي لا يشوبه ظلم ولا انحراف مجتمع يحقق الوعد الإلهي الصادق (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) (النور : ٥٥) .

نتيجة المسار الذي اتخذته الاحداث عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الصدمة التي تجرع أئمة أهل البيت عليهم السلام مرارتها والتي كادت ان تعصف بالإسلام وأهله لولا الجهود التي بذلها أئمة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً الإمام علي عليه السلام لتحصين الأمة والإبقاء على الرسالة نفسها .

يبدأ هذا الدور بعد وفاة الرسول ويستمر إلى حياة الإمام الرابع : زين العابدين عليه السلام .

ـ الدور الثاني : بعد ان نجحت (الإمامة) في تحقيق الهدف المركزي من الدور الأول وتجاوزت الأمة الخطر الداهم على الرسالة وكل التحصينات ضد صدمة الانحراف تصل النوبة إلى هدف جديد وهو بناء الكتلة الخاصة أي الطليعة الشيعية التي تتمتع بدرجة أعلى من التحصين وتتوفر على عناصر أعمق من الوعي حتى تكون الفئة المتميزة على طريق حفظ الإسلام ومبادئه لقد أدى هذا الدور الإمام الباقر عليه السلام واستمر إلى زمان الإمام الكاظم عليه السلام .

ـ الدور الثالث : بناء الكتلة الطليعية الواعية والمجاهدة أصبح الأئمة بمقدورهم السعي الحثيث لاستلام السلطة ومن ذلك رهبة وخوف السلطات القائمة من أئمة أهل البيت في المرحلة التاريخية

النقلة المنهجية الثالثة :

من النزعة الثبوتية إلى الاتجاه التكاملي

ينعت الفكر الديني بالجمود وتحجر آلياته ويتفاخر الفكر المادي بأنه فكر متطور يدرس الطبيعة والمجتمع من منظور متحرك يرصد التحولات الحاصلة فلا إيمان بقضية مطلقة إلى الأبد والحقيقة دائماً تتغير وتتبدل . ولقد أسست لهذا الأمر المادية قوانيناً طبقتها على الطبيعة والتاريخ خاصة المدرسة الماركسية التي طرحت المادية الجدلية (الديالكتيك) لتفسير الطبيعة والمادية التاريخية لفهم التاريخ فالتناقض والجدل هو أساس الحركة والتطور سواء على مستوى المادة أم على مستوى التاريخ . إن الماركسية تتبجح أنها حولت الجدل من أسلوب في المناظرة في المنطق القديم إلى منهج في تفسير الأشياء وقراءة الواقع وقانوناً كونياً شاملاً قابلاً للانطباق

على الطبيعة والتاريخ (فالجدل الجديد عند الديالكتيكيين قانون للفكر والواقع على سواء ولذلك فهو طريقة للتفكير ومبدأ يرتكز عليه الواقع في وجوده وتطوره)^(٣١) . ويزعم المنطق الجدلي بأن أصحاب المنطق القديم عموماً والالهييين خصوصاً يستندون

إلى ثلاثة مبادئ لا أساس لها من الصحة هي مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض ومبدأ السكون والجمود في الطبيعة الذي يرى الأشياء ساكنة جامدة لا تغير فيها لقد تجاوز المنطق الجدلي هذه الأسس والمبادئ الثلاثة وأمن بمبادئ أربعة أخرى : حركة التطور وتناقضات التطور وقفزات التطور وقانون الارتباط العام^(٣٢) .

لقد ناقش الصدر هذه المبادئ الأربعة في المصدر المشار إليه وأكد أن الالهييين لا ينفون الحركة ولا ينظرون إلى الواقع عامة والطبيعة خاصة نظرة ستاتيكية جامدة بل إنهم يؤمنون بالتطور والتكامل وفق قانون الحركة التي هي (سير تدريجي وتطور للشيء في الدرجات التي تتسع لها إمكاناته ولذلك حدد المفهوم الفلسفي للحركة بأنها خروج الشيء من القوة إلى الفعل)^(٣٣) .

وعمقت الفلسفة الإسلامية نظرية الحركة على يد ملا صدرا عليه السلام الذي أثبت أن الحركة لا تمس ظواهر الأشياء فحسب بل تمس صميم الطبيعة وجوهر الأشياء وهذه الحركة الجوهرية العميقة هي منشأ كل التغيرات والتبدلات التي تطرأ على الظواهر وهكذا يكشف الصدر أن الماديين في اتهامهم

للميتافيزيقيين أو الالهيين بأنهم يعتقدون جمود الطبيعة وسكونها لا مبرر له سوى سوء فهم الماديين الديالكتيكيين للحركة بمعناها الفلسفي الصحيح .

ويفرّق باقر الصدر بين مفهوم الحركة عند الماديين والحركة في الفلسفة الإسلامية ويرجع الاختلاف إلى نقطتين أساسيتين :

ـ **أولاً :** ان الديالكتيك يرى ان التناقض مفهوم أساسي للحركة فالصراع بين المتناقضات هو القوة الدافعة للتطور والحركة .

أما في المفهوم الفلسفي الميتافيزقي فان الحركة سير من درجة إلى درجة أعلى مخزنة داخل الشيء نفسه لكنها في حالة كمون .

ـ **ثانياً :** ان التطور الداخلي للأشياء لا يتوقف (كما رأينا) في حدود الطبيعة وانما يتعدى إلى عالم الافكار والمفاهيم التي يراها التحليل الماركسي انعكاساً للواقع الخارجي فقوانين الديالكتيك هي القوانين العامة للحركة سواء في العالم الخارجي أو في الفكر البشري ، وهذا ما لا توافق عليه الفلسفة الميتافيزيقية التي ترفض عموم قانون الحركة للمفاهيم الذهنية لانها لا يمكن أن تتوفر فيها جميع خصائص الواقع الموضوعي ولا يعني هذا طبعاً (ان

الميتافيزيقيين إذا كانوا مفهوماً عن الطبيعة في مرحلة ما جمدوا أفكارهم ووقفوا بحوثهم واعتبروا ذلك المفهوم كافياً لاستكشاف اسرار الطبيعة في شتى مراحلها فلا يوجد عاقلاً يكتفي مثلاً بالمفهوم العلمي الذي يكونه عن البويض فلا يتابع سير الكائن الحي في المرحلة الثانية ^(٣٤) . فالاختلاف أن الفلسفة الميتافيزيقية لا تخلط بين المفهوم الذهني للشيء والشيء نفسه في الخارج فالأول ثابت والثاني متطور . . ولكن بمقدور الفكر أن يلاحق هذا التطور للوقائع الخارجية بمفاهيم ذهنية جديدة ولا يعني التكامل العلمي في مختلف الفروع تطوراً وجدلاً في عالم الفكر كما حاولت أن تثبت ذلك الماركسية لأن الحقيقة أن التطور العلمي لا يعني نمو الحقيقة وتطورها وأنما معناه تكامل العلم أي زيادة حقائقه وقلة أخطائه تبعاً لتطور وسائل البحث والتعمق في التجربة .

إن المفكرين الاسلاميين رغم انتسابهم إلى فلسفة الهية لا تلغي الحركة وتقرّ بها ك مفهوم أساسي للطبيعة وكذلك للفكر بالمعنى التكاملي الذي طرحه باقر الصدر ، نراهم يعالجون الظواهر الاجتماعية والمفردات العقائدية خاصة ، غافلين عن تكامل هذه

الزمن والتغير الذي يطرأ على نفس المفهوم ، فتجاوز الاحكام الاطلاقية والتصورات الثبوتية . ويمكن أن نعطي لذلك نموذجين من نتاج الشهيد في هذا المضمار :

النموذج الأول : التوحيد وتكامل الوعي التوحيدي

في هذا المقام يحلل الصدر التوحيد لا كأصل ثابت وانما يدخل في حسابه عامل الزمن وتكامل النبوات المبشرة بالتوحيد فيرى أن الوعي التوحيدي بلغ أوجه مع رسالة الإسلام لأن القرآن قد أوصل الفكر الانساني إلى أعلى درجات التنزيه والتعظيم لله عزوجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى : ١١) ، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الانعام ، ٩١) ، ولم تبلغ الرسالة هذه المرحلة طفرة واحدة وإنما ارتقت بالوعي الديني تدريجياً بواسطة نبوات عديدة لتدرك هذه الدرجة العالية يقول الشهيد الصدر :

(ان فكرة التوحيد ليست ذات درجة حدية وانما هي بنفسها ذات درجات من العمق والاصالة والتركيز والترسخ فهذه الدرجات متفاوتة كان لا بد بمقتضى الحكمة الإلهية أن يهيأ لها الإنسان

المفاهيم فنراهم يسلكون منهجاً ثبوتياً ستاتيكيّاً في تحليل المسائل العقائدية دون أي نظر إلى تكامل وتطور هذا المفهوم أو المراحل التي قطعها لبلوغ هذه المرتبة كما انهم لا يلتفتون إلى الاستعدادات التي يخزنها هذا المفهوم والذي يتحرك من خلالها إلى آفاق مستقبلية فلا يحاولون استشرافها . . باستقراء تاريخ التكامل والاحاطة بمنحى التطور . .

إن التفكير العقائدي القديم حاول أن يدرس التراث العقائدي والمسائل الكلامية بمنأى عن قانون الحركة والتكامل لذلك فاتته دلالات مركزية هامة ومضامين عميقة لاصول الدين عبر تاريخ علم الكلام غير أن (باقر الصدر رحمه الله) يحدث نقلة نوعية تتور على هذا الاطار الثبوتي السكوني ويعتمد منهجاً ديناميكياً تكاملياً . وهذا من شأنه أن ينتقل بالبحث الكلامي إلى مدارات جديدة لم يعهدها لهذه النقلة ان تقنن وتُقعد .

ولعل العديد من النتائج الجديدة التي وصل إليها الصدر في جملة من القضايا تعود إلى هذه النقلة المنهجية الهامة :

لقد درّس مفكرنا جملة من القضايا العقائدية عبر هذا المنظور التكاملي وأخذ بعين الاعتبار عامل

بالتدريج هذا الانسان الذي غرق بمقتضى تركيبه العضوي والطبيعي في حسه ودينياه بالتدريج لكي ينفتح على فكرة التوحيد التي هي فكرة الغيب^(٣٥).

ويستقرىء الصدر هذا التكامل اللوحي التوحيدي عبر مقارنة بين أهم دينائتين سابقتين وبين الإسلام فيسجل أن التوحيد في التوراة يعطي فكرة اله لكن لا يستطيع أن ينزع عنه الطابع القومي المحدود وفي الانجيل صعدت فكرة الله مرتبة وذلك لانه تخلص من الطابع القومي واصبح الاله الهأ عالمياً ولكنه لم يجرد كلية وبقي أسير ذهنية الانسان الحسية وبهذا يعبر الانجيل عن المسيح بأنه ابن الله - فالاله هو الأب لكل البشرية . . لكن القرآن يعطي لفكرة التوحيد مداها الاعظم من التنزيه والتجريد فيجرد الله عن أي علاقة مادية مع أي إنسان كان^(٣٦).

النموذج الثاني : تكامل النبوات

إن إشكالية الثابت والمتغير أو الثابت والمتحول تطرح نفسها بقوة لا في المجال الفقهي والتشريعي فقط وانما تمتد لتفرض نفسها في المجال الفكري والعقائدي حيث يثار التساؤل القديم الجديد :

كيف يعالج الدين بصيغته الثابتة وتعاليمه المحدودة المحصورة في صيغ معينة ومفاهيم محدودة وأحكام مخصوصة كل قضايا الانسان ومشاكله وهمومه وآفاقه على مدى الزمن التي لا يحدها شيء ؟ لقد فحص هذه الاشكالية العديد من المفكرين الاسلاميين ولئن تعددت الاجابات إلا أنها تلتقي تقريباً حول نفس المبدأ^(٣٧)، وهو أن تكامل الرسالات مهما امتد واستمر لا بد أن ينتهي عند نقطة يبلغ معها نهايته ومن المستحيل أن يستمر إلى ما لا نهاية لا بد أن نصل إلى رسالة خاتمة تختزن داخلها كل المقومات الاساسية لقيادة الانسان وهداياته وتستوعب كل الحلول لكل المشاكل والهموم التي يفرضها التقدم التقني والصناعي والاجتماعي .

لقد أجاب (باقر الصدر) عن السؤال السابق في بحثه (التغير والتجديد في النبوة) فاستعرض عوامل هذا التجديد وهي أربعة أسباب أساسية :

— أولاً : أن تكون النبوة قد استنفذت اغراضها واستكملت أهدافها بأن تكون النبوة جاءت وصفة لمرض طارىء في المجتمع الانساني مرضاً من الناحية الفكرية أو الروحية أو خلافاً في النظم الاجتماعية، فحينئذ لا يمكن أن تصلح النبوة

كوصفة مؤقتة لكل زمان ومكان مثل ذلك ما يقال عن المسيحية من أنها تحت إلى التركيز على النواحي الروحية نتيجة لإفراط بني إسرائيل في الانغماس في الدنيا .

— ثانياً : أن لا يبقى تراث يمكن أن يقوم على أساسه العمل والبناء ويمكن تصور ذلك في فرض موت النبي وتولد ظروف وانحرافات تعصف بالرسالة وتذهب التراث الروحي والمفاهيمي حينذاك تبقى النبوة مجرد مسألة تاريخية ولا يوجد في حياة الناس ما يجسد مفهومها ومنظارها إلى الحياة .

— ثالثاً : السبب الثالث لمحدودية الرسالة باعتبار محدودية النبي نفسه فالأنبياء كغيرهم من البشر غير متساوين في درجات تلقيهم للمعارف الإلهية عن طريق الوحي فبعضهم غير مؤهل لأن يحمل هموم البشرية على الإطلاق في كل زمان ومكان بل هو مؤهل لأن يحمل هموم عصره فقط أو هموم مدينته أو هموم قبيلته فقط . (فإذا كانت النبوة محدودة بطبيعة هذا النبي كان لابد في خارج هذه الحدود الزمانية والمكانية من نبوة أخرى تمارس عملها في سبيل الله سبحانه) (٣٨) .

— رابعاً : تطور البشرية : فان هذا التطور يجعل

الرسالة السابقة غير مهيأة لهداية الانسان الجديد وهنا يؤكد باقر الصدر على مفهوم تكامل الرسالات مصرحاً بأن كل رسالة تهيء الانسان لرسالة جديدة فـ (فالانسان المدعو يتصاعد بالتدرج لا بالطفرة وينمو على مَرِّ الزمن في أحضان هذه الرسالات الإلهية فيكتسب من كل رسالة الهية درجة من النمو تهيبه وتعدده لكي يكون على مستوى الرسالة الجديدة وأعبائها الكبيرة مسؤولياتها الأوسع نطاقاً) (٣٩) .

ويحلل باقر الصدر أبعاد ومستويات التطور البشري فيرجعها إلى ثلاثة أبعاد :

(أ) الوعي التوحيدي .

(ب) المسؤولية الاخلاقية في تحمل أعباء الرسالة .

(ج) خط التقدم الفني والتقني والسيطرة على الطبيعة .

ويرى ان التطور بلغ أوجّه في البعد الأول (كما أشرنا في النموذج الأول) وكذلك في البعد الثاني حين ارتقت النبوات بالإنسان وعودته على التضحية في سبيل الرسالة إلى أن بلغ أعلى المراتب .

أما البُعد الثالث فهو خط متطور دائماً لا يمكن

أن يتوقف لأن التقدم التقني والتكنولوجي الصناعي يمتاز بالتراكم الكمّي فكلما سيطر الإنسان على مجال ما في الطبيعة رمى بصره نحو ميدان آخر وهكذا . . وتغير النبوات قانون أو سنة ترتبط بالبعد الأول والثاني ولكنها لا تتأثر بالعنصر الثالث ولا تنفعل به وإلا لو كانت متوقفة عليه لكّانت النبوة متغيرة ومتجددة بين الحين والآخر خاصة في عصورنا الأخيرة حيث يشهد العالم نقلات سريعة في مجال التقدم العلمي والصناعي . ولكن لما كانت النبوة مرتبطة فقط بخط الوعي التوحيدي وخط المسؤولية الاخلاقية ولما بلغ هذان الخطان نهايتهما ختمت النبوة مع رسالة الإسلام التي تمثّل (رسالة شاملة كاملة عامة للحياة جاءت على أبواب وصول الإنسان إلى رشده الكامل من ناحية استعدادة لتقبّل وعي توحيد صحيح كامل شامل ومن ناحية تحمله لمسؤولية اعباء الدعوة)^(٤٠).

ولقد تصدّى أحد أبرز طلاب باقر الصدر^(٤١) لتعميق هذا المفهوم (تكامل النبوات) وحقب تاريخ الأنبياء وقسمه إلى مراحل عديدة مهدت لبلوغ الإنسانية أوج استعدادها لتلقّي الاطروحة الكاملة والنهائية التي ستطبق في المجتمع العالمي المنشود

على يد صاحب العصر والزمان (عج) .
وطرح أربع مراحل كنسق تكاملي يحكم تطور النبوات :

- أ) النبوات العقائدية .
- ب) النبوات التشريعية .
- ج) النبوات القبلية .
- د) النبوات العالمية^(٤٢) .

في التحليل السابق لاحظنا كيف تعامل باقر الصدر مع النبوة في تكاملها الزمني بلحاظ جذورها في التاريخ ويشهد له بحثه حول الولاية تعاملًا مع نفس ظاهرة النبوة ولكن هذه المرة في تكاملها وامتدادها في المستقبل حيث اثبت بمنهجية فريدة مبتكرة قائمة على طريقة الاحتمالات ضرورة الولاية كاستمرار لخط النبوة في التاريخ .

النقلة المنهجية الرابعة : الابعاد الاجتماعية للعقيدة :

من عقيدة الفرد إلى عقيدة المجتمع

بحكم المهام التي آمن بها المتكلمون وحدودها (ذكرناها في الفصل الأول) اصطبغ هذا العلم بصبغة تجريدية تستند على الجدل والتبكيث

ومحاولة تبرير التناغم والانسجام بين معطيات العقيدة وضرورات العقل بعيدة نسبياً عن الواقع وعالم الانسان . لقد انقلبت وتحولت العلاقة الثنائية بين الانسان والعقيدة ففيما كانت هذه العلاقة في فجر الرسالة قائمة على اعتبار الوحي في خدمة الإنسان والدفاع عنه وعن قضاياه صار الإنسان في صراع جدلي حول الوحي بعيداً عن طموحاته وأهدافه والبحث الدؤوب عن حلول لمشاكل الحياة في مختلف مجالاتها .

هذه الاتجاه عمق من جانب آخر الصبغة الفردية لعلم الكلام حيث تعالج العقيدة كعقيدة فرد وتتعاطى مع قضية المسلم فيما يجب معرفته واعتقاده وتوسّعت هذه النزعة التجريدية بمنأى عن واقع الناس وهموم الجماهير بل استغرقت أكثر فأكثر في عالم خاص من المصطلحات والرموز والصياغات البرهانية . . تضخم مع مرور الأيام . . ليعلن الانفصال عن التحديات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تواجه المسلمين خاصة في عصرنا الحالي .

من هنا كان علم الكلام بحاجة إلى نقلة ثورية تعيده إلى مهمته الأساسية في نحت الانسان

وهذايته انطلاقاً من قاعدة فكرية أساسية لأن العقيدة في قاموس الصدر هي القاعدة المركزية في التفكير الإسلامي التي تحدد نظرة المسلم الرئيسية إلى الكون وهذا لم يغيب عن وعي العديد من زعماء الإصلاح في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حين اتفق هؤلاء حول اعطاء العقيدة عامة والتوحيد خاصة مدلوله الاجتماعي والسياسي في حياة المسلمين حتى ينفذوا عن أنفسهم غبار التخلف ويهبوا مندفعين نحو قيام مجتمع متحضر ومتقدم يحتل مكانة على الأرض بجدارة ولا يرضى بالهوان والضعف^(٤٣) ، ويلتقي مع هؤلاء بعض المفكرين المحدثين أيضاً : (لقد أدرك بعض المفكرين المسلمين المحدثين إشكالية علم الكلام هذه فراحوا يبحثون عن علم كلام جديد إن أمكن القول علم للكلام يكون فيه للتوحيد وظائف جديدة ويكون علماً محرراً للإنسان وعلماً خالصاً صافياً من الشوائب والأكدار وان علماً تكون له هذه الخصائص بقادر حقاً على ان يدفع بأصحابه إلى الإمام)^(٤٤) وبقراءة هذه المحاولات الهامة في بناء هذه القواعد الجديدة يبدو مشروع باقر الصدر متميزاً لأنه قام على معالجة أصول الدين معالجة اجتماعية نهضوية تسعى

أساساً لتقديم الدين كحل للمشكلة الاجتماعية والتوحيد كبرنامج ثوري ضد الظلم والجهل والانحراف والنبوة كصلة موضوعية بين الله والانسان تقود زمام هذه الثورة الالهية وتنتصر لطموحات البشر في الكمال والسعادة ، لقد قرأ الصدر هذه الاصول الاعتقادية قراءة مستحدثة مستنيرة لم تفصل الله عن الانسان والسماء عن الأرض والاعتقاد عن الحياة . . والتصور عن العمل والحركة ان هذه الازدواجية بين الغيب والشهادة بين الأرض والسماء تنهاوى عندما تتحرك عقيدة الامة في اتجاه إلباس الأرض أطر السماء^(٤٥) وتعميم روح المسجد على كل فضاء .

ان هذه النقلة الهامة يتحول معها الدين من شأن فردي وقضية شخصية إلى مشروع مجتمعي ويغدو حينذاك الملاذ الواقعي الصحيح لحل المشكلة الاجتماعية ، ولا غرابة ان يعمد باقر الصدر لاحداث هذه النقلة إذا التفتنا إلى أن حل المشكلة الاجتماعية كان دائماً هاجسه الكبير لذلك حاول على طول مسيرته العلمية أن يؤسس النظريات الإسلامية التي تقدم حلولاً لهذه المشكلة في ابعادها المختلفة : السياسية والاقتصادية والدستورية . . الخ .

لقد كان همه الأكبر الوصول إلى صياغة دقيقة متكاملة للنظام الاجتماعي الأصلح في بحث دؤوب عن الاجابة عن سؤال محوري هام : (ما هو النظام الذي يصلح للانسانية وشعوبها في حياتها الاجتماعية ؟) هذه المشكلة متجذرة في أعماق تاريخ الانسان لأنها طغت على السطح منذ أن تشعبت النواة الأولى للمجتمع الانساني وظهر أفراد عديدون تتجاذبهم ميولات مختلفة وطموحات متفاوتة وتجمعهم من جهة أخرى هموم مشتركة ومصالح موحدة .

ولكن الاحساس المعاصر بهذه القضية أقوى وأشد لأن الإنسان المعاصر يعاني جيداً ان المشكلة هو الذي صنعها ولا تُعرض عليه من فوق إضافة إلى أن التراكم التاريخي للتجارب العديدة والنظم المختلفة والتي بآء أغلبها بالفشل عمق في الوعي الانساني الحاجة إلى التمييز والتدقيق في المسألة .

لقد ابدع باقر الصدر حقاً في مناقشة المدارس الكبرى التي طرحت حلاً لهذه المشكلة وخاصة المدرسة الماركسية والرأسمالية في كتابيه (فلسفتنا واقتصادنا) وأبرز فشل هذين المذهبين في

تشخيص حقيقة المشكلة وبالتالي في وصف النظام الذي يقود إلى السعادة والكمال والرفاه ، ان الخطوة الأولى للوصول إلى النظام الاجتماعي الاصلح : دراسة جوهر المشكلة النابعة من طبيعة الإنسان والتي جبلت على حب الذات والأثرة أقوى الغرائز الإنسانية المؤثرة على المسار الاجتماعي ومن جهة ثانية : ان التواصل الانساني والعلاقات الاجتماعية يقتضيان التنازل عن جملة من المصالح الفردية ولا تستقيم حياة المجموعة إلا من خلال نظم حاكمة تحد من مصالح كل فرد لأجل الصالح العام : هنا يصطدم النظام الاجتماعي بهذه العقبة : كيف نوفق بين الدوافع الذاتية ومقتضيات الحياة الاجتماعية ؟ سلكت الرأسمالية طريقاً ضحت معه بالمصالح الجماعية من أجل الفرد وسلكت الاشتراكية طريقاً موازياً : قمدت فيه مصالح الجماعة على الفرد وعمقت كل هذه الاتجاهات وغيرها الأزمات الاجتماعية ولم تحلها بسبب تفسيرها المادي للحياة ورؤيتها المحدودة للكون والإنسان ورسالته في الوجود مما جعل الإنسان أسير الحاجات المادية يعيش أزمة عميقة في نفسه نتيجة هذا التمزق الشديد بين الفرد والجماعة . . والانشطار بين المادة

التي أوغل في متطلباتها والآفاق الروحية التي . . . أقصى عنها . . . اما الصدر : فهو يبدأ بداية مغايرة : (ان يطور المفهوم المادي للإنسان عن الحياة وبتطويرة تتطور طبيعياً أهدافها ومقاييسها)^(٤٦) ، (فالاسلام وضع يده على نقطة الداء الحقيقية في النظام الاجتماعي للديمقراطية وما إليه من انظمة . . . فإن نقطة الارتكاز الاساسية لما ضجت به الحياة البشرية من أنواع الشقاء وألوان المآسي هي النظرة المادية إلى الحياة التي يختصرها بعبارة مقتضية في . . افتراض حياة الإنسان في هذه الدنيا في كل ما في الحساب من شيء وإقامة المصلحة الشخصية مقياساً لكل فعالية ونشاط)^(٤٧) . فالبشرية بحاجة إلى معين آخر غير التصورات المادية عن الكون التي تسجن الإنسان في سجن الطبيعة وضيق التاريخ ، يستقي منه نظامه الاجتماعي بلغة باقر الصدر لابد من (وعي سياسي صحيح ينبثق عن مفاهيم حقيقية للحياة ويتبنى القضية الإنسانية الكبرى ويسعى إلى تحقيقها على قاعدة تلك المفاهيم)^(٤٨) .

فالعقيدة هي القاعدة الفكرية المركزية التي ينبثق عنها هذا النظام العادل الكفيل بتحقيق

السعادة المنشودة. فالاسلام يمنح الإنسان نظرة روحية للحياة ومقياساً خلقياً جديداً يشخص من خلاله: ما يجب وما لا يجب فيخترق بذلك حجب الأنانية والانغلاق على الذات لينفتح على الآخرين وهمومهم ومشاكلهم بل ليقدم مصالحهم على مصالحه وهو بذلك يوفق بين الدوافع الذاتية المركوزة فطرياً في الإنسان وبين مقتضيات الحياة الاجتماعية القائمة على المصالح المشتركة... إن هذا المقياس الخلقي الجديد تغذيه عقيدة المعاد والإيمان باليوم الآخر وان الحياة الدنيا شوط عابر نحو الحياة الآخرة الخالدة حين توفى كل نفس ما عملت ولا تظلم مقدار ذرة.

ويشرح باقر الصدر مفصلاً محاولة التوفيق التي يعتمدها الدين: (ان التوفيق الوحيد يحصل بعملية يضمنها الدين للبشرية النائية وتتخذ العملية اسلوبين:

الأسلوب الأول: هو تركيز التفسير الواقعي للحياة وإشاعة فهمها في لونها الصحيح كمقدمة تمهيدية إلى حياة أخروية يكسب الإنسان فيها من السعادة على مقدار ما يسعى في حياتها المحدودة هذه في سبيل تحصيل رضا الله. فالمقياس الخلقي

أو رضا الله تعالى يضمن المصلحة الشخصية في نفس الوقت الذي يحقق فيه اهدافه الاجتماعية الكبرى...

وأما الأسلوب الثاني: الذي يتخذه الدين للتوفيق بين الدافع الذاتي والقيم أو لمصالح الاجتماعية فهو التعهد بتربية اخلاقية خاصة تعنى بتغذية الإنسان روحياً وتنمية العواطف الإنسانية والمشاعر الخلقية فيه...^(٤٩) في ضوء هذه الرسالة الحضارية الرهامة للدين يقدم الصدر أخصر تعريف للإسلام ليكشف عن مركزية ومحورية العقيدة: (وهذا هو الإسلام في اخصر عبارة واروعها فهو عقيدة معنوية وخلقية ينبثق عنها نظام كامل للإنسانية يرسم لها شوطها الواضح المحدد ويضع لها اهدافاً أعلى في ذلك الشوط ويعرفها على مكاسبها منه)^(٥٠).

هذه الاطروحة للدين في قاعدته العقائدية والمفاهيمية وكيف تمثل حلاً للمشكلة الاجتماعية يرتقي بها باقر الصدر ويطورها أكثر في (المدرسة القرآنية) حيث يؤصل أكثر فأكثر هذه النظرية في بحث مقارنة بين النظرية الاجتماعية الإسلامية والنظريات الوضعية الأخرى حيث تستند الثانية إلى

صيغة اجتماعية ثلاثية مقابل الصيغة الاجتماعية الرباعية التي تؤمن بها النظرية الاسلامية: ان كل المجتمعات تؤمن بوجود عصرين اساسيين: الإنسان والطبيعة ففي كل مجتمع لابد من انسان ولابد من ارض وموارد طبيعية ليمارس في ظلها الإنسان دوره الاجتماعي .

لكن العنصر المرن والمختلف من نظام اجتماعي إلى نظام آخر هو العلاقة الاجتماعية فلكل مجتمع خصوصيات في نسج هذه العلاقة المعنوية بين الإنسان واخيه الإنسان وبين الإنسان والطبيعة .

هذا العنصر المرن له صيغتان :

– صيغة ثلاثية : لأنها تحدد الأطراف في ثلاثة (الإنسان - الطبيعة - الإنسان) .

– صيغة رباعية لأنها تؤمن بأربعة أطراف (والله - الإنسان - الطبيعة - الإنسان) .

ولا يتوهم أن الصيغة الرباعية تمتاز بإضافة عديدة لعنصر جديد فحسب بل (إن هذه الإضافة تحدث تغييراً نوعياً في بنية العلاقة الاجتماعية وفي تركيبة الاطراف الثلاثة الاخرى نفسها من هنا ليس هذا مجرد عملية جمع ثلاثة زائد واحد بل هذا الواحد الذي يضاف إلى الثلاثة سوف يعطي للثلاثة روحاً

اخرى ومفهوماً آخر سوف يحدث تغييراً أساسياً في بنية هذه العلاقة... إذ يعود الإنسان مع أخيه الإنسان مجرد شريك في حمل هذه الامانة والاستخلاف وتعود الطبيعة بكل ما فيها من ثروات وبكل من عليها وما عليها مجرد امانة لابد من رعاية واجبها وأداء حقها^(٥١) .

ان الطرف الرابع معيّر نوعي لتكوين العلاقة: فتقلب العلاقة مع الطبيعة من هيمنة واستئثار إلى استخلاف واستئتمان وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان من تجاذب استغلالي إلى تكامل وشراكة في المسؤولية والخلافة هذه الصيغة الرباعية هي المدلول الاجتماعي العام للتوحيد والقرآن يقدمها بما هي سنة تاريخية وقانون عام والعرض القرآني لهذه السنة يتخذ شكلين اثنين تارة يعرضها من زاوية دور الله في الكون بما هي عملية ربانية ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فتتخذ مفهوم الخلافة وتارة أخرى يعرضها من جهة تقبل الإنسان لها ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ (الاحزاب / ٧٢) .

(إن هذه العلاقة الاجتماعية ذات الاطراف

الأربعة لم تكن لتصبح قانوناً تاريخياً إلا لأنها داخلية في تكوين الإنسان في تركيب مسار الإنسان الطبيعي والتاريخي^(٥٢) فالله قد صاغ هذا الإنسان باستعدادات وقابليات وميول منسجمة تماماً مع العلاقة الاجتماعية الرباعية .

وبالتفاته ذكية رائعة يطابق بين مدلول الآيتين اللتين تحدثنا عن الصيغة الرباعية (الآية : ٣٠ البقرة) و (الآية : ٧٢ الأحزاب) ، وبين الآية : ﴿ .. فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (الروم : ٣٠) .

فالتعبير بالدين القيم تأكيد على أن ما هو الفطرة وما داخل في تكوين الإنسان وتركيبه وفي مسار تاريخه هو الدين القيم يعني أن يكون هذا الدين قيماً على الحياة أن يكون مهيمناً على الحياة هذه القيمومة في الدين هي التعبير المجمل في تلك الآية عن العلاقة الاجتماعية الرباعية التي طرحت في الآيتين في آية : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وآية : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ اذن فالدين سنة الحياة والتاريخ والدين هو الدين القيم والدين القيم هو العلاقة الاجتماعية

الرباعية الاطراف التي يدخل فيها الله بعداً رابعاً^(٥٣) . ولكننا بحاجة ماسة في اطار النظرية الإسلامية للصيغة الرباعية ان نوضح أكثر فعالية الله في المجتمع والتاريخ حتى ندفع توهّم قد يثيره الخصوم وهو ان هذه الصيغة يادخالها العنصر الرابع (الله) جل جلاله تلغي دور الإنسان وتفسر كل الظواهر الاجتماعية تفسيراً غيبياً لاهوتياً يعزل هذه الظواهر عن أسبابها وعن القوانين التي تحكمها لتربطها مباشرة بالإرادة الإلهية . . وتقضي نهائياً إرادة الإنسان في التاريخ . . وتسقطنا في حبال الجبر والصرف . . ان هذا التوهّم مدفوع بحزم وقوة . . لأن فعالية (الله) في المجتمع والطبيعة والتاريخ لا تعني البتة تحنيط الإنسان وتجميد إرادته . .

وعلى مستوى (الدولة) لا تخلو العقيدة من مدلولات هامة . . ففي رسالة (منابع القدرة في الدولة الإسلامية) تحدث باقر الصدر عن عطاءات العقيدة في هذا المضمار واعتبر الدولة الإسلامية نموذجاً فريداً لما تمتاز به من خصائص تجعل حركتها الحضارية حركة مستمرة لاستنادها إلى عقيدة توحيدية صلبة . فالتركيب العقائدي للدولة الإسلامية الذي يقوم على أساس الإيمان بالله وصفاته وتجعل

من الله هدفاً للمسيرة وغاية للتحرك الحضاري الصالح على الأرض هو التركيب العقائدي الوحيد الذي يمد الحركة الحضارية للإنسان بوقود لا ينفذ^(٥٤).

ان العقيدة الإسلامية تحول عمل المسلم وحركته في ظل المجتمع المسلم والدولة المسلمة إلى عبادة تنهأوى معها الحواجز بين السماء والأرض . . والحياة والغيب ويندمج الإنسان في مسيرة متوازنة بالله نَحْوُهُ سبحانه وتعالى .

النقلة المنهجية الخامسة :

من المذهبية الجدلية إلى الإنسانية اليقينية

قدم (علم الكلام) في تاريخه الطويل خدمات جليلة للعقيدة الإسلامية في نصره الدين ودحض الشبهات وتبكيته الخصوم إلا أنه بقي قاصراً إلى مراحل تاريخية متقدمة ان يتجاوز طابع الجدل الذي انعكس بقوة على مطالب العلم وموضوعاته ومناهجه وآلياته .

إن السمة الجدلية لهذا العلم خاصة في المرحلة الثالثة من تاريخه افرزت عدة عوائق ساهمت في تعطيل نمو هذا العلم بالشكل المطلوب وحبسته

في دائرة ضيقة فأفتقد الحس الموضوعي في عرض آراء الخصوم ومناقشة المذاهب الأخرى وكتب الملل والنحل شاهدة على ذلك بما تعج به من افتراءات واختلاق فرق لا وجود لها إلا في مخيلة بعض المصنفين بغية ان تأتي تصنيفاتهم مطابقة لحديث رسول الله ﷺ : (تنقسم أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة . . .) .

لقد بلغ التعصب المذهبي الذي غذاه المنحى الجدلي أن تتوسل بعض الفرق بالسلطان للتنكيل بالفرق الأخرى والشواهد التاريخية على ذلك عديدة .

النقلة الهامة والخروج عن دائرة الجدل إلى الصبغة البرهانية كانت اساساً على يد الخواجة (نصير الدين الطوسي) كما اشرنا في الفصل الاول من هذه الدراسة فاتحدت مطالب هذا العلم بالفلسفة والتفكير الفلسفي ، (ويكفي الاشارة هنا إلى أن بدء محاولة شرح موضوعات علم الكلام بالموضوعات الفلسفية كانت على يد أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . . . ولكن الرائد الحقيقي لهذا التطبيق هو نصير الدين الطوسي في كتبه الفلسفية والكلامية خاصة في كتابه (التجريد) وليس من الإنصاف العلمي ان نجعل هذه المحاولة بدأت مع عضد الدين

الاجبي ونغفل عن الإشارة إلى الرائد الاول لها كما فعل الدكتور ابراهيم مذكور في الفلسفة الإسلامية^(٥٥).

إن الحقبات المظلمة لتاريخ هذا العلم من التحجر والجمود هو مظهر من مظاهر تاريخ المذهبية المغلقة والتعصب المقيت في تراثنا الفكري حيث لا يرى الباحث الحق إلا من خلال معتقده ومذهبه ولا يشاهد في الآخر سوى معالم الكفر والزندقة والانحراف فينبري طاعناً في المذاهب الأخرى رافعاً سيف التشهير والتبري. حتى اشتهر عن الغزالي قوله: (اعلم ان للفرق في هذا مبالغات وتعصبات انتهت بعض الطوائف إلى تكفير كل فرقة سوى الفرقة التي يعزى إليها) فكلامه ليس بعيداً عن الواقع التاريخي الذي غابت عنه الموضوعية في عرض المذاهب ودراسته الاديان والمدارس الاخرى وبتأمل متفحص في كتب الملل والنحل نلمح بجلاء هذا الجنوح إلى تزكية (مذهب الأنبا) وإلغاء الآخر ورميه في قاع جهنم موصوفاً بكل النعوت المنفرة: فهذا « عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) » لا يكاد يعرض مذهباً من مذاهب الخصوم على وجهه الصحيح ، و « الشهرستاني نفسه (ت ٥٤٨ هـ) »

صاحب الملل والنحل رغم ما شرطه على نفسه في مقدمة كتابه (وشرطت على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله وان كان لا يخفى على الافهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل وبالله التوفيق)^(٥٦) ، ولكنه لم يلتزم بما شرطه على نفسه وجاوز حد الموضوعية في كثير من المسائل يقوم عن ذلك أحمد أمين (ورأيت مؤلفي العرب كالشهرستاني والقفطي وامثالهما قد خلطوا حقاً وباطلاً فكثيراً ما نسبوا القول إلى غير قائله ...) ، لقد بحث كل من ممثلي العلم المللي النحلي الإسلامي ضمن اطار انتمائه الفكري والعائدي عن الفرقة التي كان بإمكانه أن يقول هنا الحقيقة وان كانت هذه الصياغة ظاهرة مميزة للكتابات الأولى على الأقل في مفاهيمها المباشرة فإنها تعمقت في وقت لاحق إلى الدرجة التي لم يعد الحاسم فيها مفهوم الانتماء المباشر للإسلام فقط بل ومضمون العقائد الإسلامية ذاتها (فالنوبختي) الذي لم يشر إلى الحديث (حديث الفرقة الناجية) لم يُقته ان يحقق واقع الانقسام القائم في صراع

الفرق ودعوى التمثيل الانتمائي للفرق الناجية (أو أهل السنة والجماعة) بعبارة (كل منهم يدعي نفسه جماعة رغم أن واقعهم أو ما ينطبق عليهم ليس معنى الاجتماع بل معنى الافتراق)^(٥٧) .

ولم يفلت كذلك (ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) و (الرازي (ت ٦٠٦ هـ) و (الملطي (ت ٣٧٧ هـ) من هذه الضوابط الصارمة الموغلة في التمثيل والإصرار على تمثيل الجماعة ونصرة اعتقاد أهل السنة والجماعة .

لقد كسرت النقلة من الجدل إلى التفلسف على يد الخواجة إلى حد كبير هذا الطوق ولكن . . النقلة الهامة التي حدثت في تاريخنا المعاصر هي الانتقال من البرهان إلى اليقين هذه النقلة أبدعها باقر الصدر من خلال المذهب الذاتي في المعرفة حيث جعل التوالد الذاتي هو الأساس القائم على اساس تراكم الاحتمالات (راجع النقلة الأولى من هذا الفصل) كما جعل اليقين الذاتي هو الأساس في التوالد المعرفي وقتن هذا التوالد واليقين الذاتي كما شرحنا سابقاً .

إنه اليقين الذي يحصل بتراكم القيم الاحتمالية . . والذي يوجب الاقتناع وفناء القيم

الاحتمالية الضعيفة . . هو الطريق الاوسع لاكثر معارفنا . . ولذلك يفتح الباب واسعاً لأي كان . . للوصول إلى معرفة الله . . وبقية الاصول الاعتقادية . . لن يغلق الباب تحت أي عنوان فئوي أو مذهبي أو طبقي أنها طريقة معهودة لدى الناس جميعاً فالنهج الاستقرائي قريب إلى اذهان الناس لانهم عهدوه في تجاربهم الحسية اليومية وعهدته الحضارة الغربية وشادت عليه بنيانها وصرحها العلمي والحضاري ولذلك فانه قريب لروح هذه الحضارة . . التي بلغت ما بلغته من اوج التقدم التقني والقوة المادية والصناعية عبر المنهج العلمي الاستقرائي ، ان هذه الحضارة كما سلمت به (المنهج الاستقرائي) في مجال العلم والتكنولوجيا عليها ان تسلم به في مجال الاعتقاد والايمان بالله . . ان المنهج الذي قاد إلى كل هذا الزخم العلمي والتقني يقود . . بنفس الخطوات إلى الايمان بالله عزوجل إنه التحدي الكبير الذي يُجابه به باقر الصدر أرباب الحضارة الغربية والاختبار الصعب للضمير الإنساني الغربي ومصداقيته . . لانه ان كان حقاً صادقاً لا تمرزه ازوداجية مريضة لماذا لا يسلم بالنتائج على الصعيد الثاني ويلتقي بالغاية المقصودة ؟

إن باقر الصدر .. بنى بنظريته هذه القاعدة المنهجية المعرفية الصلبة للحوار مع الغرب .. وهذه القاعدة تمثل حاجة ماسة خاصة في ظل الدعوات الملحة والمتكررة لحوار الحضارات .. ليكون حواراً مرتكزاً على أسس علمية ولا يتحرك في فراغ .. ان المذهب الذاتي للمعرفة يمكن أن يشكل الاطار المعرفي لهذا الحوار وبالتالي يقرب الهوة بين الشرق والغرب ليلتقيا على كلمة سواء (معرفة الله) .

وفي الوقت الذي يعلن الغرب فيه موت الإنسان يعمّق ويؤصل مفكرنا العظيم (نظرية الإنسان) ويقدم بحوث العقيدة على أنها نظرية للإنسان والحياة .. وطريق الخلاص .. في الوقت الذي ينظر فيه الغرب لموت الإنسان وضياع المعنى .. وتلاشي القيم يعلن باقر الصدر قيام الإنسان وانتصار القيم وحتمية الخلاص .. الخلاص للارض ولل البشرية جمعاء .. لان الإسلام في حله للمشكلة الاجتماعية وفي أطروحاته العقائدية والفكرية لا يفرق بين إنسان وإنسان .. إنه يحمل حلم البشرية وهمومها .. بدون انغلاق على فئة أو عرق أو مذهب : وهذا يدن الصدر في مسيرته العلمية وجهوده الجبارة في صياغة النظرية

الإسلامية .

انه يحمل هموم الإنسان .. ويقترح حلاً اجتماعياً للإنسان .. ويقدم منهجاً معرفياً لكل انسان .. يمكن أن يوصله إلى الرؤية الكونية التوحيدية وهو عندما يناقش المدارس والمذاهب الأخرى ، ولقد بارز أهم التيارات الفكرية المعاصرة يناقشها بكل موضوعية وتجرد .. متنزهاً عن كل تعصب أو افتراء حتى ان اصحاب هذه الاتجاهات يقولون بأن عَزْضَهُ لاطروحاتهم بلغت من النزاهة ما يفوق التصور .

لقد تجاوز باقر الصدر أطر التاريخ الفارقة في الجدل .. ليدخل في حوار إنساني مفتوح يستهدف بناء المنهج الصحيح والافتناع بالحل الامثل .

ومن الغريب حقاً أن يرمي (فهمي جدعان) رموز الفكر الإسلامي المعاصر بأنهم لم يرصدوا التحولات العلمية والفلسفية الحديثة في معرض إثبات التوحيد يقول : (لكن مشكلة رواد هذا التطور انهم لم يتابعوا بالجدية الكافية سير العلم الحديث والفلسفة الحديثة وتطوراتها من أجل تأسيس المبدأ نفسه مبدأ التوحيد فهم قد ظلوا في الغالب الأعم يدورون

حول حلقة الأدلة القديمة التي لم تعد تعني

في الواقع شيئاً ذا بال في عالم بات يلزم أهله بإعادة النظر في أنماط المعرفة والعقل الموروث كله^(٥٨)... ان تغييب باقر الصدر وأمثاله كمطهري والسيد الطباطبائي.. هو الذي أوقع الجدعان في الوهم.. وإلا فان إطلاله على إنتاج هؤلاء الفلاسفة وعلى نتاج الصدر خاصة (فلسفتنا واقتصادنا والأسس المنطقية) كافية للكشف عن باع هؤلاء عامة والصدر خاصة في مقارعة الفلسفة الحديثة والنظريات العلمية الجديدة واستفادتهم من هذه الثقافة المعاصرة في تأصيل النظرية الإسلامية وتشديد أركانها.

هذه هي النزعة الموضوعية الانسانية.. التي تستهدف اليقين والاقناع وتعالى عن الجدل والتمذهب يكرسها باقر الصدر أيضاً في حوار مع الاتجاهات الأخرى داخل الفكر الإسلامي.. فرغم

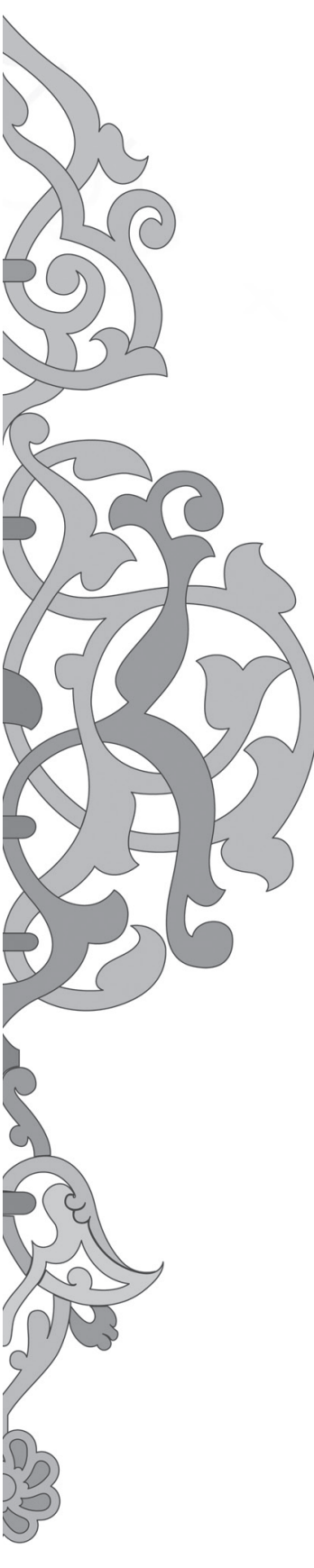
تعاطيه مع أكثر المسائل حساسية في تاريخنا الإسلامي (خلافة رسول الله ﷺ ومسألة ولاية الإمام علي عليه السلام وقضية فدك.. ودور الأئمة عليهم السلام) في التاريخ ومسألة الإمام المهدي عليه السلام).. ورغم النفس المذهبي الطاغي في التعامل مع مثل هذه القضايا.. إلا أن باقر الصدر استطاع أن يبحث هذه المسائل بأسلوب علمي رصين استفاد فيه من الآليات والتحويلات المنهجية التي ابتكرها.. وادرك نتائج هامة.. لا تزال ماثرة بحث وتحليل العديد من الدراسات.

لقد انطبع خطابه السياسي أيضاً بهذه السمة حيث حرص أن يكون رمزاً.. لكل المسلمين في العراق^(٥٩).. بل لكل العراقيين حتى وصفته الصحافة البريطانية في السنوات الأخيرة بأنه كان مؤهلاً ليجسد مانديلا العراق^(٦٠).

الهوامش :

- [١] شبلي ملاط ، تجديد الفقه الإسلامي : محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم ، ص ٢٥٠ .
- [٢] محمود الهاشمي ، بحوث في علم الأصول ، المجمع العالمي للشهيد الصدر ، مج ٤ ، ص ١٤٠ .
- [٣] محمد باقر الصدر ، الأسس المنطقية للاستقراء ، دار التعارف للمطبوعات ، لبنان ، ١٩٨١ ، ص ١٣٥ .
- [٤] م . ن ، ص ٤٧٠ .
- [٥] م . ن ، ص ٤٥٢ .
- [٦] م . ن ، ص ٤٧٢ .
- [٧] م . ن ، ص ٥٠٤ .
- [٨] م . ن ، ص ٤٨٠ .
- [٩] م . ن ، ص ٤٩٧ .
- [١٠] م . ن ، ص ٤٨٥ .
- [١١] م . ن ، ص ٤٩٠ .
- [١٢] م . ن ، من ص ٤٩٥ إلى ص ٤٩٩ .
- [١٣] م . ن ، ص ١٤١ .
- [١٤] م . ن ، ص ٢٥١ .
- [١٥] م . ن ، ص ٣٠١ .
- [١٦] م . ن ، ص ٣٠١ .
- [١٧] م . ن ، ص ٣٤٠ .
- [١٨] م . ن ، ص ٣٦٠ .
- [١٩] انظر : مناظرة في الأسس المنطقية للاستقراء في ضوء دراسة الدكتور سروش واشتباهاات هذا الأخير .
- [٢٠] محمد باقر الصدر : الأسس المنطقية للاستقراء ، ص ١٤٠ .
- [٢١] م . ن ، ص ٣٦٩ .
- [٢٢] محمد باقر الصدر ، المدرسة القرآنية ، دار التعارف ، ص ١٠ .
- [٢٣] م . ن ، ص ١٨ .
- [٢٤] م . ن ، ص ٣٦ .
- [٢٥] م . ن ، ص ٣٧ .
- [٢٦] م . ن ، ص ١٩٩ .
- [٢٧] محمد باقر الصدر ، أهل البيت : تنوع أدوار ووحدة هدف ، دار التعارف ، ص ١٤١ .
- [٢٨] م . ن ، ص ١٤٢ .
- [٢٩] م . ن ، ص ١٤٤ .
- [٣٠] م . ن ، ص ١٤٤ .
- [٣١] محمد باقر الصدر : فلسفتنا ، دار التعارف ، ص ١٩١ .
- [٣٢] انظر فلسفتنا من ص ١٩٢ إلى ص ٢٦٠ .
- [٣٣] م . ن ، ص ٢٠٠ .
- [٣٤] م . ن ، ص ٢١٠ .
- [٣٥] محمد باقر الصدر : أهل البيت (م . س) ص ٣٩ .
- [٣٦] انظر تفاصيل هذا التطور في كتاب : أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف ص ٣٩ - ٤٠ .
- [٣٧] لاحظ بحث الشهيد مطهري : ختم النبوة ، ودراسة السيد الطباطبائي حول النظام الاجتماعي في الإسلام .
- [٣٨] محمد باقر الصدر : أهل البيت (م . س) ، ص ٣٨ .
- [٣٩] محمد باقر الصدر : أهل البيت (م . س) ، ص ٣٨ .
- [٤٠] م . ن ، ص ٤٣ .
- [٤١] هو السيد محمد الصدر : في موسوعة الإمام المهدي (عج) : الجزء الرابع ، اليوم الموعود .
- [٤٢] انظر تفاصيل وخصائص كل مرحلة في كتاب : اليوم

- [٥٣] م . ن ، ص ١٣٦ .
- [٥٤] محمد باقر الصدر ، الإسلام يقود الحياة ، (م . س) ص ٢٠٢ .
- [٥٥] جعفر آل ياسين ، الفكر الإسلامي عند العرب ، دار المناهل ، ١٩٩٣ ص ٩٨ .
- [٥٦] الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاي ، ص ١٦ .
- [٥٧] ميثم الجنابي ، علم الملل والنحل ، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، ص ٥٣ .
- [٥٨] فهمي جدعان : اسس التقدم ، (م . س) ، ص ٥٤٤ .
- [٥٩] انظر النداءات الثلاثة الأخيرة .
- [٦٠] الفينانشال تايس : ١٢ آذار ١٩٩٧ مقالة للصحفي الشهير ادورد مورغر عن محمد باقر الصدر (الرجل الذي كان من الممكن أن يكون مانديلا العراق) (نقلا عن تجديد الفقه الإسلامي لشبلي ملاط ص ١١) .
- الوعد للسيد محمد الصدر من ص ٤٢٦ فما فوق .
- [٤٣] انظر أمين أحمد : زعماء الإصلاح في العصر الحديث .
- [٤٤] فهمي جدعان : اسس التقدم ، (مصدر سابق) ، ص ١٨٩ .
- [٤٥] محمد باقر الصدر : منابع القدرة في الدولة الإسلامية (الإسلام يقود الحياة) ، دار التعارف ، ص ٢٢٨ .
- [٤٦] محمد باقر الصدر ، المدرسة الإسلامية ، دار الكتاب الإيراني ، ص ٨٤ .
- [٤٧] م . ن ، ص ٨٧ .
- [٤٨] م . ن ، ص ٨٨ .
- [٤٩] م . ن ، ص ٩١ إلى ٩٣ .
- [٥٠] م . ن ، ص ٩٧ .
- [٥١] محمد باقر الصدر ، المدرسة القرآنية (م . س) ، ص ١٣١ .
- [٥٢] م . س ، ص ١٣٤ .



الْوَعْيُ بِاللَّهِ تَعَالَى

مِنَ الْمَفْهُومِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى الْمَفْهُومِ الْفِكْرِيِّ

❖ أ. د. محمد عثمان الخشت (*)

.....
(*) أستاذ فلسفة الدين والمذاهب الحديثة والمعاصرة / مصر.

تفاوتت الأديان والفلسفات في المعاني التي فهمت بها الألوهية ، وربما يمكن القول إنّ للألوهية معاني متعددة بتعدد الأديان والفلسفات ، منها :

— المعنى الوجودي : وحسبه يفهم الإنسان الألوهية بوصفها أصل الوجود ومنبعه ، وهي الوجود الحق والأول والسرمدى . . . الخ .

— المعنى القانوني والسياسي : وحسبه تنظر بعض الأديان إلى الله باعتباره الحاكم للأمة ، والمشرع لقوانينها .

المعنى الأخلاقي : وحسبه تنظر بعض الأديان إلى الله باعتباره منبع الضمير وأساس الأخلاق ، ولولاه لكان كل شيء مباحاً . ومن غيره لا يمكن قيام نظام أخلاقي حقيقي .

المعنى الاجتماعي : وحسبه تنظر بعض الأديان مثل الطوطمية إلى الله باعتباره الجد الأعلى للقبيلة ، وأساس وحدتها وتميزها واستمرارها في

الوجود .

المعنى المنطقي : هو المعنى الذي يتصور الله باعتباره الموضوع الذي لا يحمل على غيره ، مثلما ذهب أرسطو .

* الإلهيات المفارقة والطبيعية :

إذا كانت الإلهيات تدور حول معرفة الإله باعتباره الكائن الأول بإطلاق ، فإن هذه المعرفة لها وسائل متعددة ، منها العقل ، ومنها الوحي^(١) .

والمعرفة العقلية للكائن الأول أو الله ، إما أن تكون عن طريق العقل المحض الذي يستخدم مفاهيم مجردة ومفارقة ، وهنا تسمى « إلهيات مفارقة » . وإما أن تكون عن طريق مفهوم مشتق من الطبيعة (طبيعة نفسنا مثلاً) ، وهنا تسمى « إلهيات طبيعية » . ويطلق على المعتقد في الإلهيات المفارقة « تأليهي » ، أما المعتقد في الإلهيات الطبيعية

فيطلق عليه « تأليهي طبيعي » .

وكل ما يعرفه التأليهي هو أن الله موجود ، لكنه لا يعرف طبيعته . حيث يذهب التأليهي إلى أنه يمكن معرفة وجود الله بواسطة العقل وحده ، لكن المفهوم الذي يمكن تكوينه عن هذا الوجود من وجهة نظر التأليهي مجرد مفهوم مفارق ، وعلى هذا النحو لا يمكن التفكير في الله إلا بوصفه كائناً يتمتع بوجود واقعي فحسب ، دون إمكانية تعيين طبيعة هذا الوجود الواقعي بدقة .

أما التأليهي الطبيعي فيدعي أن العقل يستطيع معرفة أن الله موجود وتعيين طبيعة وجود الله وتحديد بطريقتة أدق بواسطة التمثيل مع الطبيعة ، لأنه من وجهة نظره كائن يمتلك الفهم والحرية ويتضمن في ذاته المبدأ الأصلي لجميع الأشياء الأخرى .

فالتأليهي يتصور الله مجرد علّة للعالم ، ولا يحسم مسألة تعيين كيفية طبيعته . . في حين أن التأليهي الطبيعي يتصوره مبدعاً للعالم ، عاقلاً ، وحرّاً ، وعليماً . . الخ .

وتنقسم الإلهيات المفارقة إلى نوعين :

إلهيات كونية تظنّ أنها تشتقّ وجود الكائن الأصلي من التجربة بعامة دون أن تحدّد أيّ شيء دقيق عن العالم الذي تنتهي إليه هذه التجربة . إلهيات أنطولوجية تظنّ أنها تعرف وجود الله بدون الحاجة إلى أيّ تجربة .

وتستدل الإلهيات الطبيعية على صفات خالق العالم ووجوده من القوام والنظام والوحدة التي تصادف في العالم ، اعتماداً على التسليم بنوع مزدوج من السببية ، أي بالطبيعة والحرية ، وترتفع إذن من هذا العالم إلى العقل الأسمى بوصفه مبدأ لكل نظام وكمال سواء كانا طبيعيين أم خلفيين ، وتسمى في الحالة الأولى إلهيات طبيعية ، وفي الثانية إلهيات أخلاقية . . وهذه عند كنت غير الأخلاق اللاهوتية ، لأن الأخيرة تتضمن قوانين خلقية مؤسسة على وجود سيد أسمى للعالم ، في حين أن الإلهيات الأخلاقية هي اقتناع بوجود كائن أسمى مؤسس على قوانين أخلاقية .

وإذا كان من المعتاد أن يفهم من « مفهوم الله » أنه كائن أسمى ، مبدع للأشياء بما يتمتع به من فهم وحرية ، وليس مجرد أصل للأشياء ذو طبيعة

سرمدية تفعل عشوائياً ، فإن من الممكن إنكار إيمان التآليهي بالله ، لأنه لا يؤمن إلا بكائن أصلي ، بينما مفهوم الإبداع بواسطة العقل والحرية ليس يقيناً بالنسبة له . لكن نظراً لأن عدم القدرة على الإثبات لا يستلزم بالضرورة الإنكار ، فإنه يجب ألا يتهم شخص ما بأنه يؤيد أن ينكر شيئاً بسبب أنه لا يجرؤ على إثباته . . ومن ثم فإنه من العدل القول بأن التآليهي يؤمن بالله ، بينما التآليهي الطبيعي يؤمن بالله الحي ذي العقل الأسمى .

وتكشف وجهة نظر كُنت بالنسبة للتآليهي والتآليهي الطبيعي ، عن عدم مشروعية المعرفة التأملية اللاهوتية ، إذ إنه يعتبر أن محاولات العقل التي من هذا النوع ، إنما تنتمي إلى مجال المعرفة النظرية ، التي تغدو بدورها معرفة تأملية عندما تدور حول موضوع أو مفاهيم لموضوع لا يمكن أن نصل إليها في أي تجربة ، وبذلك تتعارض مع المعرفة الطبيعية التي لا تدور على أي موضوعات ولا أي محمولات لها غير تلك التي يمكن أن تعطى في تجربة ممكنة^(٢) ، والتجربة الممكنة مع كل ما فيها من شروط عقلية قبلية إلا أنها ما زالت تجربة في نطاق عالم الطبيعة أو عالم الظواهر وليست مجاوزة

له .

والخطأ الذي تقع فيه أي معرفة تأملية إلهية هو أنها تريد أن تطبق مبدأ المعرفة الطبيعية على الإلهيات ، إذ إنَّ المبدأ الذي نستخدمه للاستدلال من المسبب على السبب في عالم الظواهر ، أي مبدأ السببية ، إنما هو مبدأ لمعرفة الطبيعة ، لا للمعرفة التأملية . ولا يوجد أي مسوِّغ لتطبيق مبدأ عالم الطبيعة على عالم الشيء في ذاته ، ولو حدث هذا لفقد دلالاته . . فعندما نستدل من وجود الأشياء في العالم على علتها ، فإن ذلك يكون باستدلال ينتمي إلى الاستعمال التأملي للعقل ، لا إلى استعماله الطبيعي ، لأن هذا الأخير لا يمكنه التحدث إلا عن أحوال الأشياء بوصفها حوادث تجريبية ، لا بوصفها أشياء في ذاتها . كما لا يمكنه أن يستدل من الأشياء على علة متميز تمام التميز عن العالم ، لأن الموضوع لا يمثل هنا موضوع تجربة ممكنة ، ومبدأ السببية لا يصدق إلا في عالم الظواهر الذي يعد الحقل الوحيد للتجارب ، وليس له استعمال خارج هذا الحقل كما أنه ليس له دلالة خارجية ، وإذا لم يلتزم بذلك فسيكون قد انحرف تماماً عن مقصوده المشروع .

ويصرح كنت تصريحاً حاسماً لا يصدر عادة إلا عن فيلسوف ذي نزعة نقدية صارمة معادية للالهوت والمثالية التاريخية، بأن كل محاولات العقل التأملية بخصوص الإلهيات، إنما هي محاولات عقيمة تماماً، ولا طائل من ورائها بحسب طبيعتها الداخلية، كما أن الاستعمال الطبيعي لا يمكن أن يصل إلى معرفة أي شيء إلهي، لأن كل مبادئ الفهم التأليفية هي ذات استعمال محايث لعالم الظواهر، بينما تقتضى معرفة كائن أسمى استعمالاً مفارقاً ليس فهمنا مُعداً له . وحتى يمكن لقانون السببية الذي يصدق تجريبياً فقط أن يؤدي إلى الكائن الأول، فإنه يجب أن ينتمي هذا الكائن إلى سلسلة موضوعات التجربة، لكنه سيكون عندئذ مشروطاً بدوره، شأنه شأن كل الظواهر، حتى لو سُمح لنا بالقفز خارج حدود التجربة بواسطة القانون الدينامي للصلة بين المسببات وأسبابها، فأى مفهوم يمكن أن تقدمه هذه الطريقة؟ يجب كنت بأنه لا يمكن أن تقدم لنا مفهوماً، فهيهات أن نصل لمفهوم عن كائن أسمى، لأن التجربة لا تقدم البتة أكبر المعلومات الممكنة بأسرها بوصفه شاهداً على علته^(٣).

إذن فالعلة الأولى ليست مفهوماً، الأمر الذي يؤكد أن عالم الشيء في ذاته عند كائنا موضوع معرفي زائف، ومن ثم فإن كنت لم يُقَيّد العقل لكي يفسح مجالاً للإيمان الديني، بل لكي يثبت أن أي موضوع إيماني لا يصل إلى مرتبة المفهوم المعرفي، ولذا فإنه وهم لا يقوم عليه دليل من الأدلة المتاحة لنا عبر عالم الظواهر، وهو لا يتعدى كونه حاجة إنسانية لملء الفراغ في العقل الإنساني، ملء فجوة التعيين الشامل على حدّ تعبير كنت .. يقول:

“إذا كان من المسموح لنا فقط حتى لا نترك أي فراغ في عقلنا أن نملاً فجوة التعيين الشامل هذه بمجرد فكرة عن الكمال الأسمى والضرورة الأصلية، فهذا يمكن التسليم به دون شك بوصفه مراعاة لنا، ولا يمكن التسليم به مطلقاً باسم أي دليل حاسم”^(٤).

وفي نص آخر لكنت أكثر حسماً في بيان صدق تأويلنا لعلاقة العقل بالإيمان عند كنت، ولرفضه القاطع لأي نوع من أنواع اللاهوت الديني القائم على تجاوز عالم الظواهر، الأمر الذي يمثل اعترافاً ضمناً بالوقوف عند حقل التجربة الممكنة .. في نصّ أكثر حسماً يقول كنت:

“إن كل استدلالنا التي تريد أن تقودنا خارج حقل التجربة الممكنة هي استدلالات مخادعة بدون أساس . . إن للعقل البشري ميلاً إلى تخطي هذه الحدود ، وتعد الأفكار المفارقة طبيعة ملازمة بالنسبة له بقدر ملازمة طبيعة المقولات بالنسبة للفهم ، مع وجود خلاف واحد يتمثل في أن مقولات الفهم تؤدي إلى الحقيقة ، أي تطابق مفاهيمها مع الشيء ، بينما الأفكار المفارقة لا تولد إلا مظاهر خادعة Der Schein (في الحكم) لا مفر منه (أي يبدو الشيء على نحو مخالف لحقيقته) ولا يمكن لأعنف نقد أن يمنعه من خداعنا . . إن الأفكار المفارقة لو أسّـيء فهم معناها واتخذت بمثابة مفاهيم عن أشياء متحققة ، فستصبح عندئذ مفارقة في التطبيق ، وبذلك بالذات تكون مخادعة^(٥) .

هل يجوز بعد هذا أن نتحدث في فلسفة كنت عن عالم الأشياء في ذاتها عالم الإيمان بوصفه مشتملاً على أشياء متحققة ؟ وإذا كانت التحليلات والنصوص السالفة تنفي هذا ، فهل يجوز أن نصدق أن كنت كان يقصد إلغاء المعرفة لإفساح المجال للإيمان الديني ؟ ربما نصدق كنت في ذلك إذا كان مقصده إلغاء المعرفة لإفساح المجال للإيمان

الأخلاقي لا للإيمان الديني . . وشتان بين الاثنين ، كما سنوضح لاحقاً ، حيث إنه رفض الثاني في الوقت الذي أفسح فيه المجال للأول . وكثير من نصوصه في ضوء المقصد العام لفلسفته ، تقف كشاهد على رفضه النقدي لعالم الإيمان الديني وعلى توجهه الظاهر نحو الأطروحة التي تكتفي بهذا العالم في نطاق الابتسمولوجية ، وإن كانت أفسحت المجال لعالم آخر فهو عالم ميتافيزيقا الأخلاق ، أو إيمان العقلي العملي المحض .

*** أدلة وجود الله : توجد أدلة متعددة على وجود الله ، أشهرها ثلاثة أدلة ، هي :**

١. الدليل الأنطولوجي (الوجودي)

قال به القديس أنسلم ، وديكارت . وبشيت وجود الله عن طريق تحليل تصويره ككائن كامل . ويمكن التعبير عن الدليل الأنطولوجي بأكثر من صورة قياسية ، فمثلاً يمكن وضعه في القياس الآتي :

- فكرة الله (أو فكرة أكثر الكائنات كمالاتاً) هي فكرة عن شيء ينسب إليه عدد لا نهائي من الصفات التي تشتمل على الكمال المطلق .

- الوجود صفة تتحقق فيما له الكمال المطلق .

إذن : لا بدّ أن يكون الله موجوداً .

ففكرة شيء له كل الكمالات الممكنة لكن ليس له وجود فعلي فكرة متناقضة ، أي إنه إذا كان لديّ فكرة عن كائن أسمى لكن ليس له وجود فعلي ، فقد وقعت في تناقض ، حيث يلزم أن يتحقق في الكائن الأسمى بوصفه أكثر الكائنات كمالاً صفة الوجود الفعلي ، لأنها أحد أوجه الكمال .

فالدليل الوجودي ينطلق من فكرة الكمال المطلق . ومن المعروف أن ديكارت قد استدل على وجود الجوهر الإلهي باستخدام الدليل الوجودي انطلاقاً من فكرة الكمال المطلق وهذا الاستدلال له عدة صور عند ديكارت :

أولها : لدي تصور عن الجوهر ، لأنني ذاتي جوهر ، لكن هذا لا يمكن أن يكون أساس تصوري للجوهر اللانهائي ؛ لأنني متناه ، ومن ثم فتصور الجوهر اللانهائي لا بدّ أن يكون ناشئاً عن جوهر لانهائي موجود بالفعل . وبتعبير آخر لدى الإنسان فكرة الكمال ، ولا يمكن أن يكون هو مصدرها لأنه كائن ناقص ، لذا فإن مصدرها هو الكائن الكامل

نفسه ، ومن ثم فالله موجود^(٦) .

وثانيها : إن تصور كائن كامل غير موجود ينطوي على تناقض لأن الوجود من سمات الكمال ، فالقول بأن الله الكامل غير موجود تناقض مثل التفكير في جبل بلا وادٍ . إذن فالله الكامل موجود^(٧) .

وثالثها : لدي فكرة الكمال ، ولو كنت علة وجودي لكنت قد خلقت نفسي كاملة ، لكنني كائن ناقص ، ومن ثم فقد خلقتني كائن آخر غيري ، فهل هذا الكائن كامل أم ناقص ، لو كان ناقصاً لما أعطاني فكرة الكمال ، لأن السبب يحوي دائماً ماهية وجود أكثر مما يتضمن الأثر ، فلا يمكن للأقل أنطولوجياً ، وهو الفكرة ، أن يكون السبب لشيء أعلى مثل الجوهر الإلهي . وإذن لا بدّ أن يكون سبب وجودي وهو الجوهر الإلهي موجوداً كاملاً . أو على الأقل لا بدّ « أن يكون في العلة من الحقيقة قدر ما في معلولها . وإذا صحّ هذا فمن حيث إنني شيء يفكر وفي نفسي فكرة عن الله ، كائنة ما كانت علة وجودي ، فلا بد من التسليم بأن هذه العلة هي أيضاً شيء يفكر ، وأنها مالكة لفكرة جميع الكمالات التي أنسبها إلى الله »^(٨) .

الكافي، أي « مبدأ لا شيء يوجد بلا سبب »^(١٠)، يصل لينتزع إلى الموناد الأعظم "الله" الذي هو فوق كل المونادات، فمن الممتنع التسلسل إلى ما لا نهاية في سلسلة المخلوقات، والأجسام تقبل القسمة في سلسلة لا متناهية، ولذا من اللازم أن يكون هناك سبب أو علة كافية خارج سلسلة الأشياء، وهذه العلة هي « الموناد الأعظم والموناد الوحيد غير المخلوق »^(١١).

وهذه العلة جوهر، ويلزم أن تكون علة واحدة؛ لأنه « لما كان هذا الجوهر سبباً كافياً لكل التغيرات أو التفاصيل، ولما كانت كل التغيرات أو التفاصيل ترتبط معاً في (كُل) ، فيوجد إله واحد فقط، وهذا الإله كاف »^(١٢).

ومن صور الدليل الكوسمولوجي دليل لوك الذي يعتمد على مبدأ السبب الكافي؛ فالدليل على وجود الله أن الإنسان يعرف باليقين الحدسي Intuitive Certainty أن العدم لا يمكن أن يكون مصدر الوجود، وإذا كنا موجودين، وكل ما هو موجود له بداية، فلا بد أن يكون ثمة شيء أزلي هو الذي أنشأ هذه الموجودات، ويستحيل أن يكون هذا الشيء هو المادة؛ لأنها غير عاقلة ولا يوجد فيها

وقد انتقد توما الأكويني، ومن بعده كنت، هذا الدليل، على أساس عدم مشروعية الانتقال من الفكر إلى الوجود.

٢- الدليل الكوسمولوجي (الكوني)

الدليل الكوسمولوجي (أو دليل حدوث العالم كما يسميه ليبنتز) قال به أرسطو وليبنتز وغيرهما، ويجري التعبير عادة عن هذا الدليل في شكل قياسي يتخذ الصورة الآتية:

- إذا وجد شيء، فينبغي أن يوجد أيضاً كائن ضروري ضرورة مطلقة.

- والحال أنني أنا نفسي أوجد على الأقل.

إذن: يوجد كائن ضروري ضرورة مطلقة^(٩).

ويستند هذا البرهان إلى القانون الطبيعي للسببية: لكل حادث سببه الذي إذا كان حادثاً بدوره، يجب أن يكون له سبب، وذلك حتى تتوقف سلسلة الأسباب التي يتتابع بعضها وراء بعض عند سبب ضروري ضرورة مطلقة، سبب بدونه لن تصل السلسلة إلى تمامها.

ومن صور هذا الدليل: الدليل الذي استخدمه ليبنتز، فعن طريق الاستناد لمبدأ السبب

٣ الدليل الغائي :

ويعرف أيضا بالدليل اللاهوتي الطبيعي . وقال به سقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقيون ويحدد كنت اللحظات الرئيسية للبرهان على النحو الآتي :

١- يوجد في كل مكان في العالم ، علامات بارزة على تنظيم منفذ بحكمة كبيرة طبقاً لمقصد معين ، ويوجد تنوع لا يوصف سواء من حيث مفهومه ، أو من حيث الكم الالامحدود لما صدقه .

٢- ولكن هذا التنظيم الغائي غريب كلياً عن أشياء العالم ، ولا ينتهي إلا بشكل عرضي ، أي إن طبيعة الأشياء المتنوعة لم يكن يمكنها بمساعدة هذا القدر من الوسائل المجتمعة أن تتفق تلقائياً مع مقاصد متعينة لو لم تكن تلك الوسائل قد اختيرت عن قصد وخصصت لهذه الغاية بمبدأ رتب الأشياء متخذاً من بعض الأفكار أساساً لعمله .

٣- يوجد إذن علة (أو أكثر) سامية وحكيمة لا بد أنها علة العالم ليس بوصفها طبيعية كلية القدر وعشوائية بواسطة خصوصيتها ، بل بوصفها عقلاً فعالاً بواسطة الحرية .

٤- وتستنتج وحدة هذه العلة من وحدة العلاقة المتبادلة بين أجزاء العالم منظور إليها

جميع القوى الموجودة في المخلوقات ، فلا يمكن أن ينشأ عنها موجودات عاقلة ومتمتعة بقوى عديدة مثلنا . وإذن فلا بد أن تكون علة الموجودات عاقلة ومتمتعة بكل القوى ؛ لأن ما يوجد في المعلولات لا بد أن يكون موجوداً في علتها ، وهذه العلة كاملة ولها كل الصفات الإيجابية ، لأنها هي مصدر كل ما في الموجودات من قوى وكل ما في الإنسان من علم ومعرفة^(١٣) .

من الواضح أن دليل لوك يعتمد على مبدأ السبب الكافي ، وهو شكل من أشكال الدليل الكوسمولوجي . ومن الواضح كذلك أنه دليل يتجاوز حدود نظرية المعرفة التجريبية عند لوك ؛ لأنه دليل استنباطي يتجاوز عالم الظواهر . ثم إن لوك يبدأ استدلاله بيقين حدسي وليس بيقين تجريبي ؛ وفي هذا عدم اتساق مع نظرية المعرفة التجريبية ، ووقوع في قلب المذهب الحدسي Intuitionism الذي يرى أن المبادئ والحقائق الأولية Primary Truths And Principles تُعرف مباشرة بالحدس .

بوصفها قطعاً من عمل فني ، ونستنتجها على وجه اليقين في الحد الذي تبلغه ملاحظتنا ، وعلى وجه الاحتمال فيما وراء ذلك طبقاً لمبادئ قياس النظر Analogie^(١٤) .

ولا يؤدي هذا البرهان من وجهة نظر كنت إلا إلى أن الله هو مهندس العالم ، لا خالق العالم ، لأنه يعتمد على قياس النظر ، وهذا القياس لا يؤدي إلى أن الله هو مهندس العالم ، لا خالقه ، حيث إنه يعتمد على التماثل بين الله والعالم من ناحية والإنسان الصانع من جهة أخرى . والقياس هنا باطل لأنه يفترض المعرفة بطبيعة الموجود الكامل أو الله ، بينما هذا ليس ممكناً . ولا يريد كنت أن يصدق أنه يمكن لأي امرئ أن يدعي أنه يدرك العلاقة بين كم العالم الذي يشاهده (من حيث المفهوم والمصدق) والقدرة الكلية ، وبين نظام العالم والحكمة الأسمى ، وبين وحدة العالم ووحداية خالقه المطلقة . ومن ثم فإنه يعتقد أنه لا يمكن لللاهوت الطبيعي أن يعطي أي مفهوم متعين عن العلة الأسمى للعالم ، ولذا فإنه لا يكفي لكي يقدم مبدأ للإلهيات التي تشكل أساس الدين .

وإذا أريد لهذا البرهان أن يكون منطقياً مع

نفسه ، فإن معرفة العالم لا تؤدي إلا إلى أن الله هو مهندس ومرتب العالم فحسب . أما إثبات أنه علة خلق العالم من عدم ، وأنه يحوز كل الكمالات ، فهذا ما ليس في مقدور هذا البرهان إثباته إذا ظل يعتمد على الطرائق التجريبية ، وبهيب بالبرهان الكوسمولوجي الذي يثبت وجود الله كعلة واجبة ضرورة من حدوث العالم .

* الإلحاد بعشرة وجوه :

ينصرف ذهن القارئ العام إلى أن الإلحاد Atheism هو إنكار وجود الله ، وفي الواقع ما هذا المعنى إلا وجه واحد من بين عشرة أوجه على الأقل للإلحاد ؛ فالإلحاد مصطلح متعدد الدلالات ؛ وأكثر دلالاته انتشاراً واستخداماً هي : إنكار وجود الله .

وله دلالات أخرى ، من أهمها :

١ - السلوك والتصرف في الحياة كما لو كان الله غير موجود مع الإيمان نظرياً بوجود الله ، وهذا هو الإلحاد العملي .

٢ - عدم الاهتمام بوجود الله أو عدم وجوده .

٣ - إنكار النبوات .

٤ - نسبة التحكم في بعض الظواهر الكونية إلى غير الله الأحد ، أو الشرك (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) (الحج : ٢٥)

٥ - وصف الله بما يتنزه عنه من صفات وأفعال ، أو تأويل أسمائه على ما لا يليق به (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) (الأعراف : ١٨٠) .

٦ - الاعتقاد في الإنسان كوعي ووجود مبدع دون الإيمان بموجود مفارق .

٧ - إنكار العناية الإلهية مع التسليم بوجود الله .

٨ - الاعتقاد في أن إنسانا ما له طابع إلهي أو من أصل إلهي .

٩ - تحريف تفسير آيات القرآن أو الطعن في صحتها (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) (فصلت : ٤٠) .

وسوف نستخدم مصطلح الإلحاد بكل هذه الدلالات ، مع التركيز بشكل أكبر في الدلالة الأكثر استخداما ، وهي إنكار وجود الله . . جريا على الاستخدام الشائع في عصرنا في مختلف القواميس والمعاجم والموسوعات . . وفي بعض الأحيان سوف

نلقي الضوء على الممثلين للإلحاد بالمعاني الأخرى . ومن المعروف أن المنكرين لوجود الله يرفضون كل قضايا ما بعد الطبيعة الأخرى ، مثل : الروح ، الملائكة ، النبوات ، الخ . ويرفضون الاعتراف بالعلل الأولى للطبيعة ؛ لأنها أمر يجاوز الإحساسات والمشاهدات . لكن هناك من ينكرون النبوات وفي الوقت نفسه يؤمنون بوجود إله ، وهم يعتبرون ملحدين حسب الاستخدام الذائع في التراث العربي للكلمة . فمن الملاحظ عدم وجود تطابق دقيق بين المعنى الغربي والمعنى العربي للكلمة ، فالمعنى الحرفي للكلمة في الغرب : نفي وجود الله ؛ أما المعنى الحرفي للكلمة في العربية فهو : مال وانحرف عن . . . ، وفي الفكر الغربي لا تطلق الكلمة على إنكار النبوات ، بينما في الفكر العربي الإسلامي يعتبر منكر النبوات ملحداً .

* تاريخية الإلحاد :

نشأ الإلحاد منذ وقت مبكر في مختلف الحضارات القديمة ، لكنه أخذ في التبلور كاتجاه فلسفي مع مطلع الفلسفة اليونانية . ومن ثم ترجع الجذور الفلسفية للإلحاد تاريخيا إلى الفلسفة اليونانية

التي بدأت في القرن السادس قبل الميلاد المسيح ؛ حيث اعتنق نفر من الفلاسفة اليونان الإلحاد ، نتيجة البيئة التي نشأوا فيها وهي بيئة كانت مليئة بالأديان الوثنية الشعبية ، وكانت حافلة بالشرك والمادية والخرافة ، والتصورات اللامعقولة عن الألوهية ؛ مما أوجد رد فعل عكسياً وهو الإلحاد . فضلا عن طريقة التفكير المادية في الوجود ، خصوصا عند المدرسة الأيونية التي فسرت الوجود تفسيراً طبيعياً مادياً .

وفي العصر الهيلينستي Hellenistic (يقع بين وفاة الإسكندر المقدوني عام ٣٢٣ ق . م . وسقوط الإسكندرية علي أيدي الرومان في عام (٣٠ ق . م .) ظهر ملحدون آخرون مثل أبيقور (Epicurus ٣٤١ - ٢٧٠ ق . م .) .

وفي الحضارة الإسلامية استُخدم وصف الإلحاد على كل من أنكر النبوة ، حتى لو لم ينكر وجود الله تعالى ، مثل ابن الرواندي ، ومحمد بن زكريا الرازي .

وفي الفلسفة الحديثة ، خاصة في القرن الثامن عشر ، ظهر هيوم Hume الذي أنكر المرتكزات التي يقوم عليها أي دين ، مثل وجود الله

تعالى والنبوة ، وخلود الروح .

وفي القرن التاسع عشر ذهب أوجست كونت (Auguste Comte ١٧٩٨ - ١٨٧٥) إلى أن العلم قد تجاوز الدين ، حسب ما يعرف باسم "قانون المراحل الثلاث" .

ومن ثم انتهى دور الدين عند كونت^(١٥) . وهو الأمر الذي ظهر أثره بوضوح عند رينان Renan في رفضه للأديان .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أعلن نيتشه (Nietzsche ١٨٤٤ - ١٩٠٠) موت الإله ، فليس الإله غير موجود فقط ، بل إنه مات . ولقب نيتشه بعدو المسيح^(١٦) ؟

وقد سار الإلحاد في اتجاه المذهب المادي المنكر لوجود الله تعالى ، مثلما هي الحال عند جاسندي ، ولامتري ودولباخ ، وهيكل ، وماركس Marx ، وإنجلز ، ولينين . كما سار في اتجاه المذهب الإنساني المطلق ، مثلما هي الحال عند فويرباخ ، وباور . وسار في اتجاه « لا أدري » عند سبنسر ، وهكسلي ، وداروين .

وفي القرن العشرين اتخذ الإلحاد بعداً نفسياً عند مدرسة التحليل النفسي بزعامة فرويد . وظهر

شكل جديد من أشكال الإلحاد هو عدم الاهتمام بما إذا كان الله موجوداً أو غير موجود، وظهر هذا الشكل عند كروتشه (١٨٦٦-١٩٥٢) وهيدجر (١٨٨٩-١٩٧٦).

وفي العالم العربي والإسلامي في القرن العشرين ظهرت مجموعة من الملحنين، وهناك العديد من بقايا الشيوعيين العرب الآن الذين يتخذون موقفاً إلحادياً غير صريح.

* معتقدات الإلحاد وأشهر كتبها :

يرى الملحدون من الماديين أن جوهر العالم مادي، وأن حقيقة الوجود أو الكون أو العالم هي المادة؛ فالمادة هي الأصل الأول الذي يشكل وجود الكون. ولا يوجد فيه روح ولا أي شيء إلا ما هو مادي. والمادية ترى أن المادة هي منبع المعارف والوعي والعقل^(١٧). ولا تؤمن بالله، ولا بالنفس، ولا بالنبوة، ولا باليوم الآخر؛ فالحياة الدنيا هي الحياة الوحيدة الحقيقية. وبشكل عام لا تؤمن المادية بأي عقيدة غيبية أو دينية.

ويرفض الملحدون الأدلة الثلاثة التقليدية على وجود الله، وهى: الدليل الوجودي، والدليل

الكوني، والدليل الغائي^(١٨). ويقدمون حججاً مضادة. وهي في مجملها لا تخرج عن الانتقادات التي قدمها هيوم.

ومن أهم الأعمال التي تتجلى فيها النزعة الإلحادية كتاب «الإنسان الآلي» للفيلسوف لاميتري (١٧٠٩-١٧٥١م) أحد أركان المادية الفرنسية في القرن الثامن عشر، وأكد فيه مادية الإنسان وأنه مجرد آلة بدون روح. وكتاب «نظام الطبيعة» أيضاً للفيلسوف هولباخ (١٧٢٣-١٧٨٩م) الذي أنكر فيه الروح والآخرة، وقال إن عدم وجود حياة أخرى يحزر الإنسان من سلطة القساوسة والكنيسة^(١٩).

ومن أهم الأعمال التي تتجلى فيها النزعة الإلحادية أيضاً كتب هيوم، مثل «محاورات في الدين الطبيعي» و«التاريخ الطبيعي للدين».

ومن الأعمال الرئيسية المعبرة عن النزعة الإلحادية في بعض معانيها، مؤلفات نيتشه، مثل «هكذا تكلم زرادشت»، و«إرادة القوة»، و«غروب الأصنام»، و«أصل الأخلاق»، وطالب في أعماله بجرأة بتطبيق نتائج التنازع على البقاء على مجال الأخلاق^(٢٠). وانتقد التربية الروحية التي دعت إليها

المسيحية واعتبرها قائمة على أخلاق العبيد ، أخلاق العجز والحقن الدفين ، ومن ثم لُقب بعدو المسيح . ودعا إلى أخلاق السادة القائمة على إرادة القوة ، ومحو الضعف والضعفاء والقضاء على أخلاقهم أخلاق العبيد . واعتبر أن مقياس القيم هو إرادة القوة وليس اللذة أو المنفعة ، وكان هذا امتداداً لرأيه المنكر لوجود الروح الفردي وخلوده ، لكنه من جهة أخرى قال بنظرية « العود الأبدي » التي تقول بالعودة من جديد ، ثم الفناء والعودة إلى ما لا نهاية في هذا العالم لا في عالم آخر .

كما يعد كتاب « الوجود والعدم » ، ورواية « الغيثان » ، وكتاب « الوجودية مذهب إنساني » ، لجان بول سارتر ، من أكثر الكتب تعبيراً عن الإلحاد في القرن العشرين^(٢١) .

* ثغرات في جدار الإلحاد :

يدل استعراض تاريخ الفلسفة على أن عدد الفلاسفة المؤمنين بصرف النظر عن اختلاف مضمون الإيمان من فيلسوف إلى آخر يفوق بمراحل عدد الفلاسفة الملحدين مجتمعين على الرغم من تنوع مشاربهم .

وتيار الإلحاد غير منظم ، فقلوبهم شتى ، وعقولهم متباينة ، وأسس الإلحاد تضعف يوماً بعد يوم ، بسبب الفشل النظري في مواكبة التطور الحادث في العلم وفلسفة العلوم .

ولا تزال الضربات النقدية المتتالية توجه إلى الإلحاد من مختلف التيارات الفلسفية والدينية . وقد عجزت حركات الإلحاد بمختلف تياراتها عن تقديم بديل للدين ، ونظرت للإنسان نظرة ضيقة الأفق ، ولم تستطع تبين الحاجات الروحية في الإنسان ، ولم تقدم أي حلّ للمسائل الفلسفية الكبرى التي تشغل الإنسان .

إن حركات الإلحاد تقصر مجال المعرفة على المادة ، وتعجز عن تفسير قضايا جوهرية من قبيل : أصل العالم ، ووجود الله ، وحرية الإرادة ، وخلود الروح . وهذا ما يقدمه الدين . ولقد أخطأ الماديون الملاحدة عندما اعتبروا أن المادة هي الحقيقة القصوى ، فالعلم نفسه يقوم على مفاهيم غير مادية ، مثل مفهوم اللامتناهي في الرياضيات .

وقد أنكر الملحدون وجود الله لأنهم لا يستطيعون أن يستدلوا عليه حسيّاً ولا يستطيعون مشاهدته أو لمسهِ ! فلا يمكن عندهم التحقق منه بالحواس ولا تحديده

بالتجربة ؛ ولذا فهم لا يؤمنون به .

ولكن من وجهة نظرنا أنّ وجود الله تعالى يُستدلّ عليه بالعقل ، فضلاً عن الاستدلال عليه بشكل تجريبي غير مباشر عن طريق الآثار الحسية له ، وهذا ما أدركه أحد الأعراب البسطاء ولم يدركه الماديون ولا الوضعيون التقليديون ولا الوضعيون الجدد ، فقد قال أعرابي - وقد سئل : ما الدليل على وجود الربّ تعالى ؟ - فقال : « يا سبحان الله ! إنّ البعر ليَدُلُّ على البعير ، وإنّ أثر الأقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدلّ ذلك على وجود اللطيف الخبير »^(٢٢) . وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سأله عن وجود الباري تعالى فقال لهم : “ دعوني فإنني مفكّر في أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لي أن سفينة في البحر ، فيها أنواع من المتاجر ، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء ، وتسير بنفسها ، وتخرق الأمواج العظام حتى تتخلّص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها لا

يسوقها أحد . فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل . فقال : هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي ، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ، أليس لها صانع ؟ ! فبهت القوم ورجعوا إلى الحقّ وأسلموا على يديه^(٢٣) .

ومهما كان عدد الملحدين كبيراً حسب آخر الإحصائيات ، فإن مجموع الملحدين صغير بالقياس إلى مجموع سكان العالم المؤمنين . فيبلغ عدد الملحدين في العالم من المنكرين لوجود الله Atheist ، وغير المؤمنين بالدين Nonreligious ، واللاأدريين Agnostic ، حوالي ٨٥٠ مليوناً وفقاً لأحدث الإحصائيات . وتبلغ نسبتهم بالقياس إلى مجموع سكان العالم ١٤% .

ولا نريد أن نستطرد هنا أكثر من ذلك في بيان تهافت الإلحاد ، فهذا الكتاب كلّهُ هو برهنة عقلية على الإيمان في مواجهة الإلحاد بكلّ أشكاله ووجوهه .

الهوامش :

- P. ٣٦٤ .
- [١٥] Simon Blackburn, Oxford Dictionary Of Philosophy, Oxford, Oxford University Press, ١٩٩٦p. ٧٢ .
- [١٦] Henry D. Aiken, The Age of Ideology: The ١٩th Century Philosophers. p. ٢٠٦ .
- [١٧] Simon Blackburn, Oxford Dictionary Of Philosophy, Oxford, Oxford University Press, ١٩٩٦P. ٢٣٣ .
- [١٨] لمزيد من التفاصيل انظر: د. محمد عثمان الخشت، المعقول واللامعقول في الأديان، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠٠٦. ود. محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، ص ٢٩ .
- [١٩] جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، ص ١٤٤-١٤٥ .
- [٢٠] د. توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص ٢٣٠ .
- [٢١] د. محمد عثمان الخشت، مفهوم الروح والتربية الروحية في الفلسفات الغربية المعاصرة، مجلة المعرفة، السعودية، العدد ١٢٦، رمضان ١٤٢٦هـ .
- [٢٢] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ، ج ١، ص ٥٩ .
- [٢٣] المرجع السابق، الموضع نفسه .
- [١] Meikle John, Critique of Pure Reason, Kant- P. ٣٧٦ . ff
- [٢] Ibid, P. ٣٦٧- ٩ .
- [٣] Ibid, P. ٣٧٠ .
- [٤] Ibid .
- [٥] Ibid, P. ٣٧٣ .
- [٦] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ص ١٥٣ .
- [٧] Brain Davies, Philosophy of Religion: A Guide And Anthology. Oxford: Oxford University Press. ٢٠٠٠, p. ٣٢٧ .
- [٨] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ص ١٦٠ .
- [٩] Kant, Critique of Pure Reason, Meikle John, P. ٣٥٣ .
- [١٠] John Theodore Merz, Leibniz. London: William Blackwood and Sons. ١٩٤٥, p. ١٣٨ .
- [١١] Robert C. Solomon, Introducing Philosophy, p. ١٠٧ .
- [١٢] ليبنتز، المونادولوجيا، ص ٣١٥ .
- [١٣] John Locke, An Essay Concerning Human Understanding, p. ٣٧٣ .
- [١٤] Kant, Critique of Pure Reason, Meikle John,

فِي ضَفَافِ أَهْلِ الْبَيْتِ

❖ الدُّرُوسُ التَّرْبَوِيَّةُ مِنْ حَيَاةِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ

❖ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ الْمَقَامَاتُ وَالْقُدُورَةُ

الدُّرُوسُ التَّربَوِيَّةُ

مِنْ حَيَاةِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ

❖ د. إحسان عيدان السيمري (*)

(*) أكاديمي وباحث من العراق.

المقدمة

يُثير الحديث عن مقوّمات المنهج التربوي السليم الذي تحتاجه الأُمّة ، ودور المبادئ والخلفيّات الفلسفيّة للمناهج التربويّة السائدة في واقعنا أسئلةً شتّى ؛ لأنّ ما أفرزته تجارب الفكر المعاصر في الحقل التربوي من مشاكل ، وما طرحه التطبيق الفعلي لبرامجه التربويّة من أسئلةٍ عديدة ونقاطٍ فراغٍ لم تُملأ إلى الآن ، وما قدّم على هذا الصعيد من حلول . . أدلّةٌ كافية على مرحليّة تلك المناهج ، وعدم صلاحيّتها للامتداد وإثراء المسيرة الإنسانيّة بما ينسجم وفطرة الإنسان وتطلّعه نحو الكمال ، وعدم كفاءتها في إكساب الواقع الاجتماعي قدرة على النمو والتطور ، ممّا أدّى إلى ظهور أصواتٍ عديدة تدعو إلى ضرورة إعادة النظر في تلك البرامج ولزوم تعديلها .

وللأسف الشديد ، إنّ حال المناهج التربويّة

السائدة في المجتمعات الإسلاميّة لا سيّما التي تُدرّس على مستوى الجامعات لم تكن بأوفر حظّاً من تلك المناهج ؛ لأنّها ما بين مجرد تغطيةٍ للفكر العلماني باعتماد أُطرٍ منهجيّةٍ في ترسيخه على حساب الفكر الإسلامي ، وما بين كونها محدّدة بقرارات سياسيّة صارمة لا تتيح لأفراد الأُمّة حريّة النقد والاختيار ؛ خدمة لأهداف أيديولوجيّة معيّنة تسعى السلطة لتحقيقها ، حتّى عاد المنهج التربوي في أكثر البلاد الإسلاميّة حارساً للنظام القائم في هذا القطر أو ذاك .

وهكذا أهملت المقوّمات الحقيقيّة للمنهج التربوي ، فطبيعة الإنسان ، وفطرته ، وميوله ، وغرائزه ، وحبّه لذاته ، وما يعتريه من أدوار مختلفة من الطفولة إلى الهرم ، ونوع ارتباطه مع العالم الخارجي ، وفلسفته في الوجود ، أمور خطيرة تفرض

نفسها على واقع كلّ عمليّة تربويّة، الأمر الذي يُفترض معه امتلاك المُقنّن التربوي الصورة الواضحة للنفس البشريّة، وتشخيص مشاكلها بدقّة، مع الإحاطة بسائر العوامل الأساسيّة والثانويّة المؤثّرة في البناء التربوي؛ لتكون برامجه ناجعة ومُتينة، وإلاّ صارت مواقع الكيان التربوي ساحة لتخبط العاملين فيها، خصوصاً إذا ما كانت تلك المناهج قائمة على مفاهيم فلسفيّة أجنبيّة مُبتنية على أساس فصل الدين عن الدولة.

والمنهج الذي لا يمتلك من سعة الأهداف الخيرة ما ينبغي، ولا من دقّة التشخيص ما يكفي، ولا من وضوح الرؤية لحياة الفرد والمجتمع كما يجب، فكيف ينفذ إلى أعماق النفس البشريّة حتّى يصير لها خُلُقاً ومَلَكَةً، وهو لم يتفاعل مع وجدانها ولم يتّحد مع وجودها. والمنهج الذي ينطلق من تنمية الإحساس بالقوميّة أو الطائفيّة ولم يرتكز على روحانيّة الإسلام، أو من الاحتفاء بالسلطة تارة، أو المادّة أخرى مع تهميش دور القيم الإنسانيّة النبيلة، ولا يضع في حساباته دور المنظومة الأخلاقيّة في البناء التربوي، كيف يخلق من الأمّة شخصيّة متّزنة قادرة على تشخيص أخطائها وتصحيح مسيرتها،

وتحمّل مسؤوليّتها في حاضرها ومستقبلها؟ وفي ضوء ما تقدّم يتّضح أنّ المنهج التربوي الصحيح هو ما تجاوز حدود الزمان والمكان، مُستمدّاً نقطة انطلاقه من الخبير العارف بما يصلح الناس جميعاً، منسجماً مع فطرتهم وتطلّعاتهم وغاية وجودهم؛ لكي تتوفّر القناعة الشعبيّة العارمة في تطبيق برامجه بلا حاجة إلى تطبيقها قسراً من سلطة أعلى.

وعلى هذا الأساس فإنّ صياغة المنهج التربوي في مجتمعنا المسلم، يجب أن تنطلق من مسلّمات إيمانيّة، وأُسُس عقلائيّة راسخة ليتشكل بمجموعها الإطار الأساسي لذلك المنهج.

وبعبارة أدقّ.. إنّ اختيار المنهج التربوي لتطبيقه على واقع المجتمع المسلم، يجب أن يلحظ مسألة التعبّد بالنص المتجدّرة في أعماق الأمّة المسلمة، ممّا يعني هذا ضرورة استنطاق النصّ في صياغة كلّ منهج، لا سيّما التربوي الذي يهدف إلى حراسة الأمّة وحفظها من الانهيار، والقضاء على كلّ ما من شأنه أن يُفسد على الناس فطرتهم، أو يبعث على انحراف سلوكهم، أو يُساعد على التواء سليقيّتهم، أو يعكّر نظرتهم وتفكيرهم؛ لكي تُربّى

الأُمَّة - حينئذٍ - على عقيدة التوحيد الخالصة ، وتكون حركة المجتمع كلّها باتجاه الحقّ المطلق ، وبهذا ينسجم المنهج التربوي مع فطرة الله التي فطر الناس عليها جميعاً .

ولا شكّ أنّ تطبيق مثل هذا المنهج سيحقق أعلى درجات الموازنة ، بين حبّ الذات كغريزة وحبّ الغير كضرورة إنسانيّة ، بين حبّ البقاء والتضحية في سبيل العقيدة والمبدأ ، وبين حبّ الدنيا والعمل للآخرة ، وسيغرس بذور الشعور بالمسؤوليّة في ذهن الأُمَّة وتكون أفعالها وأقوالها مستندة على أساسٍ مقبول . وهذا - في الواقع - هو منهج الإسلام بخطوطه العريضة الواسعة ، الذي يسلم بأهميّة الفرد وأسبقّيته الوجوديّة في المجتمع من جهة ، ولكّنه من جهةٍ أخرى يعطي للمجتمع عنايةً خاصّةً مركّزة ، باعتباره الأساس الذي تجري عليه السُّنَن التاريخية في نشوء الحضارات وفنائها ، وفي بقاء الأُمم وهلاكها .

وحقيقة كون الإسلام صالحاً لكلّ عصرٍ وجيل هي التي تُبرّر لنا التأكيد على منهج أهل البيت (عليهم السلام) في التربية ؛ لأنّ ما تعنيه تلك الحقيقة في قيمومة الإسلام وديمومته هو استنطاق القرآن

الكريم وتحكيمة في مناحي الحياة ومناهجها ، الأمر الذي يلزم تحديد المرجعيّة العلميّة للأُمَّة ، وقد حصرها النص - والتعبّد به لازم لكلّ مسلم - بثلاثة طاهرة ، وجعلها قريناً للقرآن وحليفاً له وسماهما ثقلين هاديين إلى الحقّ ، عاصمين من الضلالة ، مع بقائهما عمر الدنيا وعدم افتراقهما حتّى يردا على النبي (صلى الله عليه وآله) الحوض يوم القيامة .

ومنّ يكون قرين القرآن فمنهجه في بناء الإنسان أحقّ بأن يُتَّبَعَ ، وأولى بالعناية ، وأجدر بالتطبيق ، وإلاّ فلن يكون استنطاق القرآن وإهمال نظيره ، كافياً في طرح المنهج التربوي البديل عن المناهج المستوردة السائدة في مجتمعنا المسلم !

فضل فاطمة (عليها السلام) على النساء :

هذا بيت النبوة كيف لا وهو بيت النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) بيت فضله الله ، وطهره من الرّجس .

فعن عمر بن أبي سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليه وآله) ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) . في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلبهم بكساء وعلي

خلف ظهره فجعلهم بكساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله قال أنت على مكانك وأنت على خير^(٢) ..

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال أن فاطمة سيدة نساء أمتي^(٣) ..

وعن ابن عباس قال خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط قال تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين^(٤) ..

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: أسامة أحب الناس إلي ما حاشا فاطمة ولا غيرها^(٥) ..

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وفاطمة سيدة نسايتهم إلا ما كان لمريم بنت عمران^(٦) ..

وعن جميع بن عمير التيمي رضي الله عنه قال: دخلت مع عمتي على عائشة، فسئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة قيل:

من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صؤاما قواما^(٧) ..

وعن حذيفة أثناني ملك فسلم علي نزل من السماء لم ينزل قبلها فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة^(٨) ..

وعن فاطمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين^(٩) ..

هجرة السيدة فاطمة عليها السلام إلى المدينة :

لما كانت المعاناة التي عاناها المسلمون في مكة كبيرة فقد جاء أمر الله بالهجرة، وكانت أشد معاناة هي معاناة بيت النبوة ..

وهذه صورة من المعاناة التي شهدتها النبي محمد ﷺ من كفار قريش، وما عاناها بيت النبوة آن ذاك: فعن عمرو بن ميمون قال حدثنا عبد الله في بيت المال قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وملا من قريش جلوس وقد نحروا جزورا فقال بعضهم أياكم يأخذ هذا الفرث بدمه ثم يمهل حتى يضع وجهه ساجدا فيضعه يعني على ظهره قال عبد

الله فانبعث أشقاها فأخذ الفرث فذهب به ثم أمهله فلما خرَّ ساجداً وضعه على ظهره فأخبرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي جارية فجاءت تسعى فأخذته من ظهره فلما فرغ من صلاته قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط حتى عد سبعة من قريش قال عبد الله فوالذي أنزل عليه الكتاب لقد رأيتهم صرعى يوم بدر في قليب واحد^(١٠) ..

قال ابن هشام في السيرة: وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم، ابنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث بن نقيد، ورمى بهما إلى الأرض^(١١) ..

وكان ممن يؤذي النبي ﷺ بمكة^(١٢)، فكانت له قينتان كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه، وكان علي بن أبي طالب ﷺ أحق الصحابة بقتله فقتله^(١٣) ..

زواج فاطمة الزهراء ﷺ من علي ابن أبي طالب ﷺ:

تزوجها الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في

ذي القعدة أو قبيله من سنة اثنتين بعد وقعة بدر وقال ابن عبد البر دخل بها بعد وقعة أحد^(١٤) ..

ذكر المسبحي أن فاطمة تزوج بها علي بعد عرس عائشة بأربعة أشهر ونصف ولفاطمة يومئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف^(١٥) ..

خطبتها:

عن بريدة قال: خطب أبي بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله ﷺ إنها صغيرة ثم خطبها علي فزوجها منه^(١٦) .. رواه النسائي

مهرها وجهازها:

عن جعفر بن سعد عن أبيه أن علياً قال لما خطبت فاطمة قال النبي ﷺ هل لك من مهر قلت عندي راحلتي ودرعي فبعتهما بأربعمائة وقال أكثرها من الطيب لفاطمة فإنها امرأة من النساء^(١٧) ..

عن ابن عباس قال لما تزوج علي ﷺ فاطمة قال له رسول الله ﷺ أعطها شيئاً قال ما عندي شيء قال أين درعك الحطمية^(١٨) ..

عن علي ﷺ قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها في خميل وقربة ووسادة من

آدم حشوها ليف قال معاوية اذخر قال أبي والخميلة القطيفة المخملة^(١٩).

عن علي عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة

ووسادة من آدم حشوها ليف ورحين وسقاء وجرتين^(٢٠).

عن بن بريدة عن أبيه قال: لما خطب علي فاطمة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لا بد للعرس من وليمة قال فقال سعد على كبش وقال فلان على كذا وكذا من ذرة^(٢١).

كان بعد ذلك أتنه امرأة تشد الدينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أدّ الدينار^(٢٤).

وعن علي عليه السلام: أن فاطمة شكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم أثر العجين في يديها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبي فأتته تسأله خادما فلم تجده فرجعت قال فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا قال فذهبت لأقوم فقال مكانكما فجاء حتى جلس حتى وجدت برد قدميه فقال ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أخذتما مضجعكما سبحتما الله ثلاثا وثلاثين وحمدتما ثلاثا وثلاثين وكبرتما أربعاً وثلاثين^(٢٥).

الحياة الاسرية للصديقة الطاهرة

بَيْتُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

إن الحضارة - اليوم - بدأت تشعر بضرورة احترام بعض المساكن والمباني والأراضي، وذلك بعد أن شعرت باحترام الفضيلة وأهلها، والتقدير عن الشرف والعلم والقيم.

وعلى هذا الأساس أحدثت الحضارة قانوناً بل قوانين بهذا الشأن، ورعاية لهذا الأمر، فالصيانة الدبلوماسية التي منحها القانون لمباني السفارات والهيئات الدبلوماسية وهكذا القوانين التي تفرض

من صور الزهد في حياة السيدة فاطمة

الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ:

لقد كانت صابرة دينة خيرة صينة قانعة شاكرة لله^(٢٢)، فقد عاشت حياة الزهد والتقشف.

فكانت السيِّدة البتول من ناسكات الأصفياء، وصفيات الأتقياء رضي الله تعالى عنها^(٢٣).

فعن أبي سعيد الخدري: أن علي بن أبي طالب عليه السلام وجد ديناراً فأتى به فاطمة فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو رزق الله عز وجل فأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل علي وفاطمة فلما

الله ﷺ: في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والآصال . فقام رجل فقال : أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ فقال : بيوت الأنبياء . فقام إليه أبو بكر ، فقال : يا رسول الله ! هذا البيت منها ؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة ، قال : نعم ، من أفضلها !!

وعن ابن عباس قال : كنت في مسجد رسول الله ، وقد قرأ القارئ : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ..) فقلت : يا رسول الله ! ما البيوت ؟ فقال : بيوت الأنبياء . وأوماً بيده إلى منزل فاطمة !

وفي الكافي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : خرج رسول الله ﷺ يريد فاطمة عليها السلام معه ، فلما انتهينا إلى الباب وضع يده عليه فدفعه ، ثم قال : السلام عليكم . فقالت فاطمة عليها السلام : عليك السلام يا رسول الله ، قال : أدخل ؟ قالت : أدخل يا رسول الله قال : أدخل أنا ومن معي ؟ فقالت : يا رسول الله ليس علي قناع ، فقال : يا فاطمة خذي فضل ملحفتك ، فقنّعي به رأسك . ففعلت . ثم قال : السلام عليكم . فقالت : وعليك السلام يا رسول الله قال : أدخل ؟ قالت : نعم يا رسول الله قال : أنا ومن

احترام الجامعات والمعاهد العلمية والمساجد والمعابد تقديرًا للعلم والدين والثقافة هي من نتائج الشعور بهذا المعنى .

ولكن هذه الحقيقة كانت ثابتة عند الله تعالى ، وعند أوليائه من أهل السماوات والأرض منذ الأزل ، وانطلاقاً من هذه الحقيقة نجد الأحكام الواردة حول احترام المساجد وخاصة المسجد الحرام ، وتحريم الدخول فيه على بعض الأفراد كالمشركين أو المجنب أو الحائض ، وتحريم تنجيسها ، أو إتيان ما ينافي قدسيتها واحترامها ، أو الصيد في الحرم (وهو المناطق المحيطة بمكة من جميع الجوانب ، حسب حدود معينة مذكورة في كتب الفقه) .

بعد ذكر هذه المقدمة اعلم أن البيت الذي كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تسكن وتعيش فيه كان محاطاً بالقداسة والروحانية والنور ، كان ذلك البيت مبنياً بمواد الاحترام والتقدير ، والتبجيل والتبجيل ، يعرف حق ذلك البيت كل من يعرف حق فاطمة وأبيها ، وعلما وبنيها .

وقد روى شيخنا المجلسي (عليه الرحمة) عن أنس بن مالك وعن بريدة قال : قرأ رسول

معي ؟ قالت : أنت ومن معك .. إلخ

حياتها الزوجية

انتقلت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى البيت الزوجي ، وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والوصاية والخلافة والولاية ، وحصل تطور في سعادة حياتها ، فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوة صارت تعيش قرينة الإمام .

كانت حياتها في البيت الزوجي تزداد إشراقاً وجمالاً إذ كانت تعيش في جو تكتنفه القداسة والنزاهة ، وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش ، وكانت تعين زوجها على أمر دينه وآخرته ، وتتجاوب معه في اتجاهاته الدينية ، وتتعاون معه في جهوده وجهاده .

وما أحلى الحياة الزوجية إذا حصل الانسجام بين الزوجين في الاتجاه والمبدأ ونوعية التفكير ، مبنياً على أساس التقدير والاحترام من الجانبين .

وليس ذلك بعجيب ، فإن السيدة فاطمة الزهراء تعرف لزوجها مكانته العظمى ومنزلته العليا عند الله تعالى ، وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة إمامها ، بل أكثر وأكثر ، فإن السيدة فاطمة كانت

عارفة بحق علي حق معرفته ، وتقدره حق قدره ، وتطيعه كما ينبغي ، لأنه أعز الخلق إلى رسول الله .

لأنه صاحب الولاية العظمى ، والخلافة الكبرى والإمامة المطلقة .

لأنه أخو رسول الله وخليفته ، ووارثه ووصيه .

لأنه صاحب المواهب الجليلة ، والسوابق العظيمة .

وهكذا كان علي عليه السلام يحترم السيدة فاطمة الزهراء احتراماً لا تُقَابَها ، لا لأنها زوجته فقط :

بل لأنها أحب الخلق إلى رسول الله .

لأنها سيدة نساء العالمين .

لأن نورها من نور رسول الله .

لأنها من الذين بهم فتح الله كتاب الإيجاد والوجود ، لأنها كتلة من العظمة .

لأنها مجموعة من الفضائل متوفرة في امرأة واحدة لاستحقت التقدير والتعظيم .

فكيف بفاطمة الزهراء ، وقد اجتمعت فيها من المزايا والمواهب والفضائل والمكارم ما لم تجتمع في أية امرأة في العالم كله ، من حيث النسب الشريف الأرفع ، والروحانية والقدسية ، من حيث بدء الخلقة ومنشأ إيجادها وكرامتها عند الله ، وعبادتها

وعلمها وديانتها ، وزهدها وتقواها وطهارتها ونفسيته
وشخصيتها ، وغير ذلك من مئات المزايا مما يطول
الكلام بذكرها .

بعد ما قصصنا ولم نقصص عليك يمكن لك
أن تدرك الجو الذي كان الزوجان السعيدان
يعيشانه ، والحياة الطيبة السعيدة الحلوة (بجميع
معنى الكلمة) التي كانا يتمتعان بها :

حياة لا يعكرها الفقر ، ولا تعيرها الفاقة ، ولا
تضطرب بالحوادث .

حياة يهب عليها نسيم الحب والوئام ، وتزينها
العاطفة بجمالها المدهش .

وفي البحار عن المناقب قال علي عليه السلام :
فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها
الله عز وجل ، ولا أغضبني ولا عصت لي أمراً ، لقد
كنت انظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان .

وفي تفسير العياشي عن الإمام الباقر عليه السلام :
أن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت
والعجين والخبز ، وقم البيت ، وضمن لها علي عليه السلام
ما كان خلف الباب : نقل الحطب وأن يجيء
بالطعام .

لم يُعلم بالضبط مدة إقامة الإمام والسيدة

فاطمة (عليهما السلام) في دار حارثة بن النعمان ،
إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله بنى لها بيتاً ملاصقاً
لمسجده ، له باب شارع إلى المسجد ، كبقية
الحجرات التي بناها لزوجاته ، وانتقلت السيدة إلى
ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله ، المجاور
لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله .

الاحاديث الواردة عن الرسول محمد ص بشأن فاطمة الزهراء عليها السلام

ورد في الترمذي في سننه من كتاب الفضائل
عن حذيفة ، قال :

« سَأَلْتَنِي أُمِّي مَتَى عَهْدُكَ (تَعْنِي
بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله) ؟ فَقُلْتُ : مَا لِي بِهِ عَهْدٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا
فَنَالَتْ مِنِّي ، فَقُلْتُ لَهَا : دَعِينِي أَتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله ،
فَأَصْلِي مَعَهُ الْمَغْرِبَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكَ ،
فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ ، فَصَلَّى
حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ ، ثُمَّ انْقَلَبَ فَتَبِعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي ،
فَقَالَ : مَنْ هَذَا ، حُذَيْفَةُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا
حَاجَتُكَ ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَأُمِّكَ ؟ قَالَ : إِنَّ هَذَا مَلَكٌ ،
لَمْ يَنْزَلِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ
يُسَلِّمَ عَلَيَّ ، وَيُبَشِّرَنِي بِأَنْ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ

الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ . ») [أخرجه الترمذي في سننه]

من هو الإنسان العظيم ؟ الذي له عند الله
مكان عظيم ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ
صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر الآية : ٥٤-
٥٥]

إن كان لك عند الله مقعد صدق ، فهذه هي
الجنة ، وهذا هو الفوز العظيم ، وهذا هو الفلاح ،
وهذا هو النجاح ، وهذا هو التفوق ، وهذه هي
السعادة ، أن تكون لك حظوة عند الله .

وفي الحديث الصحيح عند الترمذي ، عَنْ
أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :

« حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ
عِمْرَانَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ،
وَأَسِيَا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنُ » . [أخرجه الترمذي في سننه]

قال كتاب السيرة فيما نقل :

« إن هذه السيدة الجليلة كانت كثيرة الشبه
بأبيها رسول الله ﷺ »

يعني أكثر بناته شبيهاً به السيدة فاطمة رضي
الله عنها .

وَعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ :

« مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا ،
وَقَالَ الْحَسَنُ حَدِيثًا وَكَلَامًا ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْحَسَنُ
السَّمْتَ وَالْهَدْيَ وَالذَّلَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ
كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهَا ، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، قَامَ إِلَيْهَا ،
فَأَخَذَ يَدَيْهَا ، وَقَبَّلَهَا ، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَكَانَ إِذَا
دَخَلَ عَلَيْهَا ، قَامَتْ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ يَدَهُ ، فَقَبَّلَتْهُ ،
وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا » .

[أخرجه أبو داود في سننه]

بربكم أنتم آباء ، أحياناً تأتيكم بناتكم زائرات ،
تدخل البنت أهلاً أبي ، الأب جالس مرتاح ولا
يتحرك :

« كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، قَامَ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَ
يَدَيْهَا ، وَقَبَّلَهَا ، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ »
طبقوا هذا :

« كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، قَامَ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَ
يَدَيْهَا ، وَقَبَّلَهَا ، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ
عَلَيْهَا ، قَامَتْ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ يَدَهُ ، فَقَبَّلَتْهُ ، وَأَجْلَسَتْهُ
فِي مَجْلِسِهَا » .

الحياة كلها مودة ، أجمل ما في الحياة المودة

والحب ، والاحترام المتبادل ، والوفاء ، والتضحية ،
فالإنسان حين يعيش حياة الود ، حياة الحب ، حياة
الكرم ، هذا إنسان سعيد .

مرة رأى أخ بيتاً مناسباً ، فقال : ممكن أن
نرى البيت يا أستاذ ، قلت : لا مانع ، فذهبنا نرى
البيت ، دخلنا إلى غرفة ، وجدنا صبيّاً في الخامسة
عشر مضطجاً على قفاه ، ورجل فوق رجل ، يشاهد
مسلسلا ، ولم يتحرك ، ولم يغير مجلسه ، ولم ينظر
إلينا ، هذه التربية ، هذه تربية المسلسلات .

أما تربية سيد الأنام :

« كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، قَامَ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَ
بِيَدِهَا ، وَقَبَّلَهَا ، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ
عَلَيْهَا ، قَامَتْ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ ، فَقَبَّلَتْهُ ، وَأَجْلَسَتْهُ
فِي مَجْلِسِهَا »

لقد كان لفاطمة رضي الله عنها ، ولزوجها
علي كرم الله وجهه ، وابنهما الحسن والحسين مكانة
عظيمة .

ففي سنن الترمذي ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ
رَبِيبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

« لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِنَّمَا

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿ في بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا
وَحُسَيْنًا فَجَلَّاهُمْ بِكِسَاءٍ ، وَعَلَى خَلْفِ ظَهْرِهِ فَجَلَّاهُ
بِكِسَاءٍ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، فَأَذْهَبْ
عَنْهُمْ الرِّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ :
وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَنْتِ عَلَى مَكَانِكَ ، وَأَنْتِ
عَلَى خَيْرٍ . »

أخواننا الكرام ، صدقوا أن الله جل جلاله إذا
حباك بأهل صالحين ، أهل أعة ، أقياء ، أقياء ،
فهذه نعمة لا تعدلها نعمة .

أنا أقول لكم : كثير هم الرجال الذين يكفرون
نعمة الزوجة الصالحة ، زوجة عفيفة ، قنوعة ، تخدم
زوجها ، يبحث عن بعض الأخطاء ، ويكبرها ،
وينشئ مشكلة ، هذا إنسان جاهل ، وكثيرات هن
الزوجات اللواتي حباهن الله بأزواج صالحين ،
مستقيمين ، تبحث عن بعض نقاط الضعف
فتكبرها ، المرأة أحياناً تكفر بنعمة الزوج ، والزوجة
أحياناً يكفر بنعمة الزوجة الصالحة ، فهناك زوج
صالح ، وهناك زوجة صالحة .

مرة ملك من ملوك قرطبة ، وهو ابن عباد ،
كان يمشي في حديقته ، فرأى بركة ماء ، وقد هبت

الريح على صفحة الماء، فجعلت منها كالزرد، فقال:

نسج الريح على الماء زرد

ولم يستطع أن يكمل البيت، وكانت وراءه جارية، قالت له:

يا له درعاً منيعاً لو جمد

فأعجب بهذه الجارية، وتزوجها، وجعلها السيدة الأولى، وأكرمها إكراماً ما بعده إكرام، اشتهدت مرة حياة الفقر، كيف كانت تدوس في الطين؟ فطلبت منه أن تعيش يوماً واحداً حياتها السابقة، فجاء بالمسك، والعنبر، وماء الورد، فجبلها وجعلها طيناً، وقال: دوسي فيه، هذا هو الطين، ثم جاء ابن تاشفين من شمال أفريقيا، قضى على ملوك طوائف، وأودعه في السجن، وافترق، فكانت هذه الجارية زوجته، تقول له مرة: لم أر منك خيراً قط، قال لها: ولا يوم الطين؟ فاستحيت.

لماذا ذكر السيدة فاطمة يملأ القلوب سعادة؟ من وفائها، من تواضعها، من حرصها على سعادة زوجها، من حرصها على راحته، من حرصها على عدم الضغط عليه.

الآن تضغط الزوجة، تضغط حتى يأكل زوجها الحرام، ويسرق حتى يخلص من شكواها.

قال رجل لامرأته: لقد هلك من كثرة شكواك وهمومك، فقالت له: إذا: يوم أشكو به، ويوم أريحك، فكانت في يوم راحته، تقول له: غدا أوجع رأسك، فالإنسان بكماله، فالإنسان بأخلاقه، الإنسان بمحبته.

الآن: كم من إنسان تموت زوجته، إذا فكر في الزواج، قامت بناته عليه بالنكير، السيدة فاطمة لما توفيت أمها السيدة خديجة، رأت أن أباه بحاجة إلى زوجة، فلما تزوج فرحت، وكانت أكبر معين. تقول البنت: نحن نخدمك، هم لا يفهمون، الإنسان بحاجة إلى امرأة، وليس إلى بنت، هناك خصوصيات للإنسان لا تحلها البنت، فلذلك البنت الوفية لا تقف حجر عثرة أمام زواج والدها إذا كان بحاجة إلى زوجة.

علاقة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مع زوجات

أبيها

لما تقدمت خولة بنت الحكيم، تخطب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتزوجه، لم تكن لفاطمة وأخوتها من

معارضة، بل كن جميعاً راغبات راضيات عن زواج أبيهن، الذي أضناه الحزن على فراق أمهن خديجة، ولما جاءت خولة قالت: « أفلا أخطب عليك؟ قال ﷺ: بلى، ثم قال: فإنكن معشر النساء أرفق بذلك » خطبت خولة عليه سودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، فتزوجهما، فبنى بسودة بمكة، ثم بعائشة بالمدينة.

الآن في التعبير الدارج بنت الحماة مخيفة، حماية ثانية، السيدة فاطمة كانت من أرفق النساء بزوجات أبيها، إذا العلاقة طيبة بين البنت وزوجة والدها، هذا شيء مثالي.

فعاشرت فاطمة مع زوجتي أبيها بكل حب وحسن عشرة، بل كان يزيد في سرورها رؤية أبيها سعيداً في زواجه هذا.

الآن بنت الزوج دائماً ضد خالتها، امرأة أبيها، ضدها على طول مهمما فعلت، فكانت فاطمة رضي الله عنها تتظافر مع عائشة في الأمور التي كانت تراها فيها محقة، وهي أكبر عون لزوج أبيها.

أعرف أن زوجة الأب لا يحبها أولاد الأب، أحد أخواننا ذكره الله بخير، قال: لي خالة، إذا ذكرت اسمها ثلاث مرات، أبكي من محبتي لها،

عاملتنا معاملة أحن من أمنا.

لم هذه القاعدة الثابتة: أن امرأة الأب ضد أولاد زوجها؟ الإيمان يصنع المعجزات، فإذا كانت المرأة مؤمنة، فلا تعامل أولاد زوجها إلا كأولادها، فالسيدة فاطمة لم تكن كبقية النساء بهذه العداوة الثابتة مع زوجة أبيها، بل على العكس، كانت تتعاون مع السيدة عائشة إن كانت محقة في تعاونها.

أما موقفها من أزواج أبيها، فقد كانت أكثر انسجاماً، واحتراماً، وتوقيراً، ولا شك أنها في ذلك تقوم بواجبها تجاه حق أبيها.

إذا كان الأب متزوجاً، وكل يوم عنده مشكلة لا يرتاح، أما عنده ابنته من زوجته السابقة في البيت فلا مشكلة، فيه انسجام، فيه مودة، وفيه تعاون، كل يوم حياة لا تُطاق، فالقاعدة الأساسية: ما الذي يسعد أباه؟ أن يدخل البيت مرتاحاً، فما كانت تختلق مشكلة إطلاقاً، بل كانت أكبر معوان لزوجات أبيها.

موقفها دائماً كان توقيير زوجاته، والإحسان إليهن، والتأدب معهن، ولم يكن منها رضي الله عنها أي تصرف يثير غضب إحداهن، فقد كانت أكبر تعقلاً لما يحصل لبنات جنسها.

سمعت من يومين قصة امرأة لا تنجب،

وزوجها جيد جداً، وهو متألم بعدم إنجابها، ويتمنى الولد، ولكن بمحبته لها، فهو ساكت، خرجت وخطبت له، وفاجأته بزوجة جيدة، هي خطبتها، قال: والله عشنا معاً أكثر من خمسة عشر عاماً، لم تحدث مشكلة في البيت، عقل راجح، زوج وفيّ، زوج جيد، فالحياة إذا بنيت على الإيمان شيء رائع.

امرأة صالحة جداً، تزوجها رجل، قال لها: بزمانى كنت أفكر في الزواج من امرأة، ثم تركت الزواج منها، قالت لي: إذا تزوجتني، أسلم وأتزوج، وأحفظ القرآن، فلما علمت زوجته الدينية أن هذه المرأة إذا تزوجها تسلم، وتتحجب، وتحفظ القرآن، قالت: بالله عليك تزوجها اليوم، وجاء بها إلى البيت.

المرأة إذا كان دينها أصلياً، إذا كان دينها نابعاً منها، ليس ضغطاً، ليس قهراً، إذا كان دينها نابعاً منها، تفعل المعجزات، تفعل الأعاجيب، لأنها رأت أن هذه المرأة إذا تزوجها زوجها، دخلت بالإسلام، وتحجبت، وحفظت كتاب الله، هذا كسب كبير جداً.

بيت فاطمة الزهراء عليها السلام

قال: لم تكن حياة فاطمة في بيت زوجها مترفة، ولا ناعمة، شأنها في ذلك، شأن حياتها عند

أبيها قبل زواجها، حياة خشنة، والحياة الناعمة لا تصنع الرجال، ولا تصنع البطالات.

سيدنا علي، حينما شغل بالجهاد مع رسول الله، شغل عن جمع المال، والاتجار به، لو سخر وقته في التجارة لصار مليونيراً، قدرات عند الإنسان عالية، هو صرفها في معرفة الله، وفي نشر الحق.

التاجر أحياناً من الصباح، وحتى منتصف الليل، يفكر في التجارة، سوف يتابع أموره ويربح، أما إنسان آخر، جاهد نفسه وهواه، طلب العلم، هذا كله يحتاج إلى وقت.

فانصرف هذا الصحابي الجليل، ابن عم النبي، إلى نصرة صلى الله عليه وآله، ونشر التوحيد بين الناشئين، فشغله ذلك عن سبيل الثراء، الذي كان أشرف قريش، قد وجهوا شبابهم إليه، فلا عجب إن رأينا هذا الصحابي الجليل، لا يملك مهراً لزوجته سوى درعه، وحال سيدنا علي قبل الزواج، لم يكن خافياً على السيدة فاطمة، الآن إذا خطب إنسان، وليس معه شيء، طولب بكل شيء، طيب لماذا قبلتم؟

فكان حال سيدنا علي واضحاً للسيدة فاطمة، وكانت تعلم أن علياً لم يكن ثرياً، فلذلك لم

تفاجأ بالجهاز التي جهزت به ، كان مؤلفاً من خميطة ووسادة ، حُشيت ليفاً ، وإناء وسقاءين .

الآن تريد غرفة النوم كذا ، الجلوس كذا ، الثريات كريستال ، طلبات مهرها عجيبة ، وتلك الصحابية خميطة ووسادة ، حُشيت ليفاً ، وإناء وسقاءين ، وشيء من العطر ، وهي في هذا راضية كل الرضا ، لأن هذا الزواج كان برضا أبيها ، لذلك كانت فاطمة سعيدة كل السعادة في بيت زوجها علي رضي الله عنه على ما كانت عليه من شظف العيش .

كان علي رضي الله عنه ، كلما عاد إلى بيته ، يرى فاطمة متعبة راضية ، فيساعدها في بعض أعمال البيت القاسية في كل وقت ، مكنته الظروف من ذلك ، حيث كان غير قادر على أن يستأجر لها خادماً ، أو أن يشتري لها أمة ، تقوم عنها بأعباء البيت ، فكان هو يخفف عنها بعض عناء البيت .

فجاء علي مرةً فراها ، وهي تسقي من البئر ، حتى اشتكت صدرها ، فقال رضي الله عنه :

« قد جاء الله بسبي ، فاذهبي إلى رسول الله فاستخدمي ، -أي ائتي بخادمة- . فقالت : وأنا والله قد طحنت ، حتى مجلت يداي ، فأنت النبي ﷺ فقال : ما جاء بك أي بنية ؟ استحييت ، قالت : جئت

لأسلم عليك ، واستحييت أن أسأله ، ورجعت فأتيناها جميعاً .

جاءت بسيدنا علي ، فذكر علي حالها ، -أن ابنتكم يا سيدي متعبة العمل شاق ، جسمها ضعيف ، فهل من خادمة ؟ - فقال ﷺ : لا والله لا أعطيكما ، وأدع أهل الصفة ، تتلوى بطونهم ، ولا أجد ما أنفق عليهم ، النبي عد المؤمنين أسرة واحدة ، ما أعطى ابنته خادمة ، وهناك فقرا ، يتلون من الجوع .

والحديث في صحيح البخاري ، عَنْ عَلِيٍّ : « أَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى ، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ ، فَلَمَّا جَاءَ ، أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ ، قَالَ : فَجَاءَنَا ، وَقَدْ أَخَذْنَا مَصَاجِعَنَا ، فَذَهَبْنَا نَقُومُ ، فَقَالَ : عَلَى مَكَانِكُمَا ، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي ، فَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَصَاجِعَكُمَا ، أَوْ أُوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا ؟ فَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبَّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ » .

وفي رواية أحمد :

« فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا تَرَكْتُهَا بَعْدَمَا سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَلَا لَيْلَةً صِفِينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةً صِفِينَ؟ ».

فضائلها القدسية ﷺ

حينما تشرق الروح ويزهر الايمان وتوهج العقيدة يسمو الانسان ويتعالى فإذا اضفت الى ذلك اللّمسات السماوية في كيانه والعنايات الالهية المتجلية فيه صار هذا الإنسان عنواناً آخر أو قل مخلوقاً آخر لا يستطيع الانسان العادي أن يتوفر على ابعاده و كذلك كانت الزهراء روعي فداها حوراء إنسية فلنتعرف على معالم شخصيتها من لسان أبيها ﷺ وأهل بيتها وأبنائها صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

عن ابن عباس قال : (كان النبي ﷺ يكثر من تقبيل فاطمة ﷺ فقالت له عائشة أنك تكثر من تقبيل فاطمة ، فقال ان جبريل ليلة أسرى بي ادخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماء في صليبي فحملت خديجة بفاطمة فاءذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة فاصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها قال : خرجه أبو الفضل بن خيرون) (٣٦) .

وفي ذخائر العقبى ذكر حديثاً عن أسماء في

ولادة فاطمة بالحسن عليهما السلام قالت أسماء : فقلت : يا رسول الله اني لم أر لها دمأ في حيض ولا في نفاس ، فقال ﷺ : أما علمت ان ابنتي طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث ولا ولادة (٣٧) .

قال السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (٣٨) . قال : واخرج الطبراني عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : لما أسري بي الى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة أحسن منها ولا أبيض ورقاً ولا أطيب ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صليبي فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فإذا أنا اشتقت الى ريح الجنة شممت ريح فاطمة .

روى القندوزي عن رسول الله ﷺ : (انما سميت فاطمة البتول لانها تبتلت من الحيض والنفاس) (٣٩) . وكذلك روى ذلك الحضرمي (٣٠) .

وعن الخطيب البغدادي قال : قال رسول الله ﷺ : (ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث) (٣١) .

روى الملا في سيرته ان النبي ﷺ قال :

(أتاني جبريل بتفاحة من الجنة فأكلتها وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فقالت : اني حملت حملاً خفيفاً فإذا خرجت حدثني الذي في بطني) (٣٢) .

وقد ورد في أحاديثنا أنها سلام الله عليها سميت بالمحدثثة لان الملائكة كانت تحدثها وجبرئيل فيهم من دون المعاينة (٣٣) .

ودخل النبي ﷺ على خديجة مرة وهي تحدث فاطمة في بطنها فقال لها : يا خديجة من تحدثين قالت : الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني فقال : يا خديجة هذا جبرئيل يبشرني انها أنثى وانها النسلة الطاهرة الميمونة ، وان الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه (٣٤) .

قال رسول الله ﷺ : (عن ملك هبط للارض و بشرني ان الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) (٣٥) .

قال رسول الله ﷺ : (خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم) (٣٦) .

بل ان النبي ﷺ فضلها على سائر نساء العالمين في الدنيا والآخرة روت عائشة وغيرها عن

النبي ﷺ انه قال : (يا فاطمة أبشري فان الله تعالى اصطفاك على نساء العالمين وعلى نساء الاسلام وهو خير دين) (٣٧) .

ودخل النبي ﷺ على فاطمة سلام الله عليها يوماً فقال : (كيف تجدينك يا بنيّه قالت اني لوجعة وانه ليزيدني انه مالي طعام أكله قال يا بنية أما ترضين انك سيدة نساء العالمين قالت يا أبة فأين مريم بنت عمران ؟ قال تلك سيدة نساء عالمها وانك سيدة نساء عالمك أم والله زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة) (٣٨) .

سأل بزل الهروري الحسين بن روح رحمه الله فقال : كم بنات رسول الله ﷺ فقال أربع فقال أيتها أفضل ؟ فقال فاطمة قال ولم صارت أفضل وكانت أصغرهن سناً وأقلهن صحبة لرسول الله ﷺ قال : لخصلتين خصها الله بهما : أنها ورثت رسول الله ﷺ ونسل رسول الله ﷺ منها ولم يخصصها بذلك الا بفضل وإخلاص عرفه من نيتها (٣٩) .

وعن النبي ﷺ : (ان الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها) (٤٠) .

قيل للنبي ﷺ عن فاطمة : يا رسول الله أهي سيدة نساء عالمها فقال ﷺ : (ذاك لمريم

بنت عمران أما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين^(٤١).

وعن الامام الصادق عليه السلام: (لولا ان الله خلق أمير المؤمنين لفاطمة ما كان لها كفؤ على الأرض)^(٤٢).

عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾^(٤٣). قال: علي وفاطمة بحران عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه ... ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾^(٤٤): الحسن والحسين عليهما السلام^(٤٥).

سُئل الامام الصادق عليه السلام عن سبب تسمية فاطمة بالزهراء فقال: (لانها اذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض)^(٤٦).

روى الحاكم في مستدركه عن علي عليه السلام: قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله حتى تمر^(٤٧).

وروي أنها عليها السلام ربما اشتغلت بصلاتها وعبادتها فربما بكى ولدها فرأى المهدي يتحرك وكأن ملك يحركه^(٤٨).

وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أم سلمى قالت: اشتكت فاطمة سلام الله عليها شكواها التي قبضت فيها فكنت أمرضها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك قالت: وخرج علي عليه السلام لبعض حاجته - فقالت يا أمه اسكبي لي غسلاً فسكبت لها غسلاً فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل ثم قالت: يا أمه اعطيني ثيابي الجدد فاعطيتها فلبستها ثم قالت: يا أمه قدمي لي فراشي وسط البيت ففعلت واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها ثم قالت: يا أمه اني مقبوضة الان وقد تطهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها^(٤٩).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وانما سمّاها فاطمة لان الله فطمها ومحبيها عن النار)^(٥٠).

الخاتمة

المنهج التربوي لأهل البيت عليه السلام متداخل مع بقيّة المناهج التي تُكوّن مجتمعةً منهج الإسلام الشامل والكامل للكون والحياة والمجتمع والإنسان ، فلا فصل بين المنهج التربوي وبقية المناهج ، ولا تصادم ولا تضادّ

ولا تناقض ؛ لأنَّ الهدف الأساسي لأهل البيت عليه السلام هو إنجاح مسيرة التربية وإشاعة الأخلاق الفاضلة وتقريرها في واقع الحياة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) .

وبهذا يكون كلُّ ما جاء به الإسلام في القرآن والسنَّة يُراد به إتمام مكارم الأخلاق ، فالعقيدة بجميع إبعادها تخلُق الأجواء الصالحة لتتحرك فيها خطوات

إصلاح النفس والمجتمع ، والمحافظة على سلامة الإنسان السلوكية وصحته النفسية والروحية ، والإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر يُحرِّر الإنسان من الانسياق وراء الشَهَوَاتِ بلا قيود ولا حدود ، والخوف من أهوال يوم القيامة يمنع الإنسان من مُمارسة ألوان الفسق والانحراف .

ومنهج العبادات يعمل على تعميق الإيمان بالله ويجعل الرقابة الإلهية حقيقة تسري في جميع جوانح الإنسان ، والعبادات بكلِّ ألوانها تغرس في نفسه المُثل المعنوية التي يتعالى بها على جميع ألوان الانحراف والانحطاط ، فالصلاة تمنح الإنسان الطمأنينة وتنهاه عن الفحشاء والمنكر وتُبَعِّده عن جميع الآثام والانحرافات ، والمداومة على الصلاة المندوبة كفيلة بإيصاله إلى السمو والتكامل الروحي والخلقي .

والصوم يعمِّق التقوى في ذات الإنسان ، ويُقيِّد

الغرائز والشَهَوَاتِ ، ويَهْدِّبُ سُلُوكَ الإنسان ويحصِّنه من تلوُّث خُلُقِهِ ، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : (إِنَّ الصَّيَامَ لَيْسَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَحْدَهُ ، إِنَّ مَرِيِمَ عليها السلام قَالَتْ : ﴿...إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا...﴾ أي صُمْتُ ، فاحفظوا أَسَنَّتَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَازَعُوا) . وهو أحدُ العبادات التي تُساعد على التكافل والتراحم ، والتي تُساعد على تعميق العلاقات الإنسانية التي يتحرَّك من خلالها الإنسان مطمئنًا يشعر بالإخاء والتآزر والتعاطف .

والحجَّ عبادةٌ لها آثارها الإيجابية على سلامة الإنسان السلوكية والنفسية والروحية ، وهو يمنح الإنسان فرصة جديدة لتجاوز الانحرافات والآثام السابقة ، والبدء بحياة جديدة تغمرها الاستقامة والخلق الرفيع ، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام : (حَجُّوا واعتمروا تصحَّ أبدانكم وتُتَسَّعَ أرزاقكم ، وتكفون مؤونات عيالكُم ... الحاجَّ مغفورٌ له وموجبٌ له الجنة ، ومستأنفٌ له العمل ، ومحفوظ في أهله وماله) .

والعبادات المالية كالزكاة والخمس تخلُق التوازن بين الطبقات وتعمِّق الأواصر الاجتماعية كالتألف والتآزر والتعاون ، وتُهيِّئ الأجواء التربوية والنفسية المانعة من الانحراف بسبب الفقر والجحمان ، والمانعة من الأمراض

النفسية الناجمة من عدم إشباع الحاجات الأساسية للإنسان . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجمع الطاقات لتتطلق في الإصلاح والتغيير ، وقلع جذور الفساد والانحراف وإشاعة الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة ، فيتكافل الجميع في المسؤولية التربوية ، فيكون الفرد رقيباً على ممارسات المجتمع ، ويكون المجتمع رقيباً على ممارسات الفرد ، وبهذه المسؤولية تتحقق خطوات المنهج التربوي في الواقع بأسرع الأوقات ، وبأقلها عناءً وكلفة .

والمنهج الاجتماعي له الدور الكبير في إنجاح سير وحركة المنهج التربوي ، فقد وضع أهل البيت عليهم السلام برنامجاً واقعياً في العلاقات داخل الأسرة ، فلكل فردٍ من أفرادها حقوقٌ وواجبات يتربى من خلالها الإنسان على الأخلاق الكريمة ليكون عنصراً فعالاً في المجتمع ، يأمن من خلالها المجتمع من ممارسة الانحراف والانحطاط والرديلة والجريمة

والمنهج الاقتصادي يهيئ الأجواء المناسبة لإنجاح المنهج التربوي ، ويمنع من الانحراف الأخلاقي الناجم عن الفقر والحرمان والاستغلال والظلم الاقتصادي ، ويوازن بين الطبقات ليحقق التآلف ويمنع من الفقر ومن الثراء الفاحش اللذين يُشكّلان أساس بعض الانحرافات الخلقيّة .

والمنهج السياسي له دورٌ ملموس في بناء المُحتوى الداخلي للإنسان وتهذيب سلوكه الاجتماعي ، والمنع من جميع ألوان الانحراف والانحطاط ، والمنهج السياسي القائم على أساس الإمامة الصالحة يُحقق الغاية الأساسية وهي إتمام مكارم الأخلاق ، بتهيئة أجوائها المناسبة في الواقع .

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : (إنّ الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعزّ المؤمنين بالإمام تمام الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحجّ ، والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب .

وفي حديثٍ آخر قال عليه السلام : (... يحقن الله عزّ وجلّ به الدماء ، ويصلح به ذات البين ، ويكسوه به العاري ، ويُسبغ به الجائع ، ويؤمن به الخائف ، ويرحم به العباد) .

واشتراط العصمة في من يلي رسول الله صلى الله عليه وآله ، واشتراط العدالة في الفقيه النائب عن الإمام المهدي عليه السلام ضمان لنجاح حركة التربية وتطبيق قواعد المنهج التربوي وبقية المناهج الإسلامية .

مصادر البحث :

مصادر الإمامية

- ١- منتهى الامال في تواريخ النبي ، المحدث الكبير الشيخ والآل ج ، عباس القمي
- ٢- بحار الانوار ج ٤٣ ، المجلسي
- ٣- الدر المنثور ، السيوطي
- ٤- ذخائر العقبى ، المحب الطبري
- ٥- الصواعق المحرقة ، ابن حجر العسقلاني
- ٦- صحيح الترمذي ج ٢ ، الترمذي / ابو عيسى محمد بن عيسى
- ٧- صحيح ابوداود ج ٦ وج ٣٣ ابوداود / سليمان بن الاشعث الأزدي
- ٨- حلية الاولياء ج ٢ وج ٤ ، الحافظ ابي نعيم الأصبهاني
- ٩- فضائل الخمسة من الصحاح الستة العلامة السيد مرتضى ، ج ٣ ، الفيروز آبادي
- ١٠- سنن البيهقي ج ١ ، أبوبكر البيهقي
- ١١- المستدرک على الصحيحين ج ٣ ، الحاكم النيشابوري
- ١٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة ، الاربلي ج ١ ، ٢
- ١٣- الاستيعاب ج ٢ ، ابن عبد البر
- ١٤- جامع الاصول في احاديث ، ابن الاثير الرسول
- ١٥- الحصال للصدوق ج ٢ ابن بابويه
- ١٦- تاريخ بغداد ج ١ و ٤ و ٥ و ٧ و ١١ و ١٢ ، للخطيب البغدادي
- ١٧- يتابع المودة ، القندوزي البلخي
- ١٨- مودة القربى ، الحضرمي
- ١٩- امالي الصدوق ، ابن بابويه
- ٢٠- امالي الطوسي ج ، الشيخ الطوسي

مصادر العامة

- ٢١- كنز العمال ج ٦ و ٧ ، المتقي الهندي
- ٢٢- أسد الغابة ج ٥ ، ابن الأثير
- ٢٣- مسند الامام احمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل ج ٢ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧
- ٢٤- صحيح البخاري ج ، ٥ محمد بن اسماعيل البخاري
- ٢٥- صحيح مسلم ج ٤ ، مسلم بن الحجاج
- ٢٦- مناقب آل أبي طالب ج ٢ و ٣ ، ابن شهر آشوب
- ٢٧- تفسير الميزان ج ١٨ و ٢٠ ، السيد الطباطبائي رحمته الله
- ١- فضل أهل البيت وعلو مكانتهم - الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر .
- ٢- أسد الغابة - ابن الأثير الجزري .
- ٣- الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني .
- ٤- سير أعلام النبلاء - الحافظ محمد بن أحمد الذهبي أبو عبد الله ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي .
- ٥- صفوة الصفوة - عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي .
- ٦- التاريخ الصغير للبخاري - مراجعة محمود زايد .
- ٧- التاريخ الكبير للبخاري - مراجعة السيد هاشم الندوي .
- ٨- صحيح البخاري - لإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري .
- ٩- صحيح مسلم - لإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري .
- ١٠- سنن أبي دواد - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .
- ١١- جامع الترمذي - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .

- ١٦- حلية الأولياء - الحافظ أبي نعيم الأصبهاني .
- ١٧- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .
- ١٨- صحيح الجامع للسيوطي - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .
- ١٩- سنن أبن ماجة - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .
- ٢٠- البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير .

- ١٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول - ابن الأثير الجزري - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط .
- ١٣- مسند الإمام أحمد - تحقيق شعيب الأرناؤوط .
- ١٤- سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - د . علي محمد الصلابي .
- ١٥- خامس الخلفاء الراشدين (الحسن بن علي ؑ) شخصيته وعصره ، د . علي محمد الصلابي .

الهوامش :

- [٨] تحقيق الألباني : حديث صحيح ، انظر حديث رقم (٧٩) في صحيح الجامع .
- [٩] تحقيق الألباني : حديث صحيح ، انظر حديث رقم (٧٩٦١) في صحيح الجامع .
- [١٠] تحقيق الألباني : حديث صحيح ، انظر الحديث رقم (٣٠٧) سنن النسائي .
- [١١] سيرة ابن هشام (٧١/٥) .
- [١٢] نفس المصدر السابق .
- [١٣] انظر المصدر السابق (٥٢/٤) .
- [١٤] سير أعلام النبلاء (١١٩/٢) .
- [١٥] ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢٨/٢) .
- [١٦] تحقيق الألباني : حديث صحيح ، انظر الحديث رقم (٦٠٩٥) مشكاة المصابيح كتاب مناقب علي ؑ .
- [١٧] تاريخ البخاري الكبير ، انظر الحديث رقم (١٩٦١) .
- [١٨] تحقيق الألباني : حديث صحيح ، انظر الحديث رقم (٢١٢٥) سنن أبي داود .
- [١٩] تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي ، انظر الحديث رقم (٨٥٣) في مسند الإمام أحمد .
- [٢٠] تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي ، انظر الحديث

- [١] سورة الأحزاب ، الآية رقم : (٣٣) .
- [٢] تحقيق الألباني : حديث صحيح ، انظر الحديث رقم (٣٢٠٥) جامع الترمذي .
- [٣] التاريخ الكبير للبخاري انظر الحديث رقم (٧٢٨) .
- [٤] تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح انظر الحديث رقم (٢٦٦٨) في مسند الإمام أحمد .
- [٥] تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم ، انظر الحديث رقم (٥٧٠٧) مسند الإمام أحمد .
- [٦] تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح لغيره ، وهذا إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد انظر الحديث رقم (١١٦٣٦) في مسند الإمام أحمد .
- [٧] انظر الحديث رقم (٦٦٧١) في جامع الأصول في أحاديث الرسول ، بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط : أخرجه الترمذي حديث رقم (٣٨٧٣) في المناقب ، باب مناقب فاطمة بنت محمد رواه الحاكم وصححه وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

- رقم (٨١٩) في مسند أحمد .
- [٢١] تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده محتمل للتحسين ، انظر الحديث رقم (٢٣٠٨٥) في مسند الإمام أحمد .
- [٢٢] سير أعلام النبلاء (١١٩/٢) .
- [٢٣] أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٩/٢) .
- [٢٤] تحقيق الألباني : حديث حسن ، انظر الحديث رقم (١٧١٤) سنن أبي داود .
- [٢٥] تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، انظر الحديث رقم (٧٤٠) في مسند الإمام أحمد .
- [٢٦] ذخائر العقبى ص ٣٦ .
- [٢٧] ذخائر العقبى ص ٤٤ .
- [٢٨] سورة الاسراء آية ١ .
- [٢٩] ينابيع المودة ص ٢٦٠ طبعة اسلامبول .
- [٣٠] مودة القرني ص ١٠٣ طبعة لاهور .
- [٣١] كنز العمال ج ١٣ ص ٩٤ ورواه أيضاً الخطيب في تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣ .
- [٣٢] ذخائر العقبى ص ٤٤ .
- [٣٣] كشف الغمة ج ٢ ص ٤٦٣ .
- [٣٤] ينابيع المودة للقندوزي البلخي ص ١٩٨ والصدوق في أماليه عن الصادق عليه السلام ص ٤٧٥ .
- [٣٥] أمالي الطوسي ج ١ ص ٨٣ .
- [٣٦] البحار ج ٤٣ ص ٣٦ .
- [٣٧] البحار ج ٤٣ ص ٣٦ .
- [٣٨] حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٢ ، البحار ج ٤٣ ص ٣٧ .
- [٣٩] البحار ج ٤٣ ص ٣٧ .
- [٤٠] كنز العمال ج ٦ ص ٢١٩ ، وكشف الغمة ج ٢ ص ٤٦٧ .
- [٤١] البحار ج ٤٣ ص ٢٤ .
- [٤٢] البحار ج ٤٣ ص ٩٧ .
- [٤٣] سورة الرحمن آية ١٩ .
- [٤٤] سورة الرحمن آية ٢٢ .
- [٤٥] البحار ج ٤٣ ص ٣٢ .
- [٤٦] البحار ج ٤٣ ص ١٢ .
- [٤٧] المستدرک ج ٣ ص ٥٣ ، ورواه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٣ والمحلب الطبري في ذخائر العقبى ص ٤٨ وغيرهم .
- [٤٨] البحار ج ٤٣ ص ٤٥ .
- [٤٩] مسند الامام أحمد ج ٦ ص ٤٦١ ، والمحلب الطبري في الذخائر ص ٥٣ رواه عن ام سلمة وابن الاثير في اسد الغابة عن ام سلمى ج ٥ ص ٥٩٠ .
- [٥٠] الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٢ ص ٣٣١ ، وابن حجر في صواعقه ص ٩٦ .

السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ الْمَقَامَاتُ وَالْقُدُوهُ

❖ د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي (*)

❖ د. عبد الكريم حسين عبد السعداوي (**)

.....
(*) باحث من العراق - جامعة الكوفة.

(**) باحث من العراق - جامعة بابل.

أولاً : الإطار النظري :

التوجيه الحجاجي :

التوجيه الحجاجي من المصطلحات التي تتداخل عندها علوم معرفية متعددة منها علم الكلام والمنطق والنحو واللسان مما أدى هذا إلى الاتساع والتشابه ، بل والتعدد في الموصلات المعرفية التي تعمل على محاثة هذا المصطلح الى الأهمية التي يؤلفها بوصفه يمثل الأيدلوجية الوظيفية والأنجازية للغة ، ويكون العصب الحسي الناقل للإيعاز الإدراكي من القائل عبر المقول (المضمون الجملي) إلى المتلقي^(١).

إن الذي نصبو إليه في هذه المقاربة لمصطلح التوجيه ، هو التوجه الذي تبناه اللسانيون المحدثون في فهم هذا المصطلح والعناية القصوى بتحليل ما يقوم به المتكلم حينما يتكلم ، وقد أدت

دراسة القوة الأنجازية لأفعال الكلام الى دراسة المواجهات "علاقة الموجهات بأفعال اللغة"^(٢) ، فقد عرفه مارتن بقوله : "التوجيه حكم على حكم أي أنه حكم من الدرجة الثانية . . . وهو ما من شأنه أن يجعل مجال التوجيه مجالا شاسعا ، فقولنا : (هو يعدو سريعا) هو قول موجه ، ذلك أن قولنا (يعدو) حكم هو نفسه محكوم عليه بحكم آخر من قولنا : (سريعا) ، هذا يعني أن كل قول عادي هو قول موجه"^(٣).

يدخل فعل التوجيه ضمن واحد من أنواع الأفعال اللغوية التي صاغها سورل وقد سماها بالأفعال التوجيهية وتتحد بأنها "كل المحاولات الخطائية التي يقوم بها المرسل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معين في المستقبل " ، وبذلك تتعدد أفعال الانجاز و التوجيه .
ومنها الاوامر والطلبات والاقتراحات^(٤) ولكي

يحقق المرسل فعل التوجيه في الخطاب فإنه "يستعين بأدوات أخرى وآليات مختلفة، منها أساليب الأمر، والنهي، والتحذير، والإغراء، والروابط، والعوامل الحجاجية وذلك بالاستناد الى دور السياق والمقام"^(٥) فالأفعال التوجيهية تعبر عن توجه المرسل إياناً ينفذ المرسل إليه بعض الافعال في المستقبل، ، وهيانها تعبر عن رغبة المرسل أو، أمنيته بأن يكون خطابه، او بأن تؤخذ ارادته التي أنطوى عليها خطابه على أنها هي السبب الرئيس أو الدافع الحقيقي في الفعل الذي سوف يأتي به المرسل اليه مستقبلاً^(٦). أن الموجهات اللغوية محملة بطاقة حجاجية يتم توظيفها من الباث فتكون قادرة على توجيه الملفوظ تبعاً لقصدية الكلام ومتطلبات التلقي والتوصيل، اذ يقف المخاطب بخطابه عند عتبات اشارة /موجهات يستدعيها ويوظفها بما ينسجم وتوجيه القول من جهة، وتوجيه الملتقي الى عمل ما من جهة أخرى^(٧).

ومن هنا نجد طبيعة الخطاب الذي حفلت به الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام قد تميزت ببناء استراتيجية توجيهية تتكئ على هدف التوجيه بما يتلاءم وطبيعتها المقامية والسياقية، التي في ضوءها

يقوم المرسل بتوجيه المرسل اليه عبر اللغة وبها سعيًا منه الى توجيه الملتقي نحو فعل مستقبلي معين، لذلك نجد الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام قد تشكلت فيها مجموعة من الموجهات الحجاجية التي تبغى الاقناع والتأثير ثم ثم توجيه الملتقي نحو عمل ما او تركه عن طريق (الاقناع والاذعان).

وقد وردت في الخطبة الفدكية مجموعة من الموجهات اليقينية وسنعمد في ابرازها على مجموعة من العوامل والوحدات اللغوية التي تقوم بوظائف حجاجية، يعرفها موشلروروبول بأنها: "الآثار الظاهرة في الخطاب"^(٨) فهي بارزة للعيان في بنية الملفوظ ولها قيمة توجيهية في هذا الملفوظ باتجاه النتيجة وتقويتها، اذ أنها لا تربط بين متغيرات حجاجية، اي بين حجة ونتيجة، او بين مجموعة حجج كما يحصل مع الروابط الحجاجية، ولكنها تقوم بحصر الإمكانيات الحجاجية وتقييدها، أي أن العامل الحجاجي يعمل على إظهار (الموضع) في الملفوظ عنه يعمل هذا الموضع علة تحديد الاتجاه التأويلي الصحيح للوصول الى النتيجة النهائية التي يكون لها الأثر الرئيس في إحداث التوجيه^(٩). وفي ضوء خلال ما سبق تبين أن التوجيه

٨ : القسم

يعد القسم نوعاً من أنواع الفعل الكلامي الذي يوجه القول توجيهاً يقينياً اثباتياً يلجأ إليه المتكلم لتأكيد كلامه فهو أذ يثبت القول ويوجهه يجعل في الوقت نفسه الحجة على المخاطب ويلزمه بها ، وفي ذلك يقول القشيري : "أن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل باثنتين ، أما بالشهادة وأما بالقسم فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة" (١١) .

وفي ضوء ذلك يجب القول أن ما كل مقسم به يكون حجة على صحة الدعوى ، وإنما تكون الحجة الناتجة عن صحة الدعوى متوقفة على اعتبار المخاطب الذي أتى من أجله القسم (١٢) لهذا ذكر القشيري في شروط القسم : "ولا يكون القسم إلا باسم معظم" (١٣) أي كون المقسم به يقع ضمن الحواضن المعرفية الثقافية التي يتوافق معها المتكلم والمتلقي ، التي تمثل حيثيات إيمانية وعرفية مسلم بها . أن الدلالة الكلية للقسم لا تتجه نحو القسم بذاته فحسب ، وإنما الغاية منها تحقيق المغزى التوصيلي الذي يطمح إلى دفع المتلقي إلى الوثوق بكلام الباث ، ومن ثم يكون وجوده ضرورياً لانتاج

الحجاجي تتجسد وظيفته بالعوامل الحجاجية على حمل المخاطب بها على الاقتناع وترك الشك والتردد والأنكار ، فضلاً على قدرتها في حصر الامكانات التأويلية والقصدية الدلالية كذلك تضيق الفجوة بين المتكلم والمتلقي وتجنب الجدل بينهما ، وهذا ما سنراه واضحاً في الإطار التطبيقي .

الإطار التطبيقي :

أولاً : الموجهات اليقينية :

يرى عبد الله صولة : أن الموجهات اليقينية تعد الضمان لحقيقة الكلام و لا مكان أن يكون هذا الكلام مقنعاً على الرغم من اصطباغه بالذاتية ذلك أن الاقتناع يحصل لدى المتلقي بمجرد أن القضية المعروضة عليه جاءت موجهة توجيهه إثبات (١٠) . وقد تجسدت الموجهات اليقينية في مجموعة من العوامل الحجاجية التي تعطي تطمينات إلى المتلقي بإمكانية تصديق بنية الملفوظ الذي وردت فيه .

لقد تضمنت الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام العديد من الموجهات اليقينية الإثباتية منها :

الإقناع أو لاحتمال حصوله على الأقل^(١٤) برز أسلوب القسم في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام عبر مجموعة من العوامل الحجاجية مثلث المقسم به وهي توجه الملفوظ وجهة حجاجية وحمل المتلقي على التصديق والاقتناع بها في حالتي النفي والاثبات للدعوى ، وبذلك قسمت التراكيب اللغوية المتضمنة لأسلوب القسم في الوصية من الناحية الحجاجية على قسمين :

أ- العامل الحجاجي :

دل العامل الحجاجي على الشيء المقسم به ، ومن مميزاته أنه يؤثر في التركيب حتى ينهض في الخطاب بوظيفة الحجاج ، كما يعمل على توجيه الملفوظ وإثباته وجعله مما يحمل على أنه واقع لا محالة ، ذلك أن للمقسم به قوة في تحقيق قيمة الكلام التأثيرية ، أنه يمثل المعلوم القديم الذي لا يمكن أن يقبل^(١٥) ، ويمكن أن نرى العامل الحجاجي في ضوء وروده في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام كما يأتي :

(فتلك - والله - النازلة الكبرى والمصيبة العظمى)^(١٦) .

(ولا مصدودة عن صدقك ، ووالله ما عدوت رأيي رسالة الله)^(١٧) .

اكتسبت هذه العوامل / المقسم به حجاجيتها في توجيه الإثبات من حصول إجماع ضمني في قبولها ورسوخها اذ يمثل حلقة وصل بين طرفي الخطاب ، وهذا الإجماع نتاج العظمة التي يحملها المقسم به لفظ الجلالة (الله) التي تبرز بوساطة هذه العوامل الحجاجية وهي عنها تحيل على أيديولوجيات معجمية ناتجة عن الدلالات المحايثة في المقسم به فالحمولات الدلالية والاقتضائية للعامل الحجاجي في القسم يقوم بوظيفة حجاجية في الحواضن والمنظومات العقدية للمخاطب (القسم بالله) لذلك يتم طلبه في الخطاب سعياً من الباث لحصول الاستقرار والاطمئنان الروحي وعدم التردد من طرف المقابل في قبول القضية / الدعوى من حيث تحقيق الصدق والإثبات اليقيني مما يجعل المتلقي يقتنع بمضمون جواب القسم ، فالدور الحجاجي الذي يمارسه القسم يمثل في توجيه المقول والقول معا في ثنائية نسقية ، أي يعمل على توجيه فحوى الكلام وإبراز مدى مصداق حضور الذات القائلة في كلامها المنطوق ،

وأنفتاحها على أبجديات المتلقين ، وأبجديات إيمانهم
اذ ينطلق من مكوناتها ويعتمد عليها ليقيم الحجة
على صحة القضايا التي يعرضها عليهم ويوجهها
توجيها اقناعيا مخصوصا وتأثيرا ملموسا .
وقد اتضحت أدوات القسم المحددة لجملته
القسم / العامل الحجاجي في الخطبة الفدكية للسيدة
الزهراء عليها السلام بوساطة حرف القسم (الواو) .

ب - الدعوى :

هي المقسم عليه / جواب القسم ، وتمثل
البؤرة التي جاء القسم ليسلط الضوء عليها بوصفها
المعلومة الجديدة التي من شأنها أن ترد ، كما أنها
القضية التي يتم حولها الجدل والاختلاف فتحاول
أن تستجمع قواها ، وتفرض نفسها امام الرياح العاتية
عبر تحصينها داخل الاسوار ثم درء معاول التفنيد
عنها بواسطة القسم فهي كالعارية^(١٨) وقد تشكلت
الدعوى / جواب القسم في عدة انماط لغوية تركيبية :

١- النمط الخبري المثبت :

يتضح جواب القسم في صيغة نمط خبري
مثبت في المثال الآتي :

(فتلك - والله - النازلة الكبرى والمصيبة

العظمى)^(١٩) .

٢- النمط الخبري المنفي :

يمثل جواب القسم النمط الخبري المنفي في
المثال الآتي :

(ولا مصدودة عن صدقك - ووالله - ما
عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله)^(٢٠) .

الطاقة الحجاجية للقسم :

تتفتح تراكيب الأنماط للدعوى على آفاق
دلالية وتداولية واسعة لا تقف عند حدود الطاقة
التعبيرية لدلالة النمط اذ تبين الملفوظات المؤكدة
بالقسم محاولة المتكلم لإقناع الخصم بوسم خطابه
بأعلى درجات التأكيد ، ومن ثم يصبح للملفوظ درجة
حجاجية عالية^(٢١) فأساس الطاقة المولدة للإقناع هو
ما ينهض له المقسم به من دور مهم في توجيه
الملفوظات وإثباتها وجعلها مما يحمل

على أنها واقعة لا محالة^(٢٢) وبعبارة أخرى أن

قوة المقسم به "تعمل على تحقيق قيمة الكلام

التأثيرية سواء أكانت هذه القيمة متحققة ام

كانت متصورة"^(٢٣) .

كما تكشف الملفوظات المؤكدة بالقسم عن

صورتين متعارضتين تنفتح في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام اذ تزيد درجة إثبات الدعوى بارتفاع درجة الإنكار ، وتطابق الجمل بأنماط مقامية مختلفة تتمايز بموقف المخاطب من فحوى القضية انطلاقاً من مجرد التردد في قبول هذه الفحوى إلى الإنكار التام فكلما ازداد الإنكار احتيج إلى مضاعفة التوكيد ^(٢٤) وتظهر هذه الدعوى في اشكال بنيوية متباينة ، وذلك حتى تكون منسجمة ومتطابقة مقامياً كما يأتي :

١- الطبقة المقامية الاولى :

وهي الطبقة التي يكون فيها المخاطب جاهلاً بالمعلومة التي يقصد اعطائه إياها او يعد المتكلم أن يخاطب يحملها ، اي المعلومة لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب ^(٢٥) ، وتتمثل في الملفوظات الآتية :

-فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ^(٢٦) .

فقد مثلت الدعوى / جواب القسم في المثال المعلومة التي يجهلها المخاطب بالنسبة للمتكلم لذا يلجأ الأخير إلى إثباتها والسعي للحصول على اليقين

واستقرار ثبوتيتها في ذهن المتلقي ، وكأن المتكلم يدفع بالمخاطب الى الوثوق بكلامه حين يقدم له معلومة يجهلها فيعمل (المتكلم) على تأكيدها بأعلى درجات الإثبات .

٢- الطبقة المقامية الثانية :

هي الطبقة المقامية التي يتوافر فيها المخاطب على المعلومة التي يعدها المتكلم معلومة غير واردة ، ويعمل المتكلم على تصحيحها للمخاطب ^(٢٧) .

وتتمثل في النموذج الآتي :

- ولا مصدودة عن صدقك ووالله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٢٨) .

أن النماذج السابقة هي جواب القسم على القضايا التي يعرضها المتكلم ، وهي أصلاً أجوبة لأسئلة مقدرة ومفترضة يتم الرد عليها بطريقة لا يمكن ردها أو أنكارها .

٢ / : القصر

القصر في اللغة ، يعني : الحبس ، وفي الاصطلاح : "تخصيص أمر بأمر بأسلوب معين اي

حبسه عليه وجعله ملازماً له^(٢٩) وهو أداة تأكيد وتخصيص ، كلما قويت الحاجة إليهما كأن القصر ابلغ^(٣٠) ودلالة التوكيد في القصر أن يكون بنفي الغير واثبات الحكم للموضوع ، ويكون صريحاً بحرف (النفي) و (الا) وضمناً بـ (أنما) ، وأمر الاختصاص ، فهو اختصاص احد العنصرين من دون غيره بالآخر ، ومن ثم تأكيد النسبة بينه وبين الآخر^(٣١) .

إن الأقوال التي تتضمن هذه العوامل الحجاجية (أدوات القصر) هي في حقيقتها قائمة على ثنائية النفي والإثبات من حيث السلوك الحجاجي والوجهة الحجاجية ، كما أنها تبين الاختلاف بين الدلالة الإخبارية والدلالة الحجاجية ، فمعنى هذه الأدوات الإخباري لا يضمحل ، لكن الذي يحصل هو التعديل في الوظيفة الحجاجية للقول ، أي الإمكانيات الحجاجية التي يتيحها الملفوظ ، إذ أن من وظائف هذا القصر هو تقليص الاستنتاجات التأويلية وتحديد المسار الصحيح في خريطة القول الذي ينبغي أن يسير فيه الخطاب ، وبعبارة أكثر دقة وضع حد لتعدد الاحتمالات في شأن المفاهيم الناجمة عن قول ما^(٣٢) .

ومن مدارس مدونة الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام نلاحظ تحقيق أسلوب القصر عبر مجموعة من العوامل الحجاجية التي عملت على تعديل القيمة الحجاجية للأقوال (قيمة الإثبات / قيمة التخصيص) ، فضلاً على قدرتها على توجيه المخاطب وإقناعه بضرورة أنجاز شيء ما على وفق موجهات القول ، ومن هذه العوامل (ما ... إلا ، لا ... إلا ، إنما) .

١- القيمة الحجاجية للعامل (لا ... إلا) يقوم هذا العامل بتوجيه القول بالنفي والإثبات بناء على مقتضى الإنكار والشك والتوهم الحاصل من المخاطب الأمر الذي يجعل المتكلم يلجأ الى هذه الأدوات لما لها من إمكانية حجاجية في توجيه المخاطب وإقناعه ، كما في النماذج الآتية :

(وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له)^(٣٣)

(ولا فائدة له في تصويرها الا تثبिता لحكمه)^(٣٤)

(لا يحبكم الا سعيد)^(٣٥)

- ولا ييغضكم الا شقي .^(٣٦)

ففي هذه النماذج نجد السيدة الزهراء عليها السلام

قد ألزمت في خطبتها نساء المهاجرين والأنصار بقاعدة التقييد وحصر مسار الجائز عندها وقيدته بواسطة العامل الحجاجي (لا... الا) الذي عمل على وظيفتين حججيتين هما :

التصريح بالنفي الواضح من الجملة الاولى وتعيينه ، واقصاء مفاهيم اخرى قد تخطر في ذهن المتلقي ، اذ أن وجود النفي من دون القصر يسبغ على النص تعدد التاويلات او الإمكانيات الاستنتاجية المحتملة ، والثانية : هي تأكيد المفهوم المقصور عليه ، اذ بواسطته تلغى المفاهيم والتاويلات الأخرى التي قد يتصورها المتلقي والتي تعمل على الإخلال بالنظام الدلالي الذي يدخل في بوتقة النظام العقدي للإسلام ، فوجود القصر في هذه الأداة حدد المقصود ووجه ذهن المتلقي الى قبوله من دون سائر المقاصد ، كما أن الإعلان بالمقصود عليه من شأنه أن يسد الأبواب امام الغير ، فالوظيفة للجملة الثانية في علاقتها بالجملة الاولى هي علاقة التوكيد والبيان والتفسير .

ثانيا : الموجهات التقريبية او موجهات الشك :

تبرز الموجهات التقريبية او موجهات الشك

في ألفاظ نحو (يبدو أن ، كأن ، زعم ، لعل ، ظن ، ...) وهذه العوامل الحجاجية وغيرها من شأنها أن تجعل الملفوظ ذا سمة ذاتية بواسطة الإعلان عن حضور صاحبه فيه حضورا بارزا للعيان تكسبه صبغة موضوعية^(٣٧) .

ان ما تثيره هذه العوامل الحجاجية او الموجهات التقريبية او المفيدة للشك من شك بتعبير عبد الله صولة على القضايا او الملفوظات الخطابية ، انما يكون لغاية اقناعية بمضمون القضايا هذه المطروحة ، تقول اوروكيوني في هذا الشأن « أننا بإعلاننا عن شكنا وعدم يقيننا وبجعل حكايتنا حكاية تقريبية نكون قد برهنا على درجة من النزاهة الفكرية تفضي الى جعل الحكاية في مجملها حكاية صادقة »^(٣٨) من هنا نجد أن الموجهات التقريبية « تجعل الخطاب الذي ترد فيه ذا بعد موضوعي يبعث على التصديق او يولد الاقناع ، ووسم المتكلم خطابه بهذه الموجهات يعني أن يقف موقف الحياد من مضمون القضايا التي يعرضها على السامع بحجة الموضوعية والنزاهة »^(٣٩) وفي ضوء ما تقدم ، نرى أن الأثر التوجيهي الاقناعي للموجهات التقريبية والمفيدة شكا يخضع بصورة عامة الى مقتضيات

الموجه الشكي (زعم) :

يستعمل الفعل (زعم) ومشتقاته في الغالب للظن الفاسد أي ما يشك فيها ويعتقد كذبه^(٤٣) وقد ارتبط هذا الموجه بالكذب ارتباطاً وثيقاً ، ومن عادة العرب أن من قال كلاماً وكأن عندهم كذباً ، قالوا : زعم فلان ، وقال شريح : « لكل شيء كنية وكنية الكذب زعم »^(٤٤) كما ورد عن ابن عباس : « أنه متى ما جاءت كلمة زعم في القرآن الكريم فأنها تعني الكذب والعقائد الباطلة »^(٤٥) وقد هذا الموجه الحجاجي في عدد من الأقوال في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام ووظفته عليها السلام في توجيه الخطاب الوجهة التي يريد بها المتكلم وتغيير عوالم المتلقين ، وبذلك يكون الحجاج مدعاة للتأثير في المتلقي واستمالته الى ما يقصده المتكلم وما يروم تحقيقه عبر الخطاب وهذا ما توضحه المقولات الآتية اذ عمل الموجه الشكي (زعم) في هذه الملفوظات على توجيه الخطاب بحسب قصيدة المتكلم ، فهو يعمل على تحقيق استراتيجية الهدم والبناء بموجب تقويض حجج المخاطب وهدمها ، وتأسيس حجج على أنقاضها بوصفها جواباً عن تساؤل قدمه الموجه (زعم) من أجل تفنيد المحمول

المقام ، فالمقام هو الذي يحدد ذلك الأثر التوجيهي لهذه الأدوات /العوامل ويمنحها البعد الحجاجي من عدمه^(٤٦) .

ويرى الشهري : أن هذه الأفعال التلميحية تنتسب الى الالتزام الجملي المعمم ، اذ تقع في مرتبة دون مرتبة أفعال اليقين التي تعبر عن التأكيد فالمرسل يستعملها في خطابه درءاً للجزم بمحتوى الخطاب أي للتعبير عن موقفه الشخصي من مضمون القول ولو لم يكن ذلك قصده لاستعمل القسم الآخر من أفعال القلوب أي تلك التي تدل على اليقين مثل علم ودرى^(٤٧) فالقصيدة في استعمالها للتعبير عن الشك في القضية او المضي الى أنكارها وتكذيبها ، وعلى هذا الأساس تستعمل هذه الأدوات اللغوية في بنية الخطاب المنجزة لتكون مؤشراً تلميحياً عن قصد ولتحديد توجه المرسل نحو مضمون القضية^(٤٨) .

ولتوضيح البعد الحجاجي للموجهات التقريبية المتمثلة بالموجه الشكي (زعم) نتابع تطبيقاته في نصوص الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام :

الذي أنطوى عليه الموجه (زعم) وتعريته^(٤٦) فهذا الموجه قد مهد لظهور حجة قوية قائمة على دحض الخصم ابتغاء الوصول الى النتيجة المبتغاة .

ومن أقوال السيدة الزهراء عليها السلام في الخطبة الفدكية التي ورد فيها الموجه الشكي (زعم) قولها عليها السلام « أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم ، وبلغائه الى الأمم ، وزعيم لكم فيكم »^(٤٧) نلاحظ السيد الزهراء عليها السلام في هذا الموضع تخاطب أهل المجلس — أبو بكر وحشد المهاجرين والأنصار وغيرهم وغيرهم — فهي تشعر الآخر / أهل المجلس بأنهم ليسوا متصفين بها / الصفات الواردة في النص (نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم) حقيقة ، وإنما يدعون كذبا ، فهي عليها السلام تكذب صراحة ادعاءات القوم بوسم الخطاب بالموجه الشكي (زعيم) فضلا على أنها تركز على توجيه الخصم / أهل المجلس ، والعمل على تحقيق التغيير في مقولاته وآرائه فحسب ، بل هي تحقق المنطق العقلي في التغيير الفكري والسلوكي في ذهن المتلقي العام ، وتوجيهه نحو تبني موقف وسلوك واقعي منطقي تجاه القضايا

المطروحة مما يعكس قوة الخطاب وتأثيره الحجاجي ومن تمثالاته قولها عليها السلام : « فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفائه ، ظهر فيكم حسيكة النفاق ، ... ثم استنهضكم فوجدكم خفافا ، وأحمشكم فألفاكم غضابا ، فوسمتم غير إيلكم ، وأوردتم غير شربكم ، وهذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر ، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة »^(٤٨) فالسيدة الزهراء عليها السلام تطرح في هذا الموضع قضية مصيرية وهي : ادعاء أهل السقيفة واظهارهم للناس كذبا وخديعة ، أنهم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة دفعا للفتنة مع أن الغرض كأن غصب الخلافة عن أهلها وهو عين الفتنة ، فالموجه الشكي (زعم) عمل على بناء الخطاب وتوجيه الأمر الحجاجي / الفتنة ، وقد ساعدت روابط العطف الحجاجي (الواو ، الفاء ، ثم) على تساقق الحجج وترتيبها ، ومن ثم ترسيخ المنحى الحجاجي المطلوب ، وتحقيق الغاية المنشودة ، وهي : بطلان (زعمتم خوف الفتنة) ولا يخفى الإنسجام الحجاجي بين الموجه الشكي (زعمتم) وروابط العطف الحجاجي الذي برز القوة الحجاجية للقول من خلال الركون الى ثنائية ضدية

"أنكار/اثبات".

ثم تتوالى الحجج التي توردها السيدة الزهراء عليها السلام في تفنيد آراء أهل السقيفة في أن غايتهم دفع الفتنة عن القوم الى أن تصل الى (زعم) جديد للقوم /أهل السقيفة بقولها عليها السلام « وأنتم تزعمون الا ارث لنا ، ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ^(٤٩) أفلا تعلمون ؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته ^(٥٠) تصل السيدة الزهراء عليها السلام في هذا الملفوظ الى قمة التزاحم الشكي بـ (زعم) فأنكار قضية أنها عليها السلام لا ترث أبيها عليه السلام أمر محال بناء على نواميس القرآن وسنة نبيه ، وقد تعانق الموجه اليقيني (تعلمون) المقرون بالسؤال الحجاجي وجوابه الاثباتي (بلى) مع مضمون تركيب بني على صورة تشبيهية منتزعة من الطبيعة وعالمها المحسوس ذات البعد الحجاجي لتوكيد السياق الحجاجي المطلوب والغاية المتوخاة ، فدلالة بطلان (تزعمون) قائم بدلالة (تعلمون) الظاهرة/البينة/علانية الشمس التي تشير الى الحقيقة الناصعة /الشمس الضاحية ، أنها عليها السلام : ابنته عليه السلام .

ومن نماذج الموجه الشكي (زعم) في الخطبة الفدكية قولها عليها السلام « أيها المسلمون أغلب على ارثيه يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث

أباك ، ولا أرث أبي ؟ ... وزعمتم الا حظوة لي ، ولا ارث من أبي لا رحم بيننا ^(٥١) ترتقي السيدة الزهراء عليها السلام في هذا النموذج الى مرتبة عظيمة في الاحتجاج ، اذ تورد حججا دامغة تركز على آيات القرآن الكريم ، وقد ورد في الروايات أنها عليها السلام ادعت أن فدكا كانت نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله ولعل عدم تعرضها في هذه الخطبة لتلك الدعوى ليأسها عن قبولهم اياها ، اذ كانت الخطبة بعدما رد أبو بكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ومن شهد معه ، وقد كان المنافقون الحاضرون معتقدين صدقه فتمسكت عليها السلام بآيات الميراث لتفنيد زعمهم أن لا حظ لها ، ولا ارث لها من أبيها بينما ترث أباك /ابن أبي قحافة ، وبيتز ارثها /الزهراء عليها السلام ، سبحان الله لقد جئتم شيئا فريا .

لقد أفاد السؤال الحجاجي بمعناه التعجبي (أفي كتاب الله أن ترث أباك ، ولا أرث أبي ؟) بعدا حجاجيا تواشج مع الموجه الشكي (زعم) في اعطاء النص زخما حجاجيا محايثا مع أحكام القرآن /آيات الموارد/الحجج الواردة في النص .

الخاتمة

كان من فضل الله علينا أن يسر لنا أنجاز هذا البحث ، والنظر في الحجاج وألياته بوصفه منهجا مهما لتحليل الخطاب عبر بنيته وأساليبه ، وبعد أن أنهينا من الاشتغال في الخطوات الاجرائية لهذا المنهج في مدونه تراثية هي : الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام لابد لنا أن نجمع شتات بحثنا ، ونعرضها بشيء من التكثيف والإيجاز بما يأتي :

- اعتمد المنجز النصي في خطابه على الحجاج اللغوي بوصفه ظاهرة لغوية نجدها في كل قول ، وفي كل خطاب بحسب ديكرو .

- كشفت لنا المدونة عن بعض الموجهات اللغوية التي تقوم بوظيفة حجاجية سمحت بتوجيه الملفوظ بحسب قصدية المتكلم ، ومناسبات التلقي ، ومن ثم توجيه المتلقي نحو القيام بفعل ما او تركه (الاقتناع أو الازعان) .

- لقد أدرجت هذه الموجهات اللسانية ضمن الموجهات اليقينية والموجهات التقريبية او موجهات الشك ، فكأنت الهدف من حضورها في المدونة هو إثبات الأمور المنكرة ، وحمل المخاطب على الاقتناع بها وترك الشك بها ، كلما قويت درجة الإنكار ضعف المتكلم عوامل التوكيد .

- عد القسم أساس الأفعال الكلامية ومن المؤكدات التي تتحقق بموجب مجموعة من العوامل الحجاجية والتي حصل إجماع ضمني على حجيتها وقوتها وتأثيرها .

- وظفت السيدة الزهراء عليها السلام أسلوب القصر بصيغة المعروفة بوصفه من الأساليب اللغوية الحجاجية التي توجه القول توجيه توكيد إثبات .

- استطاع العامل الحجاجي والموجه الشكي (زعم) في مدونة السيدة الزهراء عليها السلام أن يبطل حجج الخصم ويفندها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الاتقان في علوم القرآن، السيوطي (ابو الفضل جلال الدين) تحقيق : محمد ابو الفضل إبرهيم ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .
- الاحتجاج ، الشيخ الطوسي (ت ٥٤٨هـ) تحقيق : محمد باقر الخرسان ، دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- استراتيجيات الخطاب - مقارنة تداولية - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط ١ ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، ٢٠٠٤م .
- البلاغة العربية - علم المعاني - وليد قصاب ، دار القلم ، دبي ١٩٩١م .
- البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني ، د . تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٩٣م .
- تفسير الأمثل (الأمثل في كتاب الله المنزل) ناصر مكارم الشيرازي ، ط ١ ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٢م . - الحجاج في القرآن الكريم - من خلال اهم خصائصه الأسلوبية ، د . عبد الله صولة ، ط ٢ ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٧م .
- الحجاج في القرآن الكريم - من خلال اهم خصائصه الأسلوبية ، د . عبد الله صولة ، ط ٢ ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٧م .
- الحجاج مفهومه ومجالاته ، حافظ اسماعيل علوي وآخرون ، ط ١ ، عالم الكتب الحديث ، أريد ، الاردن ٢٠١٠م .
- الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة - دراسة تداولية ، (اطروحة دكتوراه) كلية
- الاداب والعلوم الأنسانية ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ٢٠١٠م
- رسائل الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية ، رائد مجيد جبار الزبيدي ، (اطروحة دكتوراه) كلية الاداب ، جامعة البصرة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .
- الشامل (معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها) محمد سعيد اسبر وبلال الجندي ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ١٩٨١م .
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية - البنية التحتية او التمثيل الدلالي التداولي ، احمد المتوكل ، دار الامان ، المغرب ١٩٩٥م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٧٣م .
- الملفوظية ، جانسيرفوني ، ترجمة : قاسم مقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ١٩٩٨م .
- منهج البراعة في شرح نهج البلاغة ، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ، ضبط وتحقيق : علي عاشور ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٢م .
- الوظائف التداولية في اللغة العربية ، احمد المتوكل ، دار الثقافة ، ط ١ ، الدار البيضاء ١٩٨٥م .
- Les Universes de croyance et la theorie semantique in Etudes linguistiques and an ١٩٩٩ . p : ٤ .
- Oreochioni .denunciation :
delasubdivitedanslanguegermandolion ،
paris ، ١٩٨٠ ، p١٤٣ .

الهوامش :

- [١] ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية-لرائد مجيد جبار : ١٢٨ .
- [٢] ينظر: الملفوظية لجان سيرفوني : ٤٥ .
- [٣] نقلا عن الحجاج في القرآن الكريم للدكتور عبدالله صولة : ٣١٥ .
- [٤] ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية - : ١٢٨ .
- [٥] المرجع نفسه : ١٢٨ .
- [٦] ينظر: استراتيجية الخطاب : ٣٣٧ .
- [٧] ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية - : ١٢٩ .
- [٨] العامل الحجاجي والموضع ضمن كتاب الحجاج مفهومة ومجالاته : ٣٠٨ .
- [٩] ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية - : ١٢٩ - ١٣٠ .
- [١٠] ينظر: الحجاج في القرآن الكريم : ٣٢٠ .
- [١١] الإتيان في علوم القرآن : ٢ / ١٣٣ .
- [١٢] ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : ١٣٠ - ١٣١ .
- [١٣] معترك الأقران في إعجاز القرين : ٢ / ٤٥٠ .
- [١٤] ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : ١٣١ .
- [١٥] ينظر: الحجاج في القرآن الكريم : ٣٢٢ .
- [١٦] الاحتجاج : ١٣٩ / ١ .
- [١٧] المصدر نفسه : ١٤٢ / ١ .
- [١٨] نظر: رسائل الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية - : ١٣٢ .
- [١٩] الاحتجاج : ١٣٩ / ١ .
- [٢٠] الاحتجاج : ١٤٢ / ١ .
- [٢١] ينظر: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة - دراسة تداولية - (اطروحة دكتوراه) : ٢٥١ .
- [٢٢] ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية - : ١٣٤ .
- [٢٣] المصدر نفسه : ١٣٤ .
- [٢٤] ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، البنية التحتية او التمثيل التداولي أنموذجا : ١٨٨ .
- [٢٥] ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية : ٢٩ .
- [٢٦] الاحتجاج : ١٣٩ / ١ .
- [٢٧] ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية : ٢٩ - ٣٠ .
- [٢٨] الاحتجاج : ١٤٢ / ١ .
- [٢٩] رسائل الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة : ١٣٩ .
- [٣٠] ينظر: البلاغة العربية - علم المعاني - : ١٦١ .
- [٣١] ينظر: البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني : ٢ / ١٣٦ .
- [٣٢] ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : ١٤٠ .
- [٣٣] الاحتجاج : ١٣٢ / ١ - ١٣٣ .
- [٣٤] المصدر نفسه : ١٣٣ / ١ .
- [٣٥] المصدر نفسه : ١٤١ / ١ .
- [٣٦] المصدر نفسه : ١٤١ / ١ .
- [٣٧] ينظر: الحجاج في القرآن الكريم : ٣١٧ .
- [٣٨] arecdhion , lenuniation :
delasubdivitedanslanguge
armandodlion .

paris، ١٩٨٠، p١٤٤ ١٤٣

نقلا عن: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة

والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية : ٢٢٦

[٣٩] رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : ١٤٥ .

[٤٠] المرجع نفسه : ١٤٥ .

[٤١] ينظر : استراتيجية الخطاب : ٣٩٦ .

[٤٢] ينظر : رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : ١٤٦ .

[٤٣] ينظر : الشامل (معجم في علوم اللغة العربية

ومصطلحاتها) : ٥١٤ .

[٤٤] منهج البراعة في شرح نهج البلاغة ١/١٩٨ ، وينظر :

تفسير الأمثل : ٣٨٤/١٨ .

[٤٥] تفسير الأمثل : ٣٣/٩ .

[٤٦] ينظر : رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : ١٤٦ .

[٤٧] الاحتجاج : ١٣٣/١ .

[٤٨] الاحتجاج : ١٣٣/١ .

[٤٩] وهو مستند الى قوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة : ٥٠

[٥٠] الاحتجاج : ١٣٨/١ .

[٥١] الاحتجاج : ١٣٨/١ .

مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ

الْمُحَقِّقُ الْجَبَرَانِيُّ
فَلَيْسَ بِشَيْءٍ

الشيخ يوسف البحراني ، هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني الدرازي (١١٠٧ - ١١٨٦ هـ) ، فقيه ومحدث شيعي .

اشتهر بـ "صاحب الحقائق" انتساباً لأثره (الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) ، ويُعدّ من أبرز العلماء المدافعين عن النحلة الأخبارية الفقهية والحديثية ، وكذلك آخر شخصية جديرة بالذكر من أصحاب هذه النحلة .

ناظر بعض الاجتهاديين المعاصرين له -كما ذكر هو في المقدمة الثانية عشرة للحدائق- وقام بتفصيل الكلام حول هذه المناظرات في كتابه المسائل الشيرازية ، وقد كان يتمتع بقريحة شعرية ، وله شعر في الإمام الحسين عليه السلام .

ولد في سنة ١١٠٧ هـ في قرية ماحوز جنوب غرب المنامة في البحرين ، لكن أصله من قرية دراز - على بعد فرسخين ونصف جنوبي المنامة - وكان

والده عالماً أنتقل للإقامة في ماحوز وتلمّذ على يد المحقق البحراني . أمضى الشيخ مرحلة طفولته تحت إشراف جدّه الشيخ إبراهيم ، الذي كان يعمل في تجارة اللؤلؤ ، وجعل للحفيد معلّم للقرآن وتعليم الكتابة في المنزل ، ثم بعد ذلك لازم الدرس عند والده . ثم التزم أبوه - الذي كان على مسلك المجتهدين ومخالفاً بشدة للإخباريين - بتربيته العلمية .

تزامنت حياة الشيخ يوسف البحراني مع أحداث مهمة ، جعلته دائم الانتقال من مدينة إلى أخرى . في بداية طفولته عايش الحروب القبلية بين قبيلتي الهولة والعتوب . كما دارت حروب بين القوات العمانية والإيرانية ، أيضاً عاصر الشيخ أيام سقوط الحكومة الصفوية وانقراضها في إيران .

في البداية هاجرت أسرته إلى القطيف ، على إثر الهجمات المتتالية لسلطان عُمان على البحرين ،

وبقي هو في البحرين ، لكنه بعد السيطرة الكاملة للمهاجمين واحتراق منزل العائلة ، التحق بهم ، وبوفاة الوالد ، تولى مسؤولية رعايتها . وبقي في القطيف لمدة سنتين ، تتلمذ خلالها على يد الشيخ حسين الماحوزي (م ١١٨١ هـ) الفقيه المجتهد والمعارض العلني للنهج الأخباري .

بعد المصالحة بين حكومتي إيران وسلطنة عمان وتحرير البحرين ، عاد إلى الموطن ودرس عند العلماء هناك لعدة سنوات . وأخيراً بعد عودته من فريضة الحج وتوقفه في القطيف اضطر أن يسافر إلى إيران بسبب الضغوط المالية ، واضطراب الأوضاع الداخلية في البحرين وذلك بعد سقوط الصفوية وكذلك مقتل السلطان الصفوي سنة ١١٤٠ هـ .

بعد إقامته القصيرة في مدينة كرمان ، سافر البحراني إلى شيراز التي حظي فيها باحترام حاكمها محمد تقى خان وتكريمه له ، فتمكن من قضاء عدة سنوات مستقرة وهادئة اشتغل فيها بالتدريس والتأليف وتأدية المهام الدينية .

اضطربت أوضاع شيراز الداخلية هذه المرة بسبب تمرد محمد تقى خان على نادر شاه ، فاجتاحت المدينة وانتشر الوباء فيها في العامين

١١٥٦ و ١١٥٧ هـ ، فتوجه الشيخ إلى قصبة فسا آنذاك ، حيث أكرمه حاكمها ، وحظي فيها أيضاً بالطمأنينة وراحة البال ، وبقي فيها لمدة قضاها في التأليف والتحقيق ، وبالزراعة لتحصيل الرزق . لكن ما لبث أن هاجم المدينة عليمردان سنة ١١٦٥ هـ وقتل حاكمها ، وتعرضت المدينة للنهب ، فذهب ممتلكات الشيخ وكتبه أدراج الرياح ، فهاجر إلى منطقة اصطهبانات ، ومن ثم إلى كربلاء ولبث بها إلى آخر عمره . يحتمل أن يكون قدومه إلى كربلاء قبل سنة ١١٦٩ هـ .

دراسته

اهتم البحراني بالتأليف والتصنيف وإعداد الطلبة وتدوين أجوبة الاستفسارات الدينية ، وغير ذلك من النشاطات العلمية الدينية ، رغم كل الظروف التي أحاطت به وساقته إلى رحلات متعددة ، وقد نال إجازة الحديث من أساتذته ومن أربعة من مشايخ الحديث منهم : المولى رفيعا الجيلاني (م ١١٦٠ هـ) الذي كان لديه إجازة من المجلسي ، ويوصل البحراني إلى المجلسي بعلو الإسناد . لقد أثنى معظم كتاب التراجم المتأخرين ،

الماحوزي الشيخ أحمد بن عبد الله البلادي
(م ١١٤٨ هـ) الشيخ عبد الله بن علي .

تلاميذه

لم يدون عدد تلامذته وأسماءهم في كتابه
خلال إقامته في شيراز ؛ لكن أسماء مجموعة من
العلماء الكبار الذين حضروا دروسه في كربلاء
معروفة ، وأشهرهم :

المولى محمد مهدي النراقي

السيد بحر العلوم

أبو علي الحائري

الميرزا مهدي الخراساني

الميرزا مهدي الشهرستاني

الميرزا أبو القاسم القمي

السيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض)

الشيخ أحمد بن محمد

الشيخ حسين بن محمد

كان المترجم فضلاً عن مقامه العلمي من
مشايخ الحديث ، وقد اتصل العديد من كبار
مشايخهم في الأدوار اللاحقة ، من طريقه بسلسلة
الإجازات . ومن الذين نالوا إجازة الحديث عن

على مكانته في الفقه والحديث ، وأشاروا إلى كثرة
تبعه وذاكرته القوية وزهده على الرغم من انتقادهم
لمنهجه العلمي ، كما وصفوا آثاره العلمية بأنها مثمرة
ومفيدة . من هؤلاء الكتاب :

أبو علي المازندراني الحائري في منتهى
المقال ، والنوري في خاتمة مستدرک الوسائل ،
والأمين في أعيان الشيعة .

فقد كان كما ذكر هو في المقدمة الثانية
عشرة للحدائق من المدافعين الجديين عن
الأخباريين في البداية ، وناظر بعض الاجتهاديين
المعاصرين له ، وقد فصل الكلام حول هذا
الموضوع في كتابه المسائل الشيرازية . لكنه رأى في
أثناء تأليف الحدائق أي تصنيف أو تقسيم للعلماء
الشيعة بعيداً عن الصواب ، وانتقد الملاً محمد أمين
الأسير آبادي (م ١٠٣٣ هـ) الذي كان البادئ بهذا
التصنيف ، والتعرض للمجتهدين .

أساتذته

درس البحراني لدى جدّه الشيخ إبراهيم
ووالده الشيخ أحمد والماحوزي والأخيرين كانا
مجتهدين معارضين للنحلة الأخبارية ، الشيخ حسين

البحراني ، إلى جانب معظم تلاميذه ، يمكن الإشارة إلى :

السيد عبد الله البحراني

المولى محمد مهدي الفتوني

الشيخ سليمان بن معتوق العاملي

الشيخ حسين بن محمد المشهور بآل

عصفور

الشيخ خلف بن عبد علي

والاثنان الأخيران هما ابنا أخ البحراني ، قد

كتب لأولؤة البحرين في الإجازة لقزتي العين كإجازة لهما .

مؤلفاته

كتاب الحقائق الناضرة

يتجاوز عدد آثار البحراني العلمية الأربعين ، بين مؤلف مستقل وجواب مكتوب عن الأسئلة ، وما كتبه حاشية وتعليقة على كتب غيره ؛ ومعظم هذه الآثار في الحديث والكلال والفقه ، وكما يقول هو نفسه في اللؤلؤة ونقله المازندراني الحائري في منتهى المقال ، فإن بعض كتاباته ومنها أجوبة المسائل الشيرازية ، قد فقد في حادثة نهب بيته في فساد .

أهم كتبه سواء من حيث المضمون والمحتوى أو من حيث الموضوع هي :

الحدائق الناضرة ؛ مجموعة في الفقه الاستدلالي ، بدأ بتأليفها في فسا وأكملها في كربلاء . قام تلميذه ، وابن أخيه ، الشيخ حسين بن محمد ، بتدوين ما بقي من مباحث الحقائق في كتاب أسماه : عيون الحقائق الناضرة في تميم الحقائق الناضرة .

الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية ؛ حول مبادئ الاستنباط الفقهي وقواعده على أساس الأحاديث .

لؤلؤة البحرين ؛ وهو من المصادر المعتبرة للتراجم وعلم الرجال وذكر في هذا الكتاب بالتفصيل العلماء بدءاً من معاصريه حتى زمان الكليني وابن بابويه .

الصوارم الصاعقة لظهور الجامعين بين ولد فاطمة عليها السلام

جليس الحاضر وأنيس المسافر (أو ؛ جليس المسافر وأنيس الحاضر) متنوع المواضيع ، كتبه تكريماً لابنه وقد اشتهر باسم الكشكول .

ورسائله المستقلة ؛

رسالة في نقد آراء الفيض الكاشاني في بحث
الماء القليل .

رسالة في نقد نظرية المير داماد في مسألة
الرضاع .

رسالة في رفض التصوف بعنوان النفحات
الملكوئية .

رسالة في نقد ابن أبي الحديد (شارح نهج
البلاغة) باسم سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي
الحديد .

وفاته

توفي الشيخ يوسف سنة ١١٨٦ هـ في كربلاء
إثر مرض الطاعون ودفن في العتبة الحسينية ،
وتحديدا في الحائر الحسيني عند رجلي الشهداء بعد
أن صلى عليه العالم الأخباري الوحيد البهبهاني بناءً
على وصيته .

